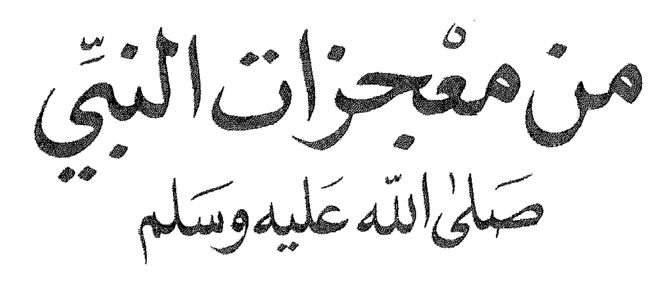


تأليف الفقير إلى عفو ربه المنان

عبد العزيز المحمد السلمان

(الطبعة الحادية عشرة سنة ١٤١٨هـ)

طبع على نفقة جماعة من المحبين للخير الموكل
عنهم إبراهيم بن علي العودة جزاهم الله كلهم خيراً

الرياض - المملكة العربية السعودية

وقف لله تعالى

١٤١٨هـ

اهداءات ٢٠٠١

المغفور له عبد العزيز السلمان

السعودية

من معجزات النبيّ صلى الله عليه وسلم

تأليف الفقير إلى عفو ربه المنان

عبد العزيز المحمد السلمان

(الطبعة الحادية عشرة سنة ١٤١٨هـ)

طبع على نفقة جماعة من المحبين للخير الموكل

عنهم إبراهيم بن علي العودة جزاهم الله كلهم خيراً

الرياض - المملكة العربية السعودية

وقف لله تعالى

١٤١٨هـ

الطبعة الحادية عشر

١٤١٨هـ-١٩٩٧م

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي تفرد بالجلال والعظمة والعز والكبرياء والجمال وأشكره شكر عبد معترف بالتقصير عن شكر بعض ما أوليه من الإنعام والإفضال

وأشهد أن لا إله الا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم تسليماً كثيراً وعلى آله وأصحابه .

وبعد فلما كانَتْ مُعْجِزَاتُ النبي صلى الله عليه وسلم أنْوَاراً تُشْرِقُ على القُلُوبِ الطَّافِحَةِ بالإِيمانِ وتَزِيْدُهَا قُوَّةً وثَبَاتاً واسْتِقَامَةً أَحْبَبْتُ أَنْ أَذْكُرَ مَا تَيَسَّرَ منها واللهُ المسؤلُ أَن يَجْعَلَ عَمَلَنَا خَالِصًا لِوَجْهِهِ الكَرِيْم .

إعْلم وَفَّقَنَا اللهُ وإيَّاكَ وجَمِيْعَ المُسْلِمِيْنَ لِمَا يُحِبُّهُ وَيَرْضَاهُ أَنَّ الله قد جَمَعَ لِنَبِيِّنَا صلى الله عليه وسلم جَمِيْعَ أَنْوَاعِ المُعْجِزَاتِ والخَوَارِقِ . أما العِلْمُ والأَخْبَارُ الغَيْبِيَّةُ والسَّمَاعُ والرُّؤْيَةُ .

١ ـ فمثل إخْبَارِه صلى الله عليه وسلم عَن الأَنبياءِ المُتَقَدِمِيْنَ وأُمَمِهِمْ .

٢ ـ ومُخَاطَبَتِهِ لَهُم وأَحْوَالِهِ مَعَهُم .

٣ ـ وكذلك إخبارُه عن أُمُورِ الرُّبوبِية والملائِكَةِ والجَنَّةِ والنار بِمَا يُوَافِقُ الأَنْبِيَاءَ قَبْلَهُ مِنْ غَيْرِ تَعَلُّمٍ مِنْهُم ، وَيُعْلَمُ أَنَّ ذلك مُوَافِقٌ لِنُقُولِ الأَنْبِيَاءِ تارةً بما في أَيْدِيْهِمْ مِن الكُتُبِ الظَّاهِرةِ ونَحْوِ ذَلِكَ مِنَ النَّقْلِ المُتَوَاتِرِ .

٤ ـ وتَارَةً بِمَا يَعْلَمُهُ الخَاصَّةُ مِن عُلَمَائِهِمْ .

٥ ـ فإخْبَارُهُ عَنِ الأُمُوْرِ الغَائِبَةِ مَاضِيْهَا وحَاضِرِهَا هُوَ مِنْ بابِ العِلْمِ الخارِقِ لِلْعَادَةِ .

٦ ـ وكذلِكَ إخْبَارُهُ عَنْ الأُمُوْرِ المُسْتَقْبَلَة .

٧ ـ مِثْل مَمْلَكَةِ أُمَّتِهِ .

٨ ـ وزَوَالِ مَمْلَكَةِ فارِس .

٩ ـ والرُوْمِ .

١٠ ـ وقِتَالِ التُرْكِ وَأُلُوفِ مُؤَلَّفَةٍ مِنَ الأَخْبَارِ التِي أَخْبَرَ بهَا

وأما القُدْرَةُ والتَّأْثِيْرُ :ـ

١١ ـ فانْشِقَاقُ القَمَرِ

١٢ ـ وكذا مِعْرَاجهُ إلى السَّمَوَاتِ .

١٣ ـ وكَثْرَةُ الرَّمْي بالنُّجُوْمِ عِنْدَ ظُهُوْرِهِ

١٤ ـ وكَذَا إسْرَاؤُهُ مِنَ المَسْجِدِ الحَرَام إلى المَسْجِدِ الأَقْصَى .

١٥ ـ وتَكْثِير الماء في عَيْنِ تَبُوْكَ .

١٦ ـ وعَين الحُدَيْبِيَةِ .

١٧ ـ ونبْعِ الماء مِنْ بينِ أَصَابِعِهِ .

١٨ ـ وكذا تكْثِيْرُ الطعَامِ . ويَأْتِي إنْ شاءَ الله بَعْضُهَا مُوَضَّحاً مفصلاً قَرِيْباً .

١٩ ـ وفي صحيحِ مسلمٍ مِنْ حديثِ جابر قال : « سِرْنَا مَعَ رسولِ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم حَتَّى نَزَلْنَا وَادياً أَفْيَحَ فَذَهَبَ رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم يَقْضِيْ حَاجَتَهُ فاتَّبَعْتُهُ بِإِدَاوَةٍ مِنْ مَاءٍ فَنَظَر رَسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلم فَلَمْ يَرَ شَيْئاً يَسْتَتِرُ فإذا شَجَرَتَانِ بشَاطِيءِ الوَادِي فانْطَلَقَ

رَسُوْل اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسَلم إلى إحْدَاهُمَا فأَخَذَ بغُصْن مِنْ أَغْصَانِهَا فَقَالَ : انْقَادِيْ عَلَيَّ بإِذْنِ الله .

فَانْقَـادَتْ مَعَهُ كَالبَعِيْرِ المخْشُوْمِ الذي يُصَانِعُ قَائِدَهُ حَتَّى أَتى الشَّجَرَةَ الأُخْرَى فأَخَذَ بَعْضَ أَغْصَانِهَا فقالَ : انْقَادِي عَلَيَّ بإذن اللهِ فانْقَادَتْ كذلكَ حَتَّى إذا كَانَ بالمُنْتَصَفِ فِيْمَا بَيْنَهمَا فلاءم بَيْنَهما حَتَّى جَمَعَ بَيْنَهُمَا ، فقال : التَئِمَا عَلَيَّ بإِذنِ اللهِ فالْتَأَمَتَا عليه .

فَخَرَجتُ أَحْضُرُ مَخَافَةَ أَنْ يُحِسَّ رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم بِقُرْبِيْ فَتَبَاعَدْتُ فَجَلَسْتُ أُحدِّثُ نَفْسِيْ فَحَانَتْ مِنِّي لَفْتَةٌ فإذا أنَا برَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم مُقبلاً وإذَا الشَّجَرَتانِ قَدْ افْتَرَقَتَا فَقَامَتْ كلُّ واحِدةٍ مِنْهُمَا على سَاقٍ » وذكر الحديث .

٢٠ ــ ومِنْهَا أَنَّهَا انْكَسَرَتْ رِجْلُ عبدِ اللهِ بنِ عُتَيْك رَضِيَ الله عَنْهُ بَعْدَمَا قَتَل أَبَا رَافِعٍ الذِيْ يُؤذِيْ النَّبِيَّ صلى اللهُ عليه وسلم قَالَ فانْتَهَيْتُ إلى النبيِّ صلى اللهُ عليه وسلم فَحَدَّثْتُه فقال لي « ابْسُطْ رِجْلَكَ » فَبَسَطْتُ رجْلِي فَمَسَحَها فكَأَنَّهَا لَمْ أَشْتَكِهَا قطُّ .

٢١ ــ وقِصَّةُ أمّ مَعْبَدٍ مَشْهُورَةٌ مِنْ حَدِيثِهَا أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَليّ اللهُ عليهِ وسَلَّمَ حِيْنَ مرَّ بِهَا طَلَبَ لَبَناً أَوْ لحماً يَشْتَرُونَهُ وكانُوا مُرْمِلِين مُسْنِتِينَ فلَمْ يَجِدُوْا عِندَهَا شَيْئاً قَطُّ فَنَظَرَ إلىَ شَاة في كِسْرِ الخَيْمَةِ خلَّفها الجَهْدُ عنِ الغَنَمِ ، فسأَلَهَا هَلْ بها مِنْ لَبَنٍ ؟ فقالَتْ : هِيَ أَجْهَدُ مِنْ ذلِكَ ، فَقَالَ : أتأْذَنِيْنَ لِي أنْ أَحْلِبَها ! فَقَالت بأَبيْ أَنْتَ وَأُمِيْ إنْ رَأَيْتَ بهَا حَلْباً .

فَدَعا بالشَّاةِ فاعْتَقَلَها ومَسَحَ ضَرْعَهَا فَدَرَّتْ واجْتَرتْ وَدَعَا بإِناء يشْبعُ الرَّهْطَ فَحَلَبَ حتىَّ مَلأَهُ وسَقىَ القَومَ حتَّى رَوَوْا ثُمَّ شَربَ آخِرَهُمْ

ثُمَّ حَلبَ فِيه مَرَّة أُخْرى عَللاً بَعْدَ نَهْل ثُمَّ غادَرَهُ عِنْدَهَا وذهَبُوْا فَجَاءَ أَبُوْ مَعْبَد فلمَّا رآى اللَّبَنَ قالَ ما هَذَا يَا أَمَّ معْبَد ؟ أنّى لَكِ هَذَا والشَّاةُ عَازِبٌ حِيَالٌ ولاَ حَلُوبَة بالبَيْتِ فقالَتْ لاَ وَاللهِ إلا أنَّهُ مرَّ بِنَا رَجُلٌ مُبَارَكٌ فقال صِفِيْهِ فَوَصفتُهُ له ، وذَلكَ في طَرِيقِ هِجْرته صلى الله عليه وسلم إلى المَدِينة .

وقَدْ قِيْلَ في ذلكَ الأَبْيَاتُ المَشْهُوَرةُ قالتْ أَسْمَاءُ بنتُ أَبيْ بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عنهُما فَلَما سَمِعْنَا قَوْلَهُ عرَفْنَا حَيْثُ وجّه رَسُول الله صلى الله عليه وسلم تُشِيْرُ إلىَ مَا ذُكِرَ مِنْ أَنَّه أَقْبَلَ رَجُلٌ مِنْ الجِنِّ مِن أَسَفَلِ مكَّةَ يَتَغَنَّى بأَبْيَاتٍ مِن شِعْرِ غِنَاءِ العَرَبِ وأَنَّ الناسَ لَيَتْبَعُونَهُ يَسْمعُوْنَ صَوْتَه وما يَرَوْنَهُ حتى خرَجَ مِنْ أَعْلَى مكةَ وهو يقول :

جَزَى اللهُ ربُ الناسِ خَيرَ جَزَائه ... رَفِيْقَيْنِ حَلاَّ خَيْمَتَيْ أُمِّ مَعْبَدِ
هُمَا نَزَلاَ بالبِرِّ ثم تَرَوَّحَا ... فأَفْلَحَ مَن أَمْسَى رَفِيْقَ مُحَمَّدِ
لِيَهْنِ بَنِي كَعْبٍ مَكَانُ فَتَاتِهِم ... ومَقْعَدُهَا للْمُؤْمِنِيْنَ بِمَرْصَدِ
سَلُوا أُخْتَكُم عن شَاتِهَا وَإِنائِهَا ... فإنَّكُمُوا إنْ تَسْأَلُوا الشَّاةَ تَشْهَدِ
دَعَاهَا بشَاةٍ حائِلٍ فَتَحَلَّبَتْ ... لَهُ بصَرِيْحٍ ضَرَّةِ الشَّاةِ مُزْبِدِ
فَغَادَرَهُ رَهْناً لَدَيْهَا لِحَالِبٍ ... يُدرُّ لَهَا في مَصْدَرٍ ثُمَّ مَوْرِدِ

فلما سَمِعَ حَسَّانُ بنُ ثابِت أنشأَ يَقُولُ مُجيْباً لِلْهَاتِفِ :

لَقَدْ خَابَ قَومٌ زَالَ عنهم نَبِيُّهُم ... وقُدِّسَ مَنْ يَسْرِيْ إليْهِم ويَغْتَدِي
تَرَحَّلَ عن قَوْمٍ فَظَلَّتْ عُقُولُهُمْ ... وحَلَّ عَلَىَ قَومٍ بِنُوْرٍ مُجَدَّدِ
هَداهُم بِهِ بَعْد الضَّلاَلَةِ رَبُّهُمْ ... وأَرْشَدَهُمْ مَن يَتْبَعِ الحقَّ يَرْشُدِ
وقَدْ نَزَلَتْ مِنهُ عَلىَ أَهْلِ يَثْرِبٍ ... ركابُ هُدًى حَلَّتْ عليْهِم بأَسْعَدِ
نَبِيٌ يرَى مَا لاَ يرَى النَّاسُ حَوْلَهُ ... ويَتْلُوا كِتَابَ اللهِ في كُلِ مَسْجِدِ

وإنْ قَالَ في يوم مَقَــالَةَ غَائِبٍ فَتَصْدِيقُهَا فِي اليَوْمِ أَوْفِي ضُحَى الغَدِ
لِيَهْنِ أَبَــا بَكْرٍ سَعَادَةُ جَــدِّهِ بِصُحْبَتِهِ مَــنْ يُسْعِدِ اللهُ يَسْعَدِ

٢٢ – وفي الترمذي عن علي رضي الله عنه قال : « كُنْتُ مَعَ رسول الله صلى الله عليه وسلم بِمكةَ فَخَرجْنَا في بَعضِ نَوَاحِيْها فما اسْتَقْبَلَهُ شجَرٌ ولا جَبَلٌ إلاَّ وهُوَ يَقُولُ السلامُ عَلَيْكَ يارسولَ الله » رواه الحاكم في صحيحه .

٢٣ – وجاءَ أَعْرابيٌ إلى النبيِّ صلى اللهُ عليه وسلم فقال بِمَ أَعْرِفُ أَنَّكَ نبي ؟قال : « إنْ دَعَوْتُ هَذَا العِذْقَ مِنْ هَذِهِ النَّخْلَةِ أَتَشْهَدُ أَنِيٍّ رسولُ اللهِ ؟ » قال : نَعَمْ . فدَعَاهُ رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم فَجَعَلَ يَنْزِلُ مِن النَّخْلةِ حَتَّى سَقَطَ إلى النبي صلى الله عليه وسلم ثم قالَ ارْجِعْ فعَادَ ، فأَسْلَمَ الأعرابيُّ .

والله أعلم وصلى الله على محمد .

٢٤ – ولَمَّا بَعَثَتْ قُرَيْشٌ في فِدَاء أسراهُم إلى رَسُولِ اللهِ صَلَّى الله عليه وسَلَّم بَعْدبَدْرٍ فَفَدىٰ كُلُّ قَوْمٍ أَسِيْرَهُم بِمَا رَضُوا وَكَانَ العَبَاسُ أَسِيْراً قال يارسولَ اللهِ قدْ كُنتُ مُسْلِماً فقال رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم « اللهُ أعْلمُ بإِسْلامِكَ فإنْ يَكُن كَمَا تَقُولُ فإِنَّ اللهَ يَجْزِيْكَ وأما ظَاهِرُكَ فَقَدْ كَانَ عَلَيْنَا فافْتَدِ نَفْسَكَ وابْنَيْ أَخَوَيْكَ » قال العَبَاسُ. ماذَاكَ عِنْدِيْ قال رسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم « فأَيْنَ المَالُ الذِيْ دَفَنْتَهُ أَنْتَ وأُمُّ الفَضْلِ فَقُلْتَ لَهَا إنْ أُصِبْتُ في سَفَرِيْ هَذَا فهذا المالُ الذِي دَفَنْتُهُ لِبَنِيَّ الفَضْلُ وعَبْدُاللهِ وقُثَم » .

قالَ واللهِ يَارَسُولَ اللهَ لأَعْلَمُ أَنَّكَ رسولُ اللهِ إنَّ هَذَا لَشَيْءٌ ما عَلِمَهُ أَحدٌ غيْري وَغيْر أُمِّ الفَضْلِ . . . إلخ .

٢٥ ـ وقصَّةُ ارتِجَافُ أُحُد وذَلكَ أَنَّ النبي صلى اللهُ عليه وسلم صَعِدَ أُحُداً ومَعَهُ أَبُوْ بَكْرٍ وعُمَرُ وعُثْمَانُ فَرَجَفَ بِهِمْ فَقَالَ رسولُ اللهِ صَلَّى اللهِ عليه وسلم أُثْبُتْ أُحُدُ فَإنمَّا عَلَيْكَ نَبِيٌ وصديقٌ وشهيدانِ .

٢٦ ـ وقِصَّةُ مَاءِ الرَّكْوَةِ وَهِيَ مَاوَرَدَ عن جابر بن عبدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قال عَطِشَ النَاسُ يَوْمَ الحُدَيْبِيَةِ والنبيُّ صلى اللهُ عليهِ وسلم بَيْنَ يَدَيْهِ رَكْوَةٌ يَتَوَضَّأُ فَجَهَشَ الناسُ نَحْوَهُ فقالَ : « مالكُم ؟ » قالوُا : ليْسَ عِنْدَنا مَاءٌ نَتَوضأُ ولا نَشْرَبُ إلا مَا بَيْنَ يَدَيْكَ قال جَابِرٌ فَوَضَعَ النبيُّ صلى اللهُ عليه وسلم يَدَهُ في الرَّكْوَة فَجَعَلَ الماءُ يَثُورُ بَيْنَ أَصَابعِهِ كأَمْثَالِ العُيُوْنِ فَشَرِبْنَا وتَوَضَّأْنَا قال سَالِمٌ قُلْتُ لِجَابِرٍ كَمْ كُنْتُمْ قالَ لَوْ كنا مِائَةَ أَلْفٍ لَكَفَانَا خَمْسَ عَشْرَةَ مِائَةَ (١٥٠٠) .

٢٧ ـ وقِصَّةُ مَوْتِ النَّجاشِي وهِيَ مَا وَرَدَ عَن أُمِّ كُلْثُومَ بِنْتِ أَبِي سَلَمَةَ رَبِيْبَةَ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم قالتْ لمَّا تَزَوَّجَ النبيُّ صلى اللهُ عليه وسلم أُمَّ سَلَمَةَ قال لَهَا « إنِّي قَدْ أَهْدَيْتُ لِلنَّجاشِي أَوَاقِيَ مِن مِسْكٍ وحُلَّةٍ وإنِّيْ لاَ أَرَاهُ إلاَّ قَدْ مَاتَ ولا أَرَى الهَدِيَّةَ إلاَّ سَتُرَدُّ إليَّ ، فإذا رُدَّت إليَّ فَهِيَ لَكِ » فكانَ كَمَا قالَ صَلى اللهُ عليه وسلم ، مَاتَ النَّجَاشِيُّ وَرُدَّتْ إلى النبي صلى اللهُ عليه وسلم هَدِيَّته فأَعْطَى كُلَّ امْرَأَةٍ مِنْ نِسَائِهِ أُوْقِيَّةً مِنْ ذَلِك المِسْكِ وأَعْطَى سَائِرَهُ أُمَّ سَلَمَةَ .

٢٨ ـ وقِصَّةُ عُكَّاشَةِ بنِ مِحْصَن بنِ حَرْثانِ الأَسَديِّ حِيْنَمَا انْدَفَعَ يُقَاتِلُ المُشْرِكِيْنَ يَوْمَ بدرٍ ويَحْصُدُ فيْهِم حَصْداً حَتَّى انْكَسَرَ سَيْفُهُ فَلَمْ يَثْنِهِ ذلكَ عن خَوْضِ المَعْرَكَةِ ولَمْ يَتَّخِذْ مِنْ كَسْرِ سَيْفِهِ مَعْذِرَةً عَنِ القِتَالِ

فَجَاءَ إِلَى النَّبِي صلى اللهُ عليه وسلم يُخْبِرُهُ بِكَسْرِ سَيْفِهِ وإِرَادَةِ غَيْرِهِ فَدَفَعَ صلى اللهُ عليه وسلم لَهُ جِذْلاً مِنْ حَطَبٍ فَقَالَ لَهُ قَاتِلْ بِهَذَا يَاعُكَّاشَةُ .

فَلَمَّا أَخَذَهُ عُكَّاشَةُ مِنْ رسول الله صلى الله عليه وسلم هَزَّهُ فَعَادَ فِي يَدِهِ سَيْفاً صَارِماً طَوِيلَ القَامَةِ شَدِيْدَ المَتْنِ أَبْيَضَ الحَدِيْدَةِ فقاتَلَ بهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ حَتَّى فَتَحَ اللهُ تعالى علىَ المُسْلِمِين وَلَمْ يَزَلْ عِنْدَهُ ذلكَ السَّيفُ يَشْهَدُ به المَشَاهِدَ مَعَ رَسُولَ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم حَتَّى اسْتُشْهِدِ فِي قِتَالِ الرِّدةِ فِي خِلاَفَةِ أَبِيْ بَكْرٍ الصِّدِّيْقِ رَضِيَ اللهُ عنه .

٢٩ – وقِصَّةُ عُمَيرِ بنِ وهْبٍ الجُمَحِي وذلكَ أَنَّه كَانَ مَعَ صَفْوَانَ بنِ أَمَيَّةَ بَعْدَ مُصَابِ أَهْلِ بَدْر وكانَ عُمَيْرُ شَيْطَاناً مِنْ شَيَاطِيْنِ قُرَيْشٍ ومِمَّن كانَ يُؤْذِيْ رسولَ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم وأَصْحَابَهُ ويَلْقَوْنَ مِنْهُ عَنَاءً وهُوَ بمكةَ وكانَ ابنُهُ وَهْبُ ابنُ عُمَيْرٍ فِي أُسَارَى بَدْر قال فَذَكَرَ عُمَيرٌ أَصحَابَ القَلِيْبِ ومُصَابَهُم فقال صَفوانُ واللهِ ما في العَيْشِ بَعْدَهُم خيرٌ .

قال عُمَيرٌ صَدَقْتَ واللهِ أما واللهِ لَولاَ دَينٌ عليَّ لَيْسَ لَهُ عِنْدِيْ قَضَاءٌ وعِيَالٌ أَخْشَى عَلَيْهم الضَّيْعَة بَعْدِيْ لَرَكِبْتُ إلى مُحَمَّدٍ حَتَّى أَقْتُلَهُ فإنَّ لِيْ قِبَلَهُم عِلَّةٌ ابْنِيْ أَسِيْرٌ فِي أَيْدِيْهِمْ قالَ فاغْتَنَمَها صَفْوَانُ وقالَ عَلِيَّ دَيْنُكَ أَنَا أَقْضِيْه عَنْكَ وعِيَالُكَ مَعَ عِيَالِيْ أُواسِيْهِمْ ما بَقُوْا لا يَسَعُنِي شَيْءٌ يَعْجَزُ عَنْهُمْ .

فَقَالَ عُميرٌ فاكْتُمْ شَأْنِيْ وشَأْنَكَ قَالَ أَفْعَلُ ثُمَّ انْطَلَقَ حَتَّى قَدِمَ المَدِيْنَةَ فَبَيْنَمَا عُمرُ بنُ الخطابِ فِي نَفَرٍ مِنْ المُسْلِمينَ يَتَحَدَّثُون عن يَوْمِ بدْرٍ وَمَا أَكْرَمَهُم اللهُ به ومَا أَراهُمْ مِنْ عَدُوهِم إِذْ نَظَرَ عُمَرُ إلى عُمَير بْنِ وَهْبٍ حِيْنَ أَنَاخَ رَاحِلَتَهُ عَلَى بَابِ المَسْجِدِ ، مُتَوَشِّحاً السَّيفَ ، فقال عُمَرُ هَذَا الكَلْبُ عَدُوُّ اللهِ واللهِ ما جَاءَ إلا لِشَرّ .

ثُمَّ دَخَلَ عُمَرُ على رَسول ِ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم فَقَالَ يَا نَبِيَّ اللهِ هَذا عَدُوُّ اللهِ عُميرُ بنُ وهْبٍ ، قَدْ جَاءَ مُتَوَشِّحاً سَيْفَهُ ، قَالَ فَأَدْخِلْهُ عَلَيَّ فَأَقْبَلَ عُمرُ حَتَّى أَخَذَ بِحَمَالَةِ سَيْفِهِ فِي عُنُقِهِ فَلَبَّبَهُ بِهَا .

وقال لِرِجَال ٍ مِن الأَنْصَارِ ادْخُلُوا على رَسُول ِ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم فاجْلِسوا عِنْدَهُ واحْذَرُوا علَيْهِ مِنْ هَذَا الخَبِيْثِ فإِنَّهُ غيرُ مأْمُوْنٍ ثُمَّ دَخَلَ بهِ عَلَىَ رَسُول ِ اللهِ صلى الله عليه وسلم فَلَمَّا رَآهُ رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم قَالَ أَرْسِلْهُ فَدَنَا عُمَيْرُ .

فقال رَسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم « فَمَا جَاءَ بِكَ يَاعُمَيرُ ؟ »قال جِئْتُ لِهَذَا الأَسِيْرِ الذِيْ في أَيْدِيْكُمْ فَأَحْسِنُوا فِيْهِ يَعْنِيْ وَلَدَهُ قالَ فَمَا بَالُ السَّيْفِ فِي عُنقِكَ قالَ قَبَّحَهَا اللهُ مِن سُيُوفٍ وهَلْ أَغْنَتْ عَنَّا شَيْئاً قال « أَصْدُقْنِي ما الذِيْ جَاءَ بِكَ » قال مَا جِئْتُ إِلاَّ لِذَلِكَ .

قال رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم « بَلْ قَعَدْتَ أَنْتَ وصَفْوَانُ بنُ أَمَيَّةَ في الحِجْر فَذَكَرْتُمَا أَصْحَابَ القَلِيْبِ مِنْ قُرَيْشٍ ثُمَّ قُلتَ لَوْلاَ دَيْنٌ عَلَيَّ وعِيَالٌ عِنْدِيْ لَخَرَجْتُ حَتَّى أَقْتُلَ مُحَمَّداً فتَحَمَّلَ لَكَ صَفْوَانُبدَيْنِكَ وعِيَالِكَ عَلى أَنْ تَقْتُلَنِيْ لَهُ ، واللهُ حَائِلٌ بَيْنَكَ وبَيْنَ ذَلكَ » .

فقالَ عُمَيرٌ أَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللهِ قد كُنَّا يَا رَسُولَ اللهِ نُكَذِّبُكَ بِمَا كُنْتَ تَأْتِيْنَا بِهِ مِن خَبَرِ السَّماء ومَا يَنْزِلُ عَلَيْكَ مِن الوَحْي وَهَذَا أَمْرٌ لَمْ يَحْضُرْهُ إِلاَّ أَنَا وصَفْوَانُ فَوَاللهِ إِنِّي لأَعْلَمُ ما أَتَاكَ بِهِ إِلاَّ اللهُ فالحَمْدُ للهِ الذِي هَدَانِيْ لِلإِسْلام ِ وسَاقَنِيْ هَذَا المَسَاقَ ثُم شَهِدَ شَهَادَةَ الحَقِّ فقال رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم « فَقِّهُوا أَخَاكُمْ في دِيْنِهِ واقْرِئُوهُ القُرآنَ وأَطْلِقُوا لَهُ أَسِيْرَهُ » فَفَعَلُوا . . إلخ . والله أَعلم وصلى الله على محمد .

شعرا :

فُـؤَادٌ ما يَقِـرُّ لَـهُ قَرَارٌ وأَجْفَـانٌ مَدَامِعُهَـا غِـزَارُ
ولَيْـلٌ طَـالَ بالأَنـكادِ حَتَّى ظننتُ الليلَ لَيسَ له نَهَارُ
ولِمَ لا والتُّقَى حُلَّتْ عُرَاهُ وبـانَ على بَنِيْهِ الانْكِسَارُ
لِيَبْكِ مَعِيْ على الدِّيْنِ البَوَاكِي فَقَدْ أَضْحَتْ مَوَاطِنُه قِفَارُ
وقدْ هُدَّتْ قَوَاعِـدُهُ اعْتِدَاءً وَزَالَ بِذَاكُمُوْا عنـه الـوَقَارُ
وَأَصْبَحَ لا تُقَامُ لهُ حُدُوْدٌ وأَمْسَى لا يُبَنَّ لَـهُ شِعَارُ
وَعَـادَ كما بَدَا فِيْنَا غَرِيْبـاً هُنَالِكَ مَالَـهُ في الخَلْقِ جَارُ
فقد نَقَضُوا عُهُودَهُمُوا جِهَـاراً وأَسْرَفُوا في العَدَاوَةِ ثم سَارُوْا

اللهم إِنَّكَ تَعْلَمُ سِرَّنَا وعَلاَنِيَتَنَا وتَسْمَعُ كَلاَمَنَا وتَرَى مَكَانَنَا لاَيخْفَى عَليكَ شيْءٌ مِن أَمْرِنَا نَحْنُ البُؤَسَاءُ الفُقَرَاءُ إِليكَ المستغيثونَ المستجيرونَ بكَ نَسْأَلك أَنْ تُقَيِّضَ لِدِيْنِكَ مَنْ يَنْصُرُهُ ويُزِيلُ مَا حَدَثَ مِن البِدَعِ والمُنْكَرَاتِ ويُقِيْمُ عَلَمَ الجِهَادِ ويَقْمَعُ أَهْلَ الزَّيْغِ والكُفْرِ والعِنَادِ ونَسْأَلُكَ أَنْ تَغْفِرَ لنَا ولِوَالِدِيْنَا وجميعِ المسلمين برحْمَتِكَ يا أَرحم الراحمين وصلى الله على محمد وآله وصحبه أجمعين .

٣٠ ـ وقِصَّةُ حَنِيْنِ الجِذْعِ مَا وَرَدَ عن جابرِ بنِ عبدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّ امْرَأَةً مِن الأَنصارِ قالَتْ لِرَسُولِ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم أَلا أَجْعَلُ لكَ شَيْئاً تَقْعُدُ عَلَيْهِ فإن لِيْ غُلاَماً نجَّاراً قال إِنْ شِئْت قالَ فَعمِلَتْ لَهُ المِنْبَرَ فَلَمَّا كانَ يومُ الجُمُعَةِ قَعَدَ النبيُّ صلى اللهُ عليه وسلم على المِنْبَرِ الذيْ صُنعَ فَصَاحَتِ النَّخْلَةُ التِي كَان يَخْطِبُ عِنْدَهَا حَتَّى كادَتْ أَنْ

تَنْشَقَّ فَنزَلَ النبيُ صَلىَّ الله عليه وسلم حتى أخذها فضَمَّها اليه فَجَعَلَتْ تئِنُ أنِيْنَ الصَّبيِّ الذي يُسَكَّتْ .

٣١ - وقصة عُكَّة أم سليم لِمَا وَرَدَ عن أنس عن أُمّهِ قالت كانَتْ لَنَا شَاةٌ جَمَعْتُ مِنْ سَمْنِها في عُكَّة فَملأْتُ العُكَّةَ ثُمَّ بَعَثْتُ بها مَعَ رَبِيْبَةٍ فَقَالَتْ ياربِيْبَةُ فَبَلِّغِيْ هَذهِ العُكَّةَ رَسُوْلَ اللهِ صَلَّى الله عليه وسلم يأْتَدِمْ بِهَا فانْطَلَقَتْ بِهَا الرَّبِيْبَةُ حَتَّي أتَتْ رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم فَقَالَتْ يَارسُولَ اللهِ هَذِهِ عُكَّةُ سَمْنٍ بَعَثَتْ بها إليكَ أمُّ سليم فقال أفرِغُوْا لَهَا عُكَّتُهَا فَفُرِّغَتْ العُكَّة فَدُفِعَتْ إليْهَا فانْطَلَقَتْ بِهَا .

وجاءَتْ وأمُ سُلَيْمٍ لَيْسَتْ في البَيْتِ فَعَلَّقَتْ العكةَ على وَتَدٍ فَجَاءَتْ أمُّ سُلَيْمٍ فَرَأتْ العُكَّةَ مُمْتَلِئَةً تَقْطُرُ فَقَالَتْ أمُّ سُلَيْم يَارَبِيْبَةُ ألَيْسَ أمَرْتُكِ أنْ تَنْطَلِقِيْ بها إلى رَسُول اللهِ صلى اللهُ عليه وسَلَّم فقالَتْ قَدْ فَعَلْتُ فإنْ لَمْ تُصَدِّقِيْنِي فَانْطَلِقِي فَسَلِيْ رَسولَ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم . فانْطَلَقَتْ وَمَعَهَا الرَّبِيْبَةُ .

فقَالَتْ يارسولَ اللهِ إنِّيْ قَدْ بَعَثْتُ مَعَهَا إليْكَ بعُكَّة فِيْهَا سَمْنٌ قالَ قَدْ فَعَلَتْ قَدْ جاءَتْ قَالَتْ والذِيْ بَعَثَكَ بالحَقِّ ودِيْنِ الحَقِّ إنَّها لَمُمْتَلِئَة تَقْطُرُ سَمْناً قالَ : فَقَالَ لها رَسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم « يا أُمَّ سُلَيْم أتَعْجَبِيْنَ إنْ كانَ اللهُ أطْعَمَكِ كَمَا أطْعَمَ نَبِيَّهُ كُلِيْ وأطْعِمِيْ » قالتْ فجِئْتُ إلى البَيْتِ فَقَسَمْتُ في قُعْبٍ لَنَا كَذَا وَكذا وتَرَكْتُ فِيهَا مَا ائتَدَمْنَا بِهِ شَهْرَيْن .

٣٢ - وقِصَّةُ طِيْبِ عُتْبَةَ صَاحِبِ رسول اللهِ صلى الله عليه وسلم قالتْ أمُّ عَاصِمٍ امْرأةُ عُتْبَةَ بْن فَرْقَد كنَّا عندَ عُتْبَةَ ثَلاَثَ نِسْوَةٍ مَا مِنَّا وَاحِدَةً

إلاّ وهِيَ تَجْتَهِدُ في الطِّيْبِ لِتَكُونَ أطيَبَ مِن صَاحِبَتِهَا وَمَا يَمس عُتْبَةُ بنُ فَرقَدٍ طِيْباً إلا أنْ يَلْتَمِسَ دُهْناً وكانَ أطيبَ رِيْحاً مِنّا فَقُلْتُ لَهُ في ذَلِكَ .

فَقَالَ أصابَنِي الشَّرَى « حِكَّةٌ في الجلْدِ » عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم فَأَقْعَدَنِي رَسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم بَيْنَ يَدَيْهِ فَتَجَرَّدْتُ وَأَلْقَيْتُ ثِيَابِيْ عَلَى عَوْرَتِي فَنَفَثَ رَسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم في كَفِّهِ ثُمَّ دَلَكَ بِهَا الأخْرَى ثُمَّ أَمَرَّهُمَا على ظَهْرِي فَعَبَقَ بِهَا مَا تَرَوْنَ .

٣٣ ـ وقِصَّةُ قَتَادَةَ بنِ النُّعْمَانِ فَعَن أَبِيْ سَعِيْدِ الخُدْرِي أَنَّ رسولَ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم خَرَجَ ذاتَ لَيْلَةٍ لِصَلاةِ العِشَاء وهَاجَتِ الظَّلْمَاءُ مِنْ السَّمَاءِ وبَرَقَتْ بَرْقَةٌ فَرَآي رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم قَتَادَة بنَ النُّعْمان فقَالَ رَسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم قَتَادَةُ ؟ قالَ نَعَمْ يارَسُولَ اللهِ عَلِمْتُ إنَّ شَاهِدَ الصلاةِ اللَّيلة قَلِيلٌ فَأَحْبَبْتُ أنْ أشْهَدَهَا .

فقالَ لَهُ رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم إذَا انْصَرَفْتَ فَأْتِنيْ فَلَمّا انْصَرَفَ أعْطاهُ رَسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم عِرْجُوناً وقال « خُذْهُ فَسَيُضِيءُ أَمَامَكَ عَشْراً وخَلْفَكَ عَشْراً » .

٣٤ ـ وقِصَّةُ أَبِي جَابِرٍ وهي ما وَرَدَ عن جابر بنِ عبدِ اللهِ رضي اللهُ عنه قَال تُوُفِّيَ أَبِيْ شَهِيْداً في أُحُدٍ وَعَلَيْه دَيْن فاسْتَعَنْتُ النبيَّ صلى اللهُ عليه وسلم على غُرمَائِهِ أنْ يَضَعُوْا مِن دَيْنِهِ فَطَلَبَ النبيُ صلى اللهُ عليه وسلم فَلَمْ يَفْعَلوُا فقال لِيْ النَّبِيُ صلَّى اللهُ عليه وسلم « اذْهَبْ فَصَنِّفْ تَمْرَكَ أصْنَافاً العَجْوَةَ على حِدَة وعِذْقَ زَيْدٍ عَلَىَ حِدَة » (أنْواعُ التَّمْرِ) .

ثُمَّ أرْسِل إليَّ قال جَابرُ : فَفَعَلتُ ثُمَّ أرْسَلْتُ إلى رَسُوْلِ الله صلى اللهُ عليه وسلم فَجَلَسَ على أعْلاهُ أَوْ فِي وَسَطِه ثُمَّ قالَ كِلْ لِلْقَوْمِ قال جابر فَكِلْتُهُمْ حَتّى أوْفَيْتُهم الذيْ لَهُمْ وبَقِيَ تَمْرِيْ كأنْ لَمْ يَنْقُصْ مِنْهُ شيءٌ .

٣٥ ـ وقِصَّةُ حاطِب بن أَبِيْ بَلْتَعَةَ وذَلِكَ أَنَّ رَسُوْلَ الله صلى اللهُ عليه عليه وسلم عِنْدَمَا أَعْلَمَ النَّاسَ أَنَّه سَائِرٌ إلى مَكَّةَ وأَمَرَهُم بالجِدِّ والتَّهيؤ وقال « اللَّهُمَّ خُذِ العُيُوْنَ والأَخْبارَ عن قُرَيْشٍ ، حَتَّى نَبْغَتَهَا في بلادِها » فلَمَّا أَجْمَعَ رَسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم عَلَىَ المَسِيْرِ ، كَتَبَ حَاطِبٌ كِتَاباً إلى قُرَيْشٍ يُخْبِرُهُمْ بالذِيْ أَجْمَعَ عَلَيهِ رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسَلَّمَ مِنَ الأَمْرِ بالسَّيْرِ إلَيْهِمْ .

ثم أعطَاه امْرَأَةً وجَعَلَ لَهَا عَطَاءً على أَنْ تُبَلِّغَهُ قُرَيْشاً فَجَعَلَتْهُ في رأْسِها ثُمَّ فَتَلَتْ عَلَيه قُرُوْنَها « جَدَائِلَها » .

وأتَى رَسُولَ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم الخَبَرُ مِنَ السَّماء بِمَا صَنَعَ حَاطِبٌ فَبَعَثَ رَسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم عَلِيَّ بنَ أَبِيْ طَالِبٍ والزُبَيْرَ بنَ العَوَّامِ رَضِيْ اللهُ عَنْهُمَا فقالَ أَدْرِكَا امْرَأَةً قدْ كتَبَ مَعَهَا حَاطِبٌ بنُ أَبِيْ بَلْتَعَة بكِتَابٍ إلىَ قُرَيْشٍ يُحَذِّرِهُمْ ما أَجمعنا عليه في أَمْرِهِمْ .

فَخَرجَا حَتَّى أَدْرَكَاهَا بالخَلِيْقَةِ « اسمُ مَوْضِعٍ » فاسْتَنْزَلاَهَا فَالْتَمَسَا في رَحْلِهَا فَلَمْ يَجِدا شَيْئاً فَقَالَ لَهَا عَلِيٌّ بنُ أَبِيْ طَالِبٍ إنِّيْ أَحْلفُ باللهِ ما كَذَبَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم ولا كَذَبْنَا وَلَتُخْرِجِنَّ لَنَا هَذَا الْكِتَابَ أَوْ لَنَكْشِفَنَّكِ .

فَلَمَّا رَأَتِ الجِدَّ مِنْهُمَا قَالَتْ أَعْرِضْ فَأَعْرَضَ فحلَّت قُرُوْنَ رَأْسِهَا فاسْتَخْرَجَتِ الكتابَ مِنْهَا فَدفَعَتْهُ إليْهِ فأَتَى بهِ رَسُولَ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم فَدَعَا رَسُوْلُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم حاطباً فقال يَا حَاطِبُ مَا حَمَلَكَ عَلَىَ هَذَا ! ؟ .

فقال يارسول الله أَما وَاللهِ إنِّي لمُؤمِنٌ باللهِ ورَسُولِهِ مَا غيَّرتُ وَلاَبَدَّلْتُ

وَلكِنِّيْ امْرؤٌ لَيْسَ لِيْ في القوْمِ مِن أَصْلٍ ولا عَشِيْرَةٍ وكانَ لِيْ بَيْنَ أظهرِهِمْ وَلَدٌ وَأَهْلٌ فَصَانَعْتُهُم عَلَيْهم

فقال عُمَرُ بنُ الخطاب يا رسولَ اللهِ دَعْنِي فَلأَضْربُ عُنَقَهُ فإنَّ الرَّجُلَ قَدْ نَافَقَ ، فقال رَسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم « وما يُدْرِيْكَ يا عُمَرُ لَعَلَّ اللهَ قَدْ اطلَّعَ إلى أَصْحَابِ بَدْرٍ فقال اعْمَلُوا ماشِئْتُم قَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ » فأَنْزَلَ اللهُ : (يا أَيُّها الذينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِيْ وعَدُوَّكم أوْلِيَاءَ) الآية . والله أعلم وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم .

٣٦ – وقِصَّةُ لَبَنِ أَهْلِ الصُّفةِ وذلكَ أَنَّ أبَا هُرَيْرَةَ قَعَدَ يَوماً عَلَى الطريقِ فمرَّ به رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم فَتَبَسَّمَ حِيْنَ رَآهُ وَعَرَفَ مَا في نَفْسِه وما في وَجْهِهِ ثم قال « يا أَبا هُرَيْرَةَ » قال قلتُ لَبَّيْكَ يارَسُولَ اللهِ قال إلحَقْ وَمَضَى فَتَبِعْتُه فاسْتَأْذَنَ فأُذِنَ لِيْ فَدَخَلَ فوجَدَ لبَناً في قَدَحٍ فقالَ مِنْ أَيْنَ هَذَا اللَّبَنُ قالوْا مِن فَلانٍ أَوْ فُلانةٍ .

قالَ أَبَا هِرّ قُلْتُ لَبَّيْكَ يارَسُولَ اللهِ قَالَ إلحَقْ إلى أَهْلِ الصُّفَّةِ فَادْعُهم لِيْ قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ فَسَاءَنِي ذَلِكَ فَقُلْتُ وَمَا هَذَا اللبنُ في أَهْلِ الصُّفةِ كُنْتُ أَحَقُّ أَنَا أَنْ أُصِيْبَ مِن هَذَا اللَّبَنِ شَرْبَةً أَتَقَوَّي بهَا فإذَا جَاؤُا أَمَرَنِيْ فَكُنْتُ أَنَا أُعْطِيْهِمْ وما عَسي أَنْ يَبْلُغَنِيْ مِن هَذَا اللَّبَنِ .

قال فأَتَيْتُهُمْ فَدَعَوْتُهُمْ فأَقْبَلُوا فاسْتَأْذَنُوا فَأُذِنَ لَهُمْ وأَخَذُوْا مَجَالِسَهم مِن البَيْتِ فقالَ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ قُلْتُ لبَّيْكَ يا رسُولَ اللهِ قال خُذْ فأَعْطِهِمْ قالَ فأَخذتُ القَدَحَ فَجَعَلْتُ أُعْطِي الرَّجُلَ فَيَشْربُ حَتَّى يَرْوَى ثم يَرُدُّ عَلَيَّ القَدَحَ . حتي انْتَهَيْتُ إلى النَّبِي صلى اللهُ عليه وسلم وَقد رَوِيَ القومُ كلُّهم .

فأَخَذَ القَدَحَ فَوَضَعَهُ على يَدِهِ فَنَظَرَ إليَّ فَتَبَسَّم فقال يَا أَبَا هِرٍّ قُلْتُ لَبَّيْكَ يارسُولَ الله قَالَ بَقِيتُ أَنَا وَأَنْتَ قُلْتُ صَدَقْتَ يَارَسُولَ اللهِ قال أُقْعُدْ فاشْرَبْ فَقَعَدْتُ فَشَرِبْتُ فقال اشْرَبْ فَشَرِبْتُ فلاَ زَال يَقُولُ اشْرَبْ حَتَّى قُلْتُ والذِي بَعَثَكَ بالحَقِّ مَا أَجِدُ لَهُ مَسْلَكاً .

قَالَ فَأَرِنِي فأَعْطَيْتُه القَدَحَ فَحَمِدَ اللهَ وَسَمَّى وشَرِبَ الفَضْلَةَ صلى الله عليه وسلم .

٣٧ ـ وقِصَّةُ طعام جَابِرٍ وَذَلِكَ ما وَرَدَ عَنْهُ قالَ لَمَّا حُفِرَ الخَنْدَقُ رَأَيْتُ بالنبي صلى الله عليه وسلم خَمْصاً شَدِيْداً فانْكَفَأْتُ إلى امْرَأَتِيْ فَقُلْتُ هَلْ عِنْدَكِ شَيْءٌ فإنِّي رَأَيْتُ رَسُولَ الله صلى اللهُ عليه وسلم خَمْصاً شَدِيْداً .

فأَخرَجَتْ إليَّ جِرَاباً فيه صَاعٌ مِن شَعِيرٍ ولَنَا بُهَيْمَةٌ دَاجِنٌ فَذَبَحْنَاها وطَحَنَتُ الشَّعِيرَ فَفَرَغَت إلى فِرَاغِيْ وقَطَّعْتُهَا في بُرْمَتِها ثُمَّ وَلَّيْتُ إلى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلم فَقَالَتْ لاتَفْضَحْنِي برَسُولِ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم فَجِئْتُه فَسَارَرْتُهُ فَقُلْتُ يارَسُولَ اللهِ ذَبَحْنَا بُهَيْمَةً لَنَا وطَحَنَّا صَاعاً مِن شَعِيْرٍ كانَ عِنْدَنَا فتعَالَ أَنْتَ ونَفَرٌ مَعَكَ .

فَصَاحَ النبيُ صلى الله عليه وسلم يَا أَهْلَ الخَنْدَقِ إنَّ جابِراً قَدْ صَنَعَ سُؤْراً فَحَيهلاً بِكُم !؟ فقال رَسُوْلُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم لاتُنْزِلُنَّ بُرْمَتَكُم ولا تَخْبِزُنَّ عَجِيْنَكُم حَتَّى أَجِيءَ فَجِئْتُ وجاءَ رسول الله صلى الله عليه وسلم يَقْدُمُ الناسَ حتى جِئْتُ امرأَتِيْ فقالتْ بِكَ وبِكَ فقلتُ قَدْ فَعَلتُ الذِيْ قُلْتِ فَأَخْرَجَتْ لَهُ عَجِيْناً فَبَصَقَ فِيْهِ وبارَكَ ثُمَّ عَمَدَ إلى بُرْمَتِنا فبصَقَ وبارَكَ .

ثم قال ادْعِي خَابِزَةً فَلْتَخْبِزْ مَعَكِ واقْدَحِي مِنْ بُرْمَتِكُم ولا تُنْزِلُوها

وَهُمْ ألفٌ فأُقْسِمُ باللهِ لَقَدْ أَكَلوُا حتَّى تَرَكُوهُ وانحَرفُوا وإنَّ بُرْمَتَنا لَتَغِطُّ كَمَا هِيَ وَإنَّ عَجِيْنَنَا لَيُخْبَزُ كَمَا هُوْ .

٣٨ – وعن عليٍّ رضِي الله عِنه قَال كُنْتُ شاكِياً فَمَرَّبِي رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم وأَنا أَقُوْلُ اللَّهُمَّ إنْ كَانَ أَجَلِيْ قَدْ حَضَرَ فَأَرِحْنِيْ وإنْ كان مُتَأَخِّراً فارْفَعْنِي وإنْ كَانَ بلاءٌ فَصَبِّرنِي .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسَلم كَيْفَ قُلْتَ فأَعادَ عليه ما قال فَضَرَبَهُ بِرِجْلِهِ وقال اللَّهم عَافِهِ أَوْ أشفِهِ شَكَّ شُعْبَةُ قال فَمَا اشْتَكَيْتُ وَجَعِيْ بَعْدُ . قال الترمذي حديث حسن صحيح .

٣٩ – ومِن ذلكِ رَدُّ عَيْنِ قَتَادَةَ بن النُّعْمَانِ فَقَدْ أُصيبت عَيْنُهُ في غَزْوَةِ أُحُد حَتَّى وَقَعَتْ على وِجْنَتِه فَرَدَّهَا النبيُ صلى اللهُ عليه وسلم فكانَتْ أَحْسَنَ عَيْنَيْه وأَحَدُّهُما نَظَراً وفي ذلك يَقُول ابْنُهُ :

أَنا ابنُ الذيْ سَالَتْ على الخَدِّ عَيْنُه ... فَرُدَّتْ بِكَفِّ المُصْطَفَى أَحْسَنَ الرَّدِّ
فَعَادَتْ كَمَا كَانَتْ لأَوَّلِ مَرَّةٍ ... فَيَا حُسْنَ ما عَيْنٍ ويَا حُسْنَ مَاخَدِّ

والله أَعلم وصلى الله على محمد وآله وسلم .

٤٠ – ومِن ذلك اسْتِسْقَاؤُهُ وَاسْتِصْحَاؤُه صلى اللهُ عليه وسلم . ففي الصحيحين عن أَنسٍ أَنه صلى اللهُ عليه وسَلم رَفَعَ يَدَيْهِ ثم قال : « اللَّهم أَغِثْنَا اللَّهم أَغِثْنَا » قال أَنسٌ والله ما نَرَىْ في السماء مِن سَحَابٍ ولا مِنْ قَزَعَة وانَّ السَّماءَ لَمِثْلِ الزُجَاجَةِ وما بَيْنَنَا وبَيْنَ سَلْعٍ مِن دَارٍ .

فوالذِي نَفْسِيْ بِيَدِهِ مَا وَضَعَ يَدَيْهِ حَتَّى ثَارَ السَّحابُ أَمْثَالَ الجِبَالِ ثُمَّ لَمْ يَنْزِل مِنْ مَنْبَرِه حتى رأَيتُ المَطَرَ يَتَحَدَّرُ عن لِحْيَتِهِ ، وفي رِوَايَةٍ أُخْرَى قال : « فلاَ وَاللهِ ما رَأَيْتُ الشَّمْسَ سَبْتاً قال : ثم دَخَلَ رَجُلٌ مِنذلكَ

البَاب في الجُمُعَةِ المُقْبِلَةِ فاسْتَقْبَلَهُ قائماً فقال يا رَسُولَ اللهِ هَلَكَتْ الأموالُ وانْقَطَعَتْ السُبُلُ فادْعُ اللهَ أنْ يُمْسِكَها عَنَّا ، قال فَرَفَعَ رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم يَدَيْه ثم قال : « اللهُمَّ حَوَالَيْنَا ولا عَلَيْنَا اللهم على الآكَامِ والظِّرَابِ وبُطُونِ الأَوْدِيَةِ ومَنَابِتِ الشَجَرِ » ، قال فَمَا يُشِيرُ بِيَدِهِ إلى نَاحِيَةٍ إلاَّ انْفَرَجَتْ حتَّى رَأَيْتُ المَدِيْنَةَ في مِثْلِ الجَوْبَةِ وسالَ الوَادِي قَنَاةَ شَهْرًا .

ومِنْ قَولِ أبَى طَالِبِ يَمْدَحُ النبيَّ صلى اللهُ عليه وسلم :

وأَبْيَضَ يُسْتَسْقَي الغَمَامُ بِوَجْهِهِ ... ثِمَالُ اليَتَامي عِصْمَةٌ للأَرَامِلِ

وهُوَ مِنْ قَصِيْدةٍ لأَبِي طَالِبٍ قالَهَا لَمَّا تَمَالأَتْ عَليهِ قُرَيْشٌ وَنَفَرُوا عنه وأَوَّلُها .

ولَمَّا رَأَيتُ القَوْمَ لاوِدَّ عِنْدَهُمْ ... وقَدْ قَطَعُوْا كُلَّ العُرَى والوَسَائِلِ

وَقَدْ جَاهَرُونا بالعَدَاوةِ والأَذَى ... وقد طَاوَعُوا أَمْرَ العَدُوِ المُزَائلِ

صَبَرْتُ لَهم نَفْسِي بَسمْرَاءَ سَمْحَةٍ ... وأَبْيَضَ عَضْبٍ مِن تُراثِ المَقَاوُلِ

وأَحْضَرْتُ عِندَ البَيْتِ رَهْطِي وإخْوَتِي ... وأَمْسَكْتُ مِنْ أَثْوَابه بالوَصَائِلِ

أَعُوذُ بِرَبِ النَاسِ مِنْ كُلِّ طَاعِنٍ ... عَلينَا بِسُوءٍ أَوْ مُلِحٍّ بِبَاطِلِ

لَقَدْ عَلِمُوْا أَنَّ ابْنَنَا لامُكَذَّبٌ ... لَدَيْنَا ولا يَعْنَي بقَوْلِ الأَبَاطِلِ

كَذَبْتُم وَرَبِّ العَرْشِ نَبْزِي مُحَمَّداً ... ولَمَّا نُطَاعِنْ عِندَهُ ونُنَاضِلِ

ونُسْلِمُهُ حتي نُصَرَّعَ دُوْنَهُ ... ونَذْهَلَ عن أَبْنَائِنَا والحَلاَئِلِ

ويَنْهَضَ قَوْمٌ بالحديد إليْكُمْ ... نُهُوضَ الرَّوايَا تَحْتَ ذَاتِ الصَّلاصِلِ

ويَنْهَضَ قَومٌ نَحْوَكُمْ غَيْرَ عُزَّلِ ... بِبِيْضٍ حَدِيْثٍ عَهْدُهَا بالصَّيَاقِلِ

وما تَرْكُ قَومٍ لا أَبَالَكَ سَيِّداً ... يَحُوطُ الذِّمَارَ غَيْرَ ذَرْبٍ مُوَاكِلِ

وأَبْيَضَ يُسْتَسْقَي الغَمَامُ بوَجْهِهِ ... ثِمَالُ اليَتَامَي عِصْمَةٌ لِلأَرَامِلِ

يَلُوذُ به الهُلاَّكُ مِن آلِ هَاشِمٍ ... فَهُم عندَهُ في رَحْمَةٍ وفَوَاضِلِ

لَعَمْرِي لقد كُلِّفْتُ وجْداً بأَحْمَدِ وإخْوَتِهِ دَأْبَ المُحِبِ المُوَاصِلِ
فَمَنْ مِثْلُه في الناسِ أيُّ مُؤَمَّلٍ إذَا قَاسَهُ الحُكَّامُ عِندَ التَّفَاضُلِ
حَلِيْمٌ رَشِيْدٌ عَادِلٌ غَيْرُ طَائِشٍ يُوَالِي إلهاً لَيْسَ عَنهُ بِغَافِلِ
ومِيزانُ حَقٍ مَا يَعُوْلُ شَعِيْرَةً وَوَزَّانُ حَقٍ وَزْنُهُ غَيرُ عَائِلِ
فَوَ اللهِ لَوْلاَ أَنْ أَجِيءَ بِسُبَّةٍ تَجُرُّ عَلى أَشْيَاخِنَا فِي المَحَافِلِ
لَكُنَا اتَّبَعْنَاهُ عَلى كُلِّ حَالَةٍ مِنَ الدَّهْرِ جِداً غَيْرَ قَوْلِ التَّهَازُلِ
فأَصْبَحَ فِيْنَا أَحْمَدُ ذُوْ أَرُوْمَةٍ تُقَصِّرُ عنها سَوْرَةُ المُتَطَاوِلِ
حَدَبْتُ بِنَفْسِي دُوْنَهُ وَحَمَيْتُهُ وَدَافَعْتُ عَنْهُ بالذُرَي والكَلاكِلِ
فأَيَّدَهُ رَبُّ العِبَادِ بنَصْرِهِ وَأَظْهَرَ دِيْناً حَقُّهُ غَيْرُ باطِلِ

٤١ ـ ومِن ذَلِكَ ما في غَزْوَةِ خَيْبَرَ مِن أَنَّه صلى اللهُ عليه وسلم أَرسَلَ إلى عَلِيٍ وهُوَ أَرْمَدَ فَبَصَقَ في عَيْنَيْهِ فَبَرِيءَ كأَنْ لم يَكُنْ بهِ وَجَعٌ .

٤٢ ـ وروى الامام أحمد عن أنسٍ قال جَاءَ جبريلُ إلى النبي صلى الله عليه وسلم ذاتَ يومٍ وهُو جالسٌ حَزِينٌ قدْ خُضِّبَ بالدماء ، ضَرَبَهُ بَعْضُ أَهْلِ مكةَ فَقَالَ مَالَكَ قالَ : فَعَلَ هَؤُلاء وفَعَلُوا ، قال : فقال لَهُ جِبْرِيْلُ أَتُحِبُّ أَنْ أُرِيكَ آيَةً ؟ قال نَعَمْ فَنَظَرَ إلى شَجَرَةٍ مِن وَرَاءِ الوَادِي فقال ادْعُ تِلْكَ الشَّجَرَةَ فَدَعَاهَا فَجَاءَتْ تَمْشِيْ حتى قامَتْ بَيْنَ يَدَيْه فقالَ مُرْها فَلْتَرْجعِ إلى مَكَانِها فقالَ لَهَا ارْجِعِيْ فَرَجَعَتْ حَتَّى عادَتْ إلى مَكَانِها فقال صلى الله عليه وسلم حَسْبِيْ . والله أعلم وصلى الله على محمد وآله وسلم .

٤٣ ـ ومنها اطْعَامُه صلى الله عليه وسلم الذينَ يَحْفِرُون الخَنْدَقَ مِن أَصحابهِ بتَمَرَاتٍ قَلِيْلَةٍ ، فَفِيْ كُتُبِ السِّيرِ وغَيْرِها أَنَّ ابْنَةً لِبَشِيْرِ بن سَعْدٍ أُختُ النُعْمَان بنِ بِشيرٍ ، قالتْ : دَعَتْنِيْ أُمِّيْ عَمْرَةُ بِنْتُ رواحَةَ

فأعْطَتْنِيْ حَفْنَةً مِنْ تَمرٍ في ثَوْبِي ، ثم قَالَتْ أي بُنَيَّةُ اذْهَبِيْ إلى أَبِيْكِ وخالِكِ عبدِ اللهِ بنِ رَوَاحَةَ بِغَدَائِهِما .

قَالتْ : فَأَخَذْتُها ، فانطَلَقْتُ بهَا ، فَمَرَرْتُ برسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم وَأَنَا التَمِسُ أَبِيْ وخَالِيْ . فقال « تَعَالَيْ يا بُنَيَّةُ ، ماهَذَا مَعَكِ ؟ » قالتْ : قُلْتُ يارسولَ اللهِ هَذَا تَمْرٌ بَعَثَتْنِيْ بهِ أُمِّيْ إلى أَبَيْ بَشِيْرُ بنُ سَعْد وخَالِي عَبْدِ الله بنِ رَوَاحَةَ يَتَغَدَّيَانِهِ ، قال « هَاتِيْهِ » قالَتْ فَصَبَبْتُه في كَفَّيْ رَسُولِ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم . فما مَلأَتْهُما .

ثمَّ أَمَرَ بِثَوْبٍ فَبُسِطَ لَهُ ، ثم دَحَا بالتَّمْرِ عليه فَتَبَدَّد فَوْقَ الثوبِ ثم قال لإنسانٍ عِنْدَه « اصْرَخْ في أَهْلِ الخَنْدَقِ ، أَنْ هَلُمَّ إلى الغَدَاءِ » فاجْتَمَعَ أَهْلُ الخَنْدَقِ عليهِ ، فَجَعَلُوا يأْكُلُونَ مِنهُ ، وجَعَلَ يَزِيْدُ ، حَتَّى صَدَرَ أهلُ الخَنْدَقِ عَنْه ، وإنَّه لَيَسْقُطُ مِن أَطْرَافِ الثوبِ .

٤٤ – ومِنها إِخْبَارُهُ صلى اللهُ عليه وسلم أَصْحَابَهُ قَبْلَ مَسِيْرِهِم إلى فَتْحِ مَكَّةَ وهُمْ يَتَجَهَّزُون لِلْمَسِيْر أَنَّه يَصِيرُ بَيْنَهُم وبَيْنَ قُرَيْشٍ دِمَاءٌ قَلِيْلَةٌ ، فكانَ الأَمرُ كَما أَخْبَرَ بِهِ صلى اللهُ عليه وسلم ، فإِنَّه وَقَعَ بَيْنَ بعضِ كتائِبِهِ حِيْنَ دُخُولِهم مَكَّةَ وبَيْنَ قَومٍ مِن قُرَيْشٍ قَعَدُوا بالخَنْدَمَة ، لِيَرُدُّوا النبي صلى الله عليه وسلم بِزَعْمِهِم عن دُخُولِ مَكَّةَ مُنَاوَشَةٌ قلِيْلَةٌ ، وقُتِلَ بعضُ المُشْرِكِيْنَ ، وانْهَزَمَ البَاقُونَ ، وقَدْ مَلَكَهُمُ الرُّعْبُ والذُّعْرُ وجَلَّلَهُم الخَوْفُ ، وحَدِيْثُهُم في خَبَرِ الفَتْحِ مَشْرُوْحٌ .

٤٥ – ومِنْهَا قَولُه صلى الله عليه وسلم لِأَصْحَابِه لَمَّا رَجَعَ الأَحْزَابُ خائِبِيْنَ « الآنَ نَغْزُوهُم ولا يَغْزُونَنَا » فكانَ الأَمْرُ كَمَا قالَ ، فإِنَّ قُرَيْشاً بَعْدَ ذَلِكَ لم يَرْجِعُوا إلى غَزْوِ المَدِيْنَةِ ، وإن رسول اللهِ صلى اللهُ عليهوسلم

توجه إِلَى مَكَّةَ عَامَ الحُدَيْبِيَةِ ، فَصَالَحُوه وهَادَنُوهُ ، ثم دَخَلَ مكة مِنْ قَابِلْ مَعَ أَصحابِهِ آمنين ، ثـمَّ فَتَحَهَا بَعْدَ ذَلِكَ .

٤٦ ـ ومِنْهَا إِخبارُهُ صلى الله عليه وسلم انَّ ابْنَتَهُ فَاطِمَةَ أَوَّلُ أَهلِ بَيْتِهِ لَحُوقاً به ، فكانَ كَذَلِكَ ، فإِنَهَا رَضِيَ اللهُ عَنْهَا تُوُفِّيَتْ بعْدَهُ بأَرْبَعِيْنَ يَوْماً ، أَوْخَمْسٍ وسَبْعِينَ يَوْماً ، أَوْ سِتَّةِ أَشْهُر ، على اخْتِلافِ الرِّوَايَاتِ ، ولَـمَ يُتَوَّف قَبْلَهَا أَحَدٌ مِن أَهْلِ بَيْتِهِ .

٤٧ ـ ومِن ذَلِكَ أَنَّ عَامِرَ بنَ الطُفَيْلِ ، وأَرْبَدَ بنَ قَيْسٍ ، وهُوَ أَخُوْ لَبِيْدُ بْنُ رَبِيْعَةِ ، وفَدَا على رسولِ الله صلى اللهُ عليه وسلم ، في قَوْمِهِمَا مِن بَنِي عَامِرِ ، فقال عَامِرٌ لأَرْبَدَ ، إِذا قَدِمْنا على مُحَمد ، فإِني شَاغِلٌ عَنكَ وجْهَهُ ، فاعْلُهُ أَنْتَ بالسَّيْفِ ، حتى تَقْتُلَه ، قال أَرْبَدُ أَفْعَلُ ثُمَّ أَقْبَلَ عَامِرُ يَمْشِي ، وكانَ رَجُلاً جَمِيْلاً ، حَتَّى قامَ على رَأْسِ رَسُوْلِ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم ، فقال يَا مُحَمَّدُ ، مالِيْ إِنْ أَسْلَمْتُ ، فقالَ لكَ مَا لِلإِسلامِ وعَلَيْكَ ما عَلَىَ الإِسلامِ ، قال أَلا تَجْعَلُنِي الوَالِيْ مِنْ بَعْدِكَ .

قال لَيْسَ ذَلِكَ لك ، وَلاَ لِقَوْمِكَ ، ولَكِنْ لَكَ أَعِنَّةِ الخَيْلِ ، تَغْزُوْ بِهَا ، قالَ أَوَ لَيْسَت لِيَ اليومُ ، ولَكِنْ اجْعَلْ لِي وَلَكَ المَدَدَ ، قال لَيْسَ ذَلِكَ لَكَ ، فَقَالَ قُمْ يا مُحَمَّدُ ، إلى هَهُنا ، فقَامَ إِليْهِ ، فَوَضَعَ عَامِرٌ يَدَهُ بَيْنَ مَنْكِبَيْه ، ثـمَّ أَوْمَأَ إِلَىَ أَرْبَدَ ، أَنْ اضْرِبْ ، فَسَلَّ أَرْبَدُ سَيْفَه ، قَرِيْباً مِنْ ذِرَاعٍ ، ثم أَمْسَكَ اللهُ يَدَهُ ، فلم يَسْتَطِعْ أَنْ يَسُلَّه ، ولا يُغْمِدَه .

فَالْتَفَتَ رسُولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى أَرْبَدَ ، فرَآهُ عَلَىَ مَا هُوَ عَلَيْه ، فقالَ اللَّهمَّ اكْفِنِيْهِمَا بمَا شِئْتَ اللَّهم اهْدِ بَنِيْ عامِرِ ، واغنِ الدِيْنَ عن عَامِرٍ ، فانْطَلَقَا وعَامِرٌ يَقُولُ ، وَاللهِ لأَملأَنَّها عَلَيْكَ خَيْلا دُهْماً ، وَوِرْداً ،

فقال رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم يَأْبَى اللهُ ذَلِكَ ، وأَبْنَاءُ قَيْلَةَ ، يَعْنِي الأنصارَ ، ثم قال عَامِرُ لأَرْبَدَ ، وَيْلَكَ لِمَاذَا أَمْسَكْتَ عَنْهُ ؟ فَقَالَ وَاللهِ مَا هَمَمْتُ بِهِ مَرَّةً ، إلا رَأَيْتُكَ ، ولا أَرَى غَيْرَكَ ، أَفَأَضْرِبُكَ بالسيف.

وسَارَ عَامِرُ ، فَطَرَحَ اللهُ عليهِ الطَّاعُونَ في عُنُقِهِ ، فَقَتَلَهُ ، في بَيْتِ امْرَأَةٍ مِنْ بَنِي سَلُولٍ ، وَجَعَل يَقُولُ يَا آلَ عَامِرٍ ، غُدَّةٌ كغُدَّةِ البَعِيرِ ، ومَوْتٌ في بَيْتِ سَلُولِيَّةٍ ، وانْتَهَتْ حَيَاتُهُ لَعَنَهُ اللهُ،وَأَمَّا أَرْبَدُ ، فَقَدِمَ على قومِهِ ، فقالُوا ما وَرَاءَكَ ، يا أَرْبَدُ ، فقالَ واللهِ لَقَدْ دَعَانَا مُحَمَّدٌ ، إلى عِبَادَةِ شَيءٍ ، لوَدِدْتُ أَنهُ عِنْدِيَ الآنَ ، فأَرْمِيَهُ بِنَبْلِي هَذَا ، حَتَّى أَقْتُلَهُ .

ثم خَرَجَ بَعْدَ مَقَالَتِهِ ، بيومٍ أَوْ يَوْمَيْنِ ، وَمَعَهُ جِمَالٌ لَهُ تَتْبَعُهُ فأَرْسَلَ اللهُ عليه صَاعِقَةً ، فأَحْرَقَتْهُ ، وقِيْلَ نَزَلَ في صَاعِقَتِهِ « هُوَ الذِيْ يُرِيْكُم البَرْقَ خَوْفاً وَطَمَعَاً – إلى قَوْلِهِ – ويُرْسِلُ الصَّواعِقَ فَيُصِيْبُ بها مَنْ يَشَاءُ» .

٤٨ – ومِنْها إِطْعَامُه صلى اللهُ عليه وسلم ، بَنِيْ المُطَّلِبِ بِذِراعِ جَزُوْرٍ وَعُسٍ مِنْ لَبَنٍ ، فَقَدَ ذَكَرَ أَهْلُ النَّقْلِ أَنه لَمَّا نَزَلَ على النبي صلى الله عليه وسلم (وأَنْذِرْ عَشِيْرَتَكَ الأَقْرَبِين) أَمَرَ علياً ، فقالَ لَهُ « يا عَلِيُّ إنَّ اللهَ أَمَرَنِي أَنْ أُنْذِرَ عَشِيْرَتِي الأَقْرَبِيْنَ ؛ فَضِقْتُ بذلكَ ذَرْعاً ، وعَرَفْتُ أَنيْ متَى أُبَادِيْهِمْ بهذا الأَمْرِ أَرَى مِنْهُم ما أَكْرَهُ ، فَصَمَتُّ عَلَيْهَا ، حَتَّى جَاءَنِي جِبْرِيْلُ ، فَقَال لِيْ يا مُحَمَّدُ إلاَّ تَفْعَلُ مَاتُؤْمَرُ بِهِ يُعَذِّبُكَ رَبُّكَ . فَاصْنَعْ لَنَا صَاعاً مِنْ طَعَامٍ ، واجْعَلْ عَلَيهَا رِجْلَ شَاةٍ ، وامْلأْ لَنَا عُساً مِنْ لَبنٍ .

ثُمَّ اجْمَعْ لِيْ بَنِي عَبْدِ المُطَّلِبِ حَتَّى أُبَلِّغَهُمْ مَا أُمِرْتُ بِهِ ، فَفَعَلْتُ مَاأَمَرَنِيْ بِهِ ، ثُمَّ دَعَوْتُهُمْ له وَهُمْ يَوْمَئِذٍ أَرْبَعُوْنَ رَجُلاً يَزِيْدُوْنَ رَجُلا أَو يَنْقُصُوْنَهُ ، فيْهِمْ أَعْمَامُهُ أَبو طَالِبٍ وَحَمْزَةُ والعَبَاسُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا

وَأَبُوْلَهَبٍ ، فَلَمَّا اجْتَمَعُوْا إِلَيْهِ ، دَعَانِيْ بالطَّعامِ الذِيْ صَنَعْتُهُ ، فَجِئْتَ بِهِ .

فَلَمَّا وَضَعْتُه تَنَاوَلَ رَسُولُ اللهِ صلى اللهُ عَلَيهِ وَسَلم جَذْيَةً مِنَ اللَّحْمِ فَشَقَّهَا بِأَسْنَانِهِ ، ثُمَّ أَلْقَاهَا في نَوَاحِيْ الصَّحْفَةِ ثم قال خُذْ بَاسْمِ اللهِ ، فَأَكَلَ القَوْمُ حَتَّى مَالَهُمْ بِشَيءٍ حَاجَةٌ ، وايْمُ اللهَ انْ كَانَ الرَّجلُ الوَاحِدُ مِنْهُم لَيَأْكلُ مِثْلَ ما قَدَّمتُ لَجمْيعِهِم .

ثُمَّ قَالَ اسْقِ القَوْمَ ، فَجِئْتُهُم بذَلِكَ العُس ، فَشَرِبُوا حَتَّى رَوَوْا جَمِيْعاً ، وايْمُ اللهِ انْ كَانَ الرَّجُلُ الوَاحِدُ مِنْهُم لَيَشْرَبُ مِثْلَهُ .

فَلَمَّا أَرَادَ رَسُولُ اللهِ صَلى اللهُ عليه وسلم أَنْ يُكَلِّمَهُمْ ، بَدَرَهُ أَبُوْلَهَب فَقَالَ سَحَرَكُمْ صَاحِبُكُم ، فَتَفرَّقَ القَومُ ، ولم يُكَلِّمْهُم رسولُ اللهِ صَلَّى اللهعليه وسلم .

فقال الغَدَ « يَا عَلِيُّ إِنَّ هَذَا الرُّجَلَ قَدْ سَبَقَنِي إلى مَا سَمِعْتَ ، فَتَفَرَّقَ القَومُ قَبْلَ أَن أكَلِّمهُمْ ، فَعُدْ لَنَا مِن الطَّعَامِ مَثلَ مَا صَنَعْتَ ثُمَّ اجْمَعْهُمْ » فَفَعَلْتُ ، ثُمَّ جَمَعْتُهُم ، فَدَعانِي بالطعَامِ ، فَقَرَّبْتُهُ فَفَعَلَ كَمَا فَعَلَ بالأَمْسِ : فأَكَلُوْا وشَرِبُوْا .

ثُمَّ تكلَّمَ رَسُولُ الله صلى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ فَقَالَ يا بَنِيْ عَبدِ المُطَّلِبِ إنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِخَيْرَي الدُنيا والآخِرَةِ ، وَقَدْ أَمَرَنِيْ اللهُ أَنْ أَدْعُوكُمْ إليهِ وَعَرَضَ عَلَيْهِمْ مُؤآزرَتَه على ذَلِكَ ، فَلَمْ يُجِبْهُ إلاَّ عَلِيُّ بنُ أَبِيْ طَالِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، فَهَذا مِنْ الأُمُوْرِ الخَارِقَةِ لِلْعَادَةِ ، أَظْهرَهُ اللهُ على يَدَيْ نَبِيِّهِ صَلى اللهُ عليهِ وَسَلَّمَ تَصْدِيْقاً لَهُ .

٤٩ ــ ومِنْهَا ما ذَكَرهُ في أَعْلاَمِ النُّبُوَّةِ ، أَنَّ مَعْمَرَ بنَ يَزْيد وكَانَ أَشْجَعَ قَومِهِ ، اسْتَغَاثَتْ به قَريشٌ ، وشَكَوْا إِليْهِ رَسُولَ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم ، وكَانَتْ بَنُوْ كِنَانَة تَصْدُرُ عن رَأْيِهِ ، وُتَطِيْعُ أَمْرَهُ : فَلَمَّا شَكَوْا

إليْهِ ، قَالَ لَهُمْ إنِّيْ قَادِمٌ إلى ثَلاَث ، وأُرِيْحُكُمْ مِنْهُ ، وعِنْدِيْ عِشْرُوْنَ أَلْفِ مُدَجَّجٍ ، فَلاَ أَرَي هَذَا الحَيّ ، مِن بَنِيْ هَاشِمٍ يَقْدِرُ عَلَى حَرْبِيْ .

وإنْ سَأَلُونِي الدِّيةَ ، أَعْطَيْتُهُمْ عَشر دِيَات ، فَفِيْ مَالِيْ سَعَةٌ وهُوَ مَشْهُوْرٌ بالشَّجَاعَةِ ، والبَأْسِ ، فَلَبِسَ يَوْمَ وَعْدِهِ قُرَيْشاً سِلاَحَهُ ، وظاهَرَ بَيْنَ دِرْعَيْن ، فَوَافَقَهُم بالحَطِيْمِ ، وَرَسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم في الحِجْرِ يُصَلِّيْ ، وقَدْ عَرَفَ ذَلِكَ ، فَمَا التَفَتَ ، ولا تَزَعْزَعَ ، ولا قَصَّر في صلاةِ .

فَقِيْلَ لَهُ هَذا مُحَمَّدٌ سَاجِدٌ ، فأَهْوَى إليْهِ ، وَقَدْ سَلَّ سَيْفَهُ ، وأَقْبَلَ نَحْوَه ، فَلَمَّا دَنَا مِنْه رَمَي بِسَيْفِهِ ، وعَادَ ، فَلَمَّا صَارَ إلى باب الصَّفَا ، عَثَرَ في دِرْعِهِ ، فَسَقَطَ ، فقَامَ وَقَدْ أَدْمَى وَجْهَهُ بالحِجَارَةِ ، يَعْدُوْ كأَشَدِّ العَدْوِ ، حَتَّى بَلَغَ البَطْحَاءَ ، مَا يَلْتَفِتُ إلى خَلْفٍ ، فَاجْتَمَعُوْا وَغَسَلُوا ، عن وَجْهِهِ الدَّمَ ، وقالُوْا : مَاذَا أَصَابَكَ ، قَالَ وَيْحَكُمْ ، المَغْرُوْرُ مَنْ غَرَرْتُمُوْهُ ، قَالُوا مَا شَأْنُكَ قالَ مَا رَأَيْتُ كاليَومِ ، دَعُوْنِيْ تَرْجِــعُ إليَّ نَفْسِيْ فَتَرَكُوْهُ ، سَاعَةً ، وقالُوا مَا أَصَابَكَ يَا أَبَا اللَّيْثِ ، قالَ إنِّيْ لَمَّا دَنَوْتُ مِنْ مُحَمَّدٍ ، فأَرَدْتُ أَنْ أُهْوِي بسَيْفِيْ إليْهِ ، أَهْوَى إليَّ مِنْ عِنْد رَأْسِهِ شُجَاعَانِ ، أَقرَعَانِ ، يَنْفخانِ بالنيِّرْانِ ، تَلْمَعُ من أبْصَارِهِمَا ، فَعَدَوْتُ فمَا كُنْتُ لأَعُوْدَ ، في شَيْءٍ مِن مَسَاءَةِ مُحَمَّدٍ .

٥٠ ــ قَالَ وَمِن أَعْلاَمِهِ :

أَنَّ كِلْدَةَ بنَ أَسَدٍ أَبَا الأَشَدِّ ، وَكَانَ مِنَ القوَّةِ بمكَان ، خَاطَرَقُرَيْشاً يَوْماً في قَتْلِ رَسُوْلِ اللهِ صَلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّم ، فأَعْظَمُوْا لَهُ الخَطَرَ ، إنْ هُوَ كَفَاهُمْ ، فَرَأَى رَسُوْلَ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم في الطَّرِيْقِ يُرِيْدُ المَسْجِدَ ، مَا بَيْنَ دَارِ عَقيلٍ ، وعِقَال ، فجَاءَ كِلْدَةُ ، ومَعَهُ المِزْرَاقُ ،

فَرَجَعَ المزراقُ في صَدْرِهِ ، فَرَجَعَ فَزِعاً ، فقالتْ لَهُ قُرَيْشٌ مَالَكَ يَا أَبَا الأَشَدِّ ، فَقَالَ وَيْحَكُم ، ما تَرَوْنَ الفَحْلَ خَلْفِيْ ، قالُوا لاَ مَا نَرَى شَيْئاً ، قال وَيْحَكُم فإنِي أَرَاهُ ، فَلَمْ يَزَلْ يَعْدُوْ حتَّى بَلَغَ الطائِفَ ، فاسْتَهْزَأَتْ به ثَقِيْفٌ ، فقال أَنَا أَعْذُرُكم ، لَوْ رَأَيْتُم مَا رَأَيْتُ لَهَلَكْتُمْ .

والله أعلم وصلى الله على محمد وعلى آله وسلم .

٥١ ـ ومنها ارْسَالُ الرِّيحِ الشَّدِيْدَةِ عَلَى الأَحْزَابِ ، وَهُمْ قُرَيْشٌ ، ومَنْ مَعَهُم يَوْمَ الخندقِ أَرْسَلَهَا اللهُ عَلَيْهِمْ لَيْلاً ، قَالَ عِكْرِمَةُ قَالَتِ الجَنُوبُ لِلشَّمَالِ لَيْلَةَ الأَحْزَابِ ، انطَلِقِي نَنْصُرُ رَسُولَ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم ، فَقَالَتْ الشَّمَالُ إِنَّ الحَرَّةَ لاتَسْرِي بلَيْلٍ ، وَكَانَتْ الرِّيحُ التِي أَرْسَلَهَا اللهُ عليهم الصَّبَا ، فَفَرُّوْا لِشِدَّتِها عن بَعْضِ أثقالِهِم وأَمْتِعَتِهِمْ ، ولَوْ أَقامُوْا إلى الصَّبَاحِ لَهَلَكُوا جَمِيْعاً .

وهُوَ المَدْلُوْلُ عَليه بقَوْلِهِ تَعالَى (يَا أَيُهَا الذِيْنَ آمنُوا اذْكُرُوْا نعمةَ اللهِ عليكم إِذْ جَاءَتْكُم جنُودٌ فأرسلنا عليهم رِيْحاً وجُنُوداً لم تَرَوْهَا وكان اللهُ بما تَعملونَ بَصِيرا) .

فَفِي خَبَرِ القِصَّةِ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلى اللهُ عليه وسلم لَمَّا رَأَى مِنْ أَصْحَابِهِ الجَزَعَ لِطُول الحِصَارِ ، صَعِدَ إلى الجَبَلِ فدَعَا اللهَ وكانَ فِيْمَا دَعَاهُ أَن قال « واصْرِف عنَّا شَرَّ هؤلاء القوم بِقُوَّتِكَ وحَوْلِكَ وقُدْرَتِكَ » .

فَنَزَلَ جِبْرِيْلُ يُخبِرهُ عن اللهِ بأَنَّهُ اسْتَجَابَ لَهُ وأَمَرَ اللهُ الرِّيحَ والملاَئِكَةَ أَنْ يَهْزِمُوْا قُرَيْشاً والأَحْزَابَ تلْكَ اللَّيْلَةِ ، فأَمَرَ صلى اللهُ عليه وسلم حُذَيْفَةَ بنَ اليَمَانِ أَنْ يَدْخُلَ مُعَسْكَرَهُم أَيْ قُرَيْشٍ ، ويأْتِيْ بأَخْبَارِهِم

وقالَ لَهُ إنَّ اللهَ عزَّ وَجَلَّ قَدْ أَخبَرَنِي أنّهُ أرسَلَ على قُرَيْشٍ الرِّيْحَ ، وَهَزَمَهُم .

قَالَ فدَخَلْتُ في القومِ والرِّيْحُ وَجُنُوْدُ اللهِ تَفعَلُ بهِمْ مَا تَفعَل لاتُقِرُّ لَهُمْ قِدْراً ، ولا نَاراً ، ولا بِنَاءً ، فَقَطَعَتْ أطْنَابَ الفُسْطَاطِ ، وقَلَعَتْ الأَوتَادَ ، وأَكْفَأَتِ القُدُوْرَ ، وجَالَتِ الخَيْلُ بَعْضُها في بَعْضٍ . وَكَثُرَ تَكْبِيْرُ المَلائِكَةِ في جَوَانِبِ المُعَسْكَرِ .

قَالَ وقَالَ أَبُو سُفْيَانَ يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ ، إنَّكُمْ وَاللهِ مَا أَصْبَحْتُم بِدَارِ مَقَامٍ ، لَقَدْ هَلَكَ الكُرَاعُ والخُفُّ ، وَلَقِيْنَا مِن شِدَّةِ الرِّيْحِ مَا تَرَوْنَ ، مَاتَطْمَئِنُ لَنَا قِدْرٌ ولا تَقُومُ لَنَا نَارٌ ، ولا يَسْتَمْسِكُ لَنَا بِنَاءٌ ، فارْتَحِلُوْا فإنِّي مُرْتَحِلٌ ، فَرُدُوْا بِغَيْظِهِمْ (وَكَفَى اللهُ المُؤْمِنِينَ القِتَالَ) .

فالبَارِي جَلَّ وعَلاَ ارْسَلَ الرِّيْحَ عَلَى أُولئكَ المُشْرِكِيْنَ ، نَصْراً لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عليه وسلم وتَصْدِيْقاً لِدَعْوَتِهِ ، واسْتِجَابَةً لِدُعَائِهِ ، لِعِلْمِهِ تَعالَى أَنَّ أَصْحَابَ مُحَمَّدٍ صلى اللهُ عليه وسلم ذلكَ اليومِ لايَقُوْمُونَ بِقِتَالِ أُولئِك فَفِي هَذِهِ مُعْجِزَةٌ عَظِيْمَةٌ .

٥٢ ــ ومِنْ ذَلِكَ مَا رَوَاهُ أَبُوْ هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عنه ، قَالَ لَمَّا فُتِحَتْ خَيْبَرُ ، أُهْدِيَتْ للنبي صلى الله عليه وسلم شاةٌ فيها سُمٌّ فقال « اجْمَعُوْا لِي مَنْ كَانَ هُنَا مِنَ اليَهُوْدِ » فَجُمِعُوا ، فقال لَهُمْ « إنِي سَائِلُكم عن شَيْءٍ ، فَهَلْ أَنْتُمْ صَادِقِيَّ عَنْهُ ؟ » قَالُوا نَعَمْ ، يَا أَبَا القَاسِمِ ، فقال لَهُمْ « مَنْ أَبُوكُمْ ؟ » قالُوا : فُلاَنٌ . قال : « كَذَبْتُمْ ، أَبُوكُمْ فُلانٌ » قالُوا صَدَقْتَ ، وَبَرَرْتَ ، قالَ « فَهَلْ أَنْتُمْ صَادِقِيَّ عَنْ شَيْءٍ إنْ سَأَلْتُكُمْ عَنْهُ ؟ » قالُوا : نَعَمْ ، وَإنْ كَذَبْنَاكَ عَرَفْتَ ، كَمَا عَرَفْتَهُ في أَبِيْنَا ، قالَ لَهُمْ « مَنْ أَهْلُ النارِ ؟ » قالُوا نَكُونُ فِيْهَا يَسِيْرا ، ثُمَّ تَخْلُفُونا فِيْهَا .

قَالَ « اخْسَئُوا فِيهَا ، واللهِ لانَخْلفُكُمْ فِيهَا أَبَدًا » قالَ « هَلْ أَنْتُم صَادِقِيَّ عَنْ شَيْءٍ إنْ سَأَلْتُكُمْ عَنْهُ ؟ » قالوُا نَعَمْ ، قَالَ « هَلْ جَعَلْتُم في هَذِهِ الشَاةِ سُمّاً ؟ » قَالوُا : نَعَمْ . قالَ « فَمَا حَمَلَكُمْ على ذَلِكَ ؟ » قَالوُا : أَرَدْنَا إنْ كُنْتَ كَاذِباً نَسْتَرِيْحُ مِنْكَ ، وإنْ كنتَ صَادِقاً لَمْ يَضُرُّك » رواه البخاري .

٥٣ – ومِنْ ذلكَ مَا وَرَدَ عَن صَفْوانِ بنِ عَسَّالٍ : قالَ بَعْضُ اليَهُودِ لِصَاحِبِهِ ، اذْهَبْ بِنَا إلى هَذَا النَّبِي ، فَقَالَ لَهُ صَاحِبُهُ ، لاتَقُلْ نَبِيٌّ ، إنَّه لَوْ سَمِعَكَ كانَ لَهُ أَرْبَعَةُ أَعْيُنٍ ، فَأَتَيَا النَّبِيَّ صلى اللهُ عليه وسلم فسأَلاَهُ عَن تِسْعِ آياتٍ بَيِّنَات .

فقال لَهُمْ « لاَتُشْرِكُوا باللهِ شَيْئًا ، ولا تَسْرِقُوا ، ولا تَزْنُوا ، ولا تَقْتُلوُا النَّفْسَ التي حَرَّمَ اللهُ إلاَّ بالحَقِّ ، ولا تَمْشُوْا بِبَرِيءٍ إلى ذِيْ سُلْطانٍ لِيَقْتُلَه ، ولا تَسْحَرُوْا ، ولا تَأْكُلُوا الرِّبا ، ولا تقذِفُوا مُحْصَنَةً ، ولا تُوَلُّوا الأَدْبارَ يَوْمَ الزَّحْفِ ، وعَلَيْكُم خَاصَّةً اليَهُوْدُ ، أَنْ تعْدُوْا يومَ السَّبْتِ » فَقَبَّلا يَدَهُ ، ورِجْلَهُ ، وقالاَ : نَشْهَدُ أَنَّكَ نَبِيٌّ .

فقالَ « مَا يَمْنَعُكُمَا أَنْ تَتْبَعَانِيْ ؟ قالاَ إنَّ دَاوُدَ دَعَا رَبَّهُ ، أَنْ لاَيَزَالَ مِن ذُرِّيتِهِ نَبِيٌّ ، وَإنا نَخَافُ إن اتَّبعناكَ ، تَقْتُلُنَا اليَهُودُ ، للترمذي والنسائي .

٥٤ – وعن جَابر قال غَزَوْنا مَعَ النبي صلى اللهُ عليه وسلم غزاةً قِبَلَ نَجْد ، فأَدْرَكْنَا النبيّ صلى الله عليه وسلم في القَائِلةِ في وَادٍ كَثِيْرِ العِضَاه ، فَنَزَلَ تَحْتَ شَجَرَةٍ ، فَعَلَّقَ سَيْفَهُ بغُصْنٍ مِنْ أَغْصَانِها .

وتَفَرقَ النَّاسُ في الوَادِيْ . يَسْتَظِلُّون بالشَّجَرِ ، فقال صلى الله عليه وسلم : « إنَّ رَجُلاً أَتَانِيْ وَأَنَا نائِمٌ ، فَأَخَذَ السَّيْفَ ، فاسْتَيْقَظْتُ ، وهُوَ قَائِمٌ

على رَأْسِيْ ، والسَّيْفُ صَلْتاً في يَدِهِ ، فَقَالَ مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّيْ ، قُلْتُ اللهُ ، فَشَامَ السَّيفُ فَهَا هُوَ ذا جَالِسٌ» ثمَّ لَمْ يَعْرُضْ لَهُ وكَانَ مَلِكَ قَوْمِهِ ، فانْصَرَفَ حِيْنَ عَفَى عَنْهُ ، فقال لا أكونُ في قَوْمٍ هُمْ حَرْبٌ لَكَ ، متفق عليه .

٥٥ ـ وَمِنْهَا إخْبَارُهُ صلى الله عليه وسلم أَنَّ الأَرْضَةَ أَكَلَتْ مِنْ صَحِيْفَةِ قريشٍ ما فيه ظُلْمٌ ، وقَطِيْعَةُ رَحِمٍ .

وأَبْقَتْ مَا فِيْهَا مِنْ أَسْمَاءِ اللهِ تعالى .

ومِن حَدِيْثِهَا أَنَّ قُرَيْشاً كَتَبُوا فِيْما بَيْنَهُمْ صَحِيْفَةً بأَنْ لا يَبِيْعُوا بَنِيْ هَاشِمٍ ، وَلاَ يَبْتَاعُوْا مِنهم ، ولا يُنَاكِحُوهُم ، ولا يُكلموهم ، أَوْيَدْفَعُوْا إِلَيْهِمْ مُحَمَّداً لِيَقْتُلوه ، ودَفَنُوْهَا في الكَعْبَةِ ، فَقَامَ أَبُوْ طَالِبٍ ومَنْ مَعَه بِحِمَايَةِ النبي صلى اللهُ عليه وسلم ، فَبَقُوْا مَحْصُوْرِيْنَ في الشِّعْبِ سَنَتَيْنِ أَوْ ثَلاثاً .

قال ابنُ هِشَامٍ وقدْ ذَكَرَ بعضُ أَهْلِ العِلْمِ أَن رسولَ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم قال لأَبِي طَالِبٍ : ياعَمِّ ، إنَّ اللهَ قَدْ سَلَّطَ الأَرْضَةَ على صَحِيْفَةِ قُرَيْشٍ فلَمْ تَدَعْ فِيْهَا اسْماً هُوَ للهِ إلاَّ أَثْبَتَتْهُ فِيْهَا ، ونَفَتْ مِنْهَا الظُّلْمَ ، والقَطِيْعَةَ ، والبُهْتَانَ ، فقالَ أَرَبُّكَ أَخْبَرَكَ بِهَذَا ، قال نَعَمْ ، قالَ فَوَاللهِ مَا يَدْخُلُ عَلَيْكَ أَحَدٌ .

ثمَ خَرَجَ إلى قُرَيْشٍ فقال يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ ، إنَّ ابنَ أَخِيْ أَخْبَرنِيْ بكَذَا وكَذَا فَهَلُمَّ صَحِيْفَتَكُم ، فإنْ كَانَتْ كَمَا قالَ ابْنُ أَخِيْ فانتَهُوْا عن قَطِيْعَتِنَا ، وانْزِلُوا عَمَّا فِيْهَا ، وانْ كانَ كَاذِباً ، دَفَعْتُ إِليكُمْ ابنَ أَخِيْ ، فقالَ القَومُ رضِيْنا ، فَتَعَاقَدُوا على ذَلِكَ .

ثم نظَرُوْا فإذا هِيَ كَمَا قال صلى اللهُ عليه وسلم ، فزَادَهُمْ ذَلِكَ شَراً فَعِنْدَ ذلكَ صَنَعَ الرَّهطُ مِنْ قُرَيْشٍ في نَقْضِ الصَّحِيْفَةِ ما صَنَعُوا .

٥٦ ـ ومِنْهَا ما رُوي عَنْهُ صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنَّه قَالَ لِعَليّ يَوْمَ أُحُدٍ بَعْدَ انْجِلاَءِ الهَيْجاءِ ، إنَّ قريشاً لَنْ يُصِيبُوا مِنَّا مِثْلَهَا بَعْدَ هَذا ، حَتَّى يَفْتَحَ اللهُ عَلَيَنا مَكَّةَ ، فكانَ الأَمرُ كَمَا قَالَ ، فإنَّهُ لَمْ تُصِبْ قُرَيْشٌ مِنْ أَصْحَابِ النبي صلى اللهُ عليه وسلم بَعْدَ أُحُدٍ مَا أَصَابَتْ مِنْهُمْ يَوْمَ أُحُدٍ .

وَمَا زَالَ أَمرُ النَّبي صلى اللهُ عليه وسلم يَعْلُو عَلَيْهم حَتَّى غَزَاهُم في عُقْرِ دَارِهِم ، وَمَحَلِّ قَرَارِهِم ، وَلَمْ يَسْتَطِيعُوا دَفْعَهُ ، بل اسْتَأْسَرُوْا لَهُ رَاغِمِيْنَ ، فَمَنَّ عَلَيْهِم فَأَطْلَقَهُم من حِبَالَةِ القَتْلِ ، وأعْتَقَهُم مِن رِقِّ الأَسْرِ ، ونَادَاهُمْ وهُم مَرْعُوبُونَ « أخرُجُوْا فَأَنْتُمُ الطَّلَقَاءُ » وذَلكَ يَوْمَ فَتْحِ مكةَ بالسَّنَةِ الثامِنةِ مِن الهِجرة .

٥٧ ـ ومِنْ ذَلِكَ ما وَرَدَ عَنْ عَائِشَةَ رضِي الله عنها ،أنها قالتْ لِلنَّبي صلى الله عليه وسلم ، هَلْ أتَى عَلَيكَ يَوْمٌ كانَ أشد مِنْ يَوْمِ أُحُدٍ ، قال « لَقَدْ لَقِيْتُ مِن قَوْمِكِ ، وكانَ أَشَدَّ مَا لَقِيْتُهُ منهم يومَ العَقَبَةِ ، اذْ عَرَضْتُ نَفْسِيْ على ابنِ عَبْدِ ياليْل ، بنِ عَبْدِ كِلاَل ، فلَمْ يُجِبْنِيْ إلى مَا أَرَدْتُ ، فانْطَلَقْتُ ، وأنا مَهْمُومٌ على وَجْهِيْ ، فَلَمْ اسْتَفِقْ الاَّ وَأنَا بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ ، فرَفَعْتُ رأسِيْ ، وَإذا أَنَا بسَحَابَةٍ قَدْ أَظَلَّتْنِي ، فَنَظَرتُ فإذا فِيْهَا جِبْرِيْلُ عليه السلامُ ، فَنَادَانِيْ ، فقال إن اللهَ تعالى قَدْ سَمِعَ قَولَ قَومِكَ لَكَ ، وما رَدُّوْا عَلَيْكَ ، وَقَدْ بَعَثَ اليْكَ مَلَكَ الجِبَالِ ، لِتَأْمُرَهُ بما شِئْتَ فِيْهِم ، فَنَادَانِيْ مَلَكُ الجبالِ ، فسلَّمَ عليَّ ، ثم قال : يا مُحَمَّدُ ، إنَّ اللهَ قد سَمِعَ قَولَ قَوْمِكَ لك ، وأَنَا مَلَكُ الجِبَال ، وقد بَعَثَنِيْ رَبيِّ إليْكَ لِتأمُرَنِيْ بأَمْرِكَ ، فَمَا شِئْتَ ، إنْ شِئْتَ أَطْبَقْتُ عَلَيْهِمُ الأَخشَبَيْن » فقال النبي صلى الله عليه وسلم « بَلْ أَرْجُوْ ، أَنْ يخرجَ اللهُ مِن أَصلابِهِمْ ، مَنْ يَعْبُدُ اللهَ وَحْدَهُ ، لايُشْرِكُ به شَيْئاً » متفق عليه .

٥٨ ـ ومِنْ ذَلِكَ ما وَرَدَ عَن سُهَيْلَ بن أبي صَالِحٍ عن أبيهِ ، عن أبي هُرَيْرة قال : صَعِدَ النبيُّ صلى الله عليه وسلم حِرَاءَ ، ومَعَه أَبُو بكرٍ ، وعُمَرُ ، وعُثمانُ ، وعليٌّ ، وعبدُ الرحمن بنُ عوف ، والزبيرُ ، وطلحةُ ، وسعيدٌ ، فَتَحَرَّكَ الجبلُ . فقال النبي صلى الله عليه وسلم اسْكُنْ حِرَاءَ ، فَلَيْسَ عَلَيْكَ إلا نَبِيٌّ أَوْ صِدِّيق ، أَوَ شَهِيْدٌ ، فَسَكَنَ الجَبَلُ .

٥٩ ـ ومِنْ اعلامِ نُبُوَّتِهِ صلى الله عليه وسلم أَنَّهُ بَعَثَ خالدَ بنَ الوليدِ مِن تَبُوْكٍ ، في أَرْبَعِ مِائةٍ وعِشْرِيْنَ فارِساً ، إلى أُكَيْدِرِ دَوْمَةِ الجَنْدَل ، مِن كِنْدَةَ ، فَقَالَ خالدٌ يا رسولَ اللهِ ، كَيْفَ لِيْ بِهِ وَسَطُ بلادِ كَلْبٍ ، وَإنَّما أَنَا في عَدَدٍ يَسِيْرٍ ، فقال سَتَجِدُهُ يَصِيْدُ البَقَرَ ، فَتَأْخُذَهُ ، فَخَرَجَ خالدٌ ، حتَّى إذا كانَ مِنْ حُصْنِهِ بِمَنْظَرِ العَينِ ، في لَيْلَةٍ مُقْمِرَةٍ صَافِيَةٍ ، وهُو عَلَى سَطْحٍ لَهُ ، مِنْ شِدَّةِ الحَرِّ ، مَعَ امْرَأَتِهِ ، فَأَقْبَلَتِ البَقَرُ ، تَحُكُّ بِقُرُوْنِها بابَ الحِصْنِ ، فقَالَ أُكَيْدِرِ دَوْمَة : واللهِ مارَأَيْتُ بَقَراً جاءَتْنَا لَيْلاً غيرَ هَذِهِ اللَّيْلَةِ ، لَقَدْ كُنْتُ أُضَمِّرُ لَهَا الخَيْلَ ، إذا أَرَدْتُهَا شَهْراً أَو أَكْثَرَ ، ثُمَّ نَزَلَ فَرَكِبَ بالرِّجالِ ، والآلةِ ، فَلَمَّا فَصَلُوا مِنَ الحِصْنِ ، وَخَيْلُ خالدٍ تَنْظُرُ اليهم ، لايَصْهَلُ مِنْها فَرَسٌ ولا يَتَحَرَّكُ ، فَسَاعَةَ فَصَلَ ، أَخَذَتْهُ الخَيْلُ ، فاسْتُؤْسِرِ أُكَيْدِرُ دَوْمَة .

قال ابن القيم رحمه الله تعالى :

يا قَومُ فَرْضُ الهِجْرَتَينِ بحَالِهِ	والله لم يُنْسَخْ إلى ذَا الآنِ
فالهِجرةُ الأولَى إلى الرحَمن	بالإِخْلاَصِ في سِرٍ وفي إعــلانِ
حتَّى يكونَ القصدُ وجْهَ الله	بالأَقْوالِ والأَعمالِ والإِيمانِ
ويكونَ كلُ الدينِ للرحمن ما	لِسواهُ شيءٌ فيه مِن إنسانِ
والحُبُّ والبُغْضُ اللذَيْنِ هُمَا لِكُ	لِي ولايَةٍ وعَــداوةٍ أَصْــلاَنِ

لله أيضاً هَـكذَا الإعْطَـاءُ   وَالسَّمْعُ اللذانِ عَلَيْهِمَا يَقِفَـانِ

واللهِ هَـذا شَطْرُ دِينِ اللهِ والتَّ   حْكِيمُ لِلْمُخْتَـار شَطْرٌ ثانِ

والهجرةُ الأُخْرَي إلى المَبْعُوثِ باْ   إسْلامِ والإِيمـانِ والإحسانِ

أتَرَوْنَ هذي هِجْرَةَ الأَبْدَانِ لا   واللهِ بل هِيَ هِجْرَةُ الإيمانِ

قطعُ المَسَافَةِ بالقُلُوبِ إليه في   دَرَكِ الأُصُولِ مَعَ الفُرُوْعِ وذانِ

أبداً إليهِ حُكْمُهَا لا غَيْرُهُ   فالحُكْمُ ما حَكَمَتْ به النَّصَانِ

يا هجرةً طالَتْ مَسَافَتُهَا على   مَنْ خُصَّ بالحِرمَانِ والخُذْلانِ

يا هِجْرةً طَالَتْ مَسَافَتُها على   كَسْلانَ مَنْخُوبِ الفُؤادِ جَبَانِ

يا هَجْرةً والعَبْدُ فَوْقَ فِرَاشِهِ   سَبَقَ السُّعَاةَ لمِنزِلِ الرِّضْوَانِ

سَارُوا أَحَثَّ السَيْرِ وهُو فَسَيْرُهُ   سَيْرَ الدَّلِيْلِ وَلَيْسَ بالذَّمِلانِ

هَـذَا وتَنْظُرُهُ أَمَـامَ الرَّكْبِ   كَالْعَلَمِ العَظِيمِ يُشَافُ في القِيْعَانِ

رُفِعَتْ لَهُ أعلامُ هَاتِيْكَ النُصُوْ   صِ رُؤُوسُها شَابَتْ مِن النِّيرانِ

نارٌ هِيَ النُوْرُ المُبِيْنُ ولَمْ يَكُنْ   لِيَراهُ إلا مَنْ لَهُ عَيْنَـانِ

مَكْحُولتان بِمِرْوَدِ الوَحْيَيْنِ لا   بِمَرَاوِدِ الأَرَاءِ والهَـذَيَانِ

فلِذَاكَ شَمَّرَ نَحْوَهَا لَمْ يَلْتَفِتْ   لا عن شَمَائِلِهِ ولا أَيْمَـانِ

يَا قومُ لَو هَاجَرْتُمُوْا لَرَأَيْتُمُ   أَعْلامَ طَيْبَةَ رُؤْيَةً بعِيَـانِ

ورَأَيْتُمُ ذاكَ اللِّوَاءَ وتَحْتَهُ الْ   رُسْلُ الكِرامُ وعَسْكَرُ الإيْمَـانِ

أَصحابَ بَدْرٍ والأُولَى قَدْ بَايَعُوا   أزكَي البَرِيَّةِ بَيْعَةَ الرِّضْوَانِ

وكَذَا المُهَاجِرَةُ الأُولَى سَبَقُوا كَذَا الْ   أَنْصَارُ أَهْلُ الدارِ والإِيْمَانِ

والتَّابِعُونَ لَهُم بإحْسَانٍ وسَا   لكُ هَـدْيِهِمْ أبداً بِـكُلِ زَمَانِ

لَكِنْ رَضِيتُمْ بالأَمَانِي وابْتُلِيْتُم باْ   حُظُـوظِ ونَصْرةِ الاخْـوَانِ

بَلْ غَرَّكُم ذَاكَ الغَرُوْرُ وسَوَّلَتْ   لكُم النُفُوسُ وسَائِسُ الشَّيْطانِ

ونَبَذْتُم غِلَّ النُصُوصِ وَرَاءكُمْ ... وقَنِعْتُمُ بقِطَارَةِ الآذانِ

وتَرَكْتُمُ الوَحْيَيْنِ زُهْداً فِيهِمَا ... ورَغِبْتُمُ في رَأْيِ كُلِّ فُلانِ

وعَزَلْتُمُ النَّصَّيْنِ عَمَّا وُلِّيَا ... لِلْحُكْمِ فيه عَزْلَ ذِي عُدْوَانِ

وزَعَمْتُم أَنْ لَيْسَ يَحْكُم بَيْنَنَا ... إلا العُقُولُ وَمَنْطِقُ اليُونانِ

حَتَّى إِذَا انْكَشَفَ الغِطَاءُ وحُصِّلَتْ ... أعْمَالُ هذا الخَلْقِ بالمِيزَانِ

وإذا انْجَلَى هَذا الغُبَارُ وصَارَ مَيْ ... دَانُ السِّبَاقِ تَنَالُه العَيْنَانِ

وبَدَتْ على تِلكَ الوُجُوهِ سِمَاتُهَا ... وسْمَ المَلِيْكِ القَادِرِ الدَّيَّانِ

مُبْيَضَّةً مِثْلَ الرِّيَاضِ بجَنَّةٍ ... والسُّوْدُ مِثْلَ الفَحْمِ لِلنِّيْرانِ

فهُنَاكَ يَعْلَمُ رَاكِبٌ ما تَحْتَهُ ... وهُنَاكَ يُقْرَعُ نَاجِذُ النَّدْمَانِ

وهُنَاك تَعْلَم كُلُّ نَفْسٍ مَا الذِي ... مَعَهَا مِن الأَرْبَاحِ والخُسْرَانِ

وهُنَاكَ يَعْلَمُ مُؤْثِرُ الآراءِوالشَّ ... طحاتِ والهَذَيانِ والبُطْلانِ

أيَّ البَضَائِعِ قد أَضَاعَ وما الذي ... مِنْهَا تَعَوَّضَ في الزَمَانِ الفَانِ

سُبْحَانَ رَبِّ الخَلْق قاسِمِ فَضْلِهِ ... والعَدْلِ بَيْنَ الناسِ بِالمِيْزَانِ

لَو شَاءَ كان النَاسُ شَيْئاً واحداً ... مَا فِيْهِمُ مِن تَائِهٍ حَيْرَانِ

لَكِنَّه سُبْحَانَه يَخْتَصُّ بالْفَضلِ ... العظيم خُلاَصةَ الإِنسانِ

وسِوَاهُمُ لا يَصْلُحونَ لِصَالِحٍ ... كالشَّوكِ فَهْوَ عِمَارَةُ النِّيْرانِ

وعِمَارةُ الجناتِ هُمْ أَهلُ الهُدَى ... اللهُ أَكْبَرُ لَيْسَ يَسْتَوِيَانِ

فسلِ الهِدَايَةَ مَنْ أَزِمَّةُ أَمْرِنَا ... بِيَدَيْهِ مَسْأَلَةَ الذلِيْلِ العَانِ

وَسَلِ العِيَاذَ مِن اثْنَتَيْنِ هُمَا اللتَا ... نِ بُهُلْكِ هَذا الخلَقِ كَافِلَتَانِ

شَرِّ النفوسِ وسَيءِ الأَعْمَالِ مَا ... وَاللهِ أَعظُمُ مِنهُمَا شَرَّانِ

ولَقَد أَتَى هَذا التَّعَوُّذُ مِنْهُمَا ... في خُطْبَةِ المَبْعُوثِ بالقُرآنِ

لو كانَ يَدْري العَبْدُ أَنَّ مُصَابَهُ ... في هذِهِ الدنيا هُما[1] الشَّرانِ

---

(١) في الأصل هو . والصواب هما .

جَعَلَ التَّعَوُّذَ مِنهُمَا دَيْدَانَهُ حَتَّى نَرَاهُ دَاخِلَ الأَكْفَانِ

اللهم ثَبِّتْ مَحَبَّتَكَ في قلوبنا وقَوِّهَا ووفقنا لِشُكرِكَ وذِكْرِكَ وارزقنا التأَهُّبَ والاسْتِعْدادَ لِلِقَائِكَ واجْعَلْ خِتَامَ صَحَائِفِنَا كَلِمَةَ التَّوْحِيدِ واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين برحمتك يا أرحم الراحمين وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

٦٠ ـ ومِنْها أَخْذُ اللهِ المُشْرِكِيْنَ المُسْتَهْزِئينَ بالنَّبي صلى اللهُ عليه وسلم بما شَغَلَهُم عنه وأزَالَ مَنْعَهم إيَّاهُ عن تَبْلِيْغِ الرِّسالةِ ، وهُوَ المُشَارُ إليْهِ بقوَلِهِ تعالى (إنَّا كَفَيْنَاكَ المُسْتَهْزِئِينَ) .

وهُمْ خَمْسَةُ نَفَر مِن رُؤَسَاءِ قُرَيْشٍ ، الوَلِيْدُ بنُ المُغِيرَةِ الْمَخْزُوْمِي ، وكانَ رَأسَهم ، والعَاصُ بنُ وَائِلٍ السَّهْمِي ، والأَسْودُ بنُ عَبْدِ المُطَّلِبِ ابنِ الحَارِثِ بنِ أَسَدِ بنِ عَبْدِ العُزي بن زَمعَةَ .

وكانَ رَسولُ الله صلى اللهُ عليه وسلم قَدْ دَعَا عَلَيْهِ ، فقال « اللَّهم اعْمِ بَصَرَهُ ، وأَثْكِلْه بِوَلَدِه » والأَسْوَدُ بنُ عَبْدِ يَغُوثَ بنِ وَهْبٍ ، والحَارِثُ بنُ قَيْسِ بنِ الطَّلاَطِلَة .

فأَتَى جِبْرِيْلُ النبَّي صلى الله عليه وسلم والْمُسْتَهزِؤُن يَطُوفُونَ بَالبَيْتِ .

فَقَامَ جِبْرِيْلُ إلى جَنْبه ، فمرَّ به الوَلِيْدُ بنُ المُغيْرَةِ ، فقال جِبْرِيلُ يا مَحمدُ كَيفَ تَجدُ هَذَا ، فَقَالَ « بِئْسَ عَبْدُ اللهِ » ، فقال قد كفيته ، وَأَوْمَأَ إلى سَاقِ الوَلِيْدِ ، فمرَّ برَجُلٍ مِن خُزَاعَةَ نَبَّالٍ يَرِيْشُ نِبَالَهُ ، وعَلَيهِ بُرْدٌ يَمَانيٌ ، وهُوَ يَجُرُّ ازارَهُ . فَتَعَلَّقَتْ شظْيَةٌ من نَبْلِه بإزاره ،

فَمَنَعَهُ الكِبْرُ أَنْ يُطأْطِيءَ رَأسَهُ فَيَنْزِعُهَا وَجَعَلَتْ تَضْرِب سَاقَهُ ، فَخَدَشَتْهُ ، فمَرِضَ مِنْهَا فَمَاتَ .

ومَرَّ بِهِ العَاصُ بنُ وَائِلٍ ، فَقَالَ جِبْرِيْلُ كَيْفَ تجدُ هَذَا يا مُحَمَّدَ ، قال « بِئْسَ عَبْدُ اللهِ » ، فأَشَارَ جبريْلُ إلى أَخْمُصِ رِجْلَيْهِ ، وقَال قَدْ كفيته ، فَخَرَجَ على رَاحِلَتِه ، ومَعَهُ ابْنَان لَهُ يَتَنَزَّه ، فَنَزَلَ شِعْباً مِن تِلْكَ الشِّعابِ ، فَوَطِيءَ على شُبْرُقَة ، فدَخَلتْ مِنْها شَوْكَةٌ في أَخْمُصِ رِجْلِهِ ، فَقَالَ لُدِغْتُ لُدِغْتُ ، فَطَلَبُوا فَلَمْ يَجِدُوا شَيْئاً ، وانْتَفَخَتْ رِجْلُهُ ، حَتَّى صَارَتْ مِثْلَ عُنُقِ البَعِيْرِ ، فمَاتَ مَكَانَهُ .

فَمَرَّ بِهِ الأَسْوَدُ بنُ عَبْدِ المُطَّلِبِ ، فَقَالَ جِبْريلُ كَيْفَ تَجِدُ هَذَا يَا مُحَمَّدُ ، قال « بِئْسَ عَبْدُ الله فأَشَارَ بيدَه إلى عَيْنَيْه ، وقال : قد كفيته ، فَعَمِيَ ، قال ابنُ عَباسٍ رَمَاهُ جِبْرِيْلُ بَوَرَقَةٍ خَضْراءَ ، فَعَمِي فَذَهَبَ بَصَرُهُ ، وَوَجِعَتْ عَيْنَاهُ ، فجعَل يَضْرِبُ بِرَأْسِهِ الجدارَ ، حَتَّى هَلَكَ .

ومَرَّ بِهِ الأَسْوَدُ بنُ عَبْدِ يَغُوْثَ ، فَقَالَ جِبْرِيْلُ كَيْفَ تَجِدُ هَذَا يا مُحَمَّدُ ، قال « بِئْسَ عَبْدُ اللهِ عَلَى أَنَّه ابنُ خالِيْ » فقال : قَدْ كُفِيْتَهُ . وَأَشَارَ إلى بَطْنِهِ ، فاسْتَسْقَي بَطْنُه فَمَاتَ ، وَمَرَّ بِهِ الحَارِثُ بنُ قَيْسٍ فقال جِبْرِيْلُ كَيْفَ تَجِدُ هَذَا يَا مُحَمَّدُ ، فقال « عَبْدَ سُوْءٍ » فأَوْمَأَ إلى رأسِهِ ، وقَالَ قَدْ كَفِيْتَهُ ، فامْتَخَطَ قَيْحاً ، فَقَتَلَهُ ، وَقِيْلَ أَكَلَ حُوْتاً مَالِحاً ، فَلَمْ يَزَلْ يَشْرَبُ حَتَّى انقَدَّ بَطْنُهُ .

٦١ – ومِن أَعْلَامِ نُبُوَّتِهِ صلى اللهُ عليه وسلم ، ما رُوِيَ أَنَّ الحَطمَ – واسْمُهُ شُرَيْحُ بنُ ضبيْعَةَ ، البَكْرِي – أَتَى المدينةَ ، وخَلَّفَ خَيْلَهُ خارِجَ المَدِيْنةِ ، ودَخَلَ وحْدَهُ ، على النبي صلى اللهُ عليه وسلم ، فقال لَهُ إلامَ

تَدْعُو الناسَ ، فقال « إلى شَهَادَةِ أَنْ لاَإلهَ إلا اللهُ وأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللهِ وإقامِ الصلاةِ وإيتاءِ الزكاةِ » .

فقال حَسَنٌ ، ولكِنْ أَنْظِرْنِيْ ، فلِيَ مَنْ أُشَاوِرُهُ ، فلا أَقْطَعُ أَمْراً دُونَهُم ولَعَلِّيْ أُسْلِمُ ، وَآتِي بِهِمْ ، وكَانَ النبي صلى اللهُ عليه وسلم قدْ قَالَ لأَصْحَابِهِ « يَدْخُلُ اليومَ عَلَيْكم رَجُلٌ مِن رَبِيْعَةَ يَتَكَلَّم بِلِسَانِ شَيْطَانٍ » ثم خَرَجَ شُرَيْحٌ ، مِن عِنْدِهِ ، فقالَ رَسولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم « لقَدْ دَخَلَ بوَجْهِ كافِرٍ ، وخَرَجَ بِقَفَا غادِرٍ ، وَمَا الرَّجُلُ بِمُسْلِمْ » فَمَرَّ بِسَرْحِ المَدِيْنَةِ . فاسْتَاقَهُ ، وانطَلقَ ، فاتَّبَعُوهُ فلم يُدْرِكُوهُ .

فَلَمَّا كانَ العامُ القَابِلُ ، خَرَجَ حاجاً ، في حُجَّاجِ بَكْرِ بنِ وَائِلٍ ، مِنَ اليَمَامَةِ ، وَمَعَهُ تِجَارَةٌ عَظِيْمَةٌ ، وقَدْ قَلَّدُوا الهَدْيَ ، فقالَ المُسْلِمُونَ لِلنبي صلى اللهُ عليه وسلم هَذَا الحَطْمُ ، قدْ خَرَجَ حَاجاً ، فخَلِّ بَيْنَنَا وبَيْنَهُ .

فقَالَ النبي صلى اللهُ عليه وسلم « إنَّهُ قَلَّد الهَدْيَ » فَقَالُوا يا رَسُولَ اللهِ ، هَذَا شيءٌ كنَّا نَفْعَلُه في الجَاهِلِيَّةِ ، فأَبَى النَّبيُّ صلَى اللهُ عليه وسَلَّم ، فأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ (يا أَيها الذين آمنوا لاتُحِلُّوا شَعَائِرَ اللهِ ، ولا الشَّهْرَ الحَرَامَ ، ولا الهَدْيَ) الآية .

٦٢ ـ ومِنْ أَعْلاَمِ نُبُوَّتِهِ صلى اللهُ عليه وسلم ، قَوْلُهُ في لَيْلَةِ الإِسْرَاءِ ، حِيْنَ أَصْبَحَ « إنَّ مِن آيةِ مَا أَقولُ لكُمْ ، إنِّي مَرَرْتُ بِعِيْرٍ لَكُمْ ، فِي مَكَانِ كذَا وكَذا ، وقَدْ أَضَلُّوا بَعيراً لَهُمْ ، فَجَمَعَهُ لَهُم فُلانٌ ، وإِنَّ مَسِيْرَهُم يَنْزِلُون بِكَذَا ، ثمَّ كذا ، ويأْتُونكُم يَوْمَ كَذَا وكَذَا ، يَقْدُمُهُمْ جَمَلٌ آدَمُ ، عَلَيْهِ مِسْحٌ أَسْوَدْ ، وَغِرَارَتَانِ ، سَوْدَاوَانِ » فلَمَّا كانَ ذَلِكَ اليَوْمُ ، أَشْرَفَ الناسُ يَنْظُرُونَ ، حِيْنَ كانَ قَرِيْباً مِنْ نِصْفِ النهارِ ، حَتَّى أَقْبَلَتِ العِيْرُ ، يَقْدُمُهم ذَلِكَ الجَمَلُ ، الذِيْ وَصَفَهُ رَسُولُ اللهِ عليهوسلم .

فكَانَ كَمَا أَخبرَ .

٦٣ - ومِن ذَلِكَ دَعَاؤُه صَلَّى اللهُ عليه وسلم عَلَى أَفْرَاد مِنْ المُشْرِكِيْنَ أَصْحَابِ القَلِيْبِ ، فَعَنِ ابنِ مَسْعُوْدٍ رَضِيَ اللهُ عنه قالَ : بَيْنَمَا رَسُوْلُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم يُصَلِّي عِندَ البَيْتِ ، وأَبُو جهْلٍ ، وَأَصحَابُهُ ، جُلُوسٌ وقَدْ نُحِرتْ جَزُوْرٌ بالأَمْسِ ،فقَالَ أَبُوجَهْلٍ ،أَيُّكُمْ يَقُوْمُ إلى سَلاَجَزُوْرِ بَنِيْ فُلاَنٍ ، فَيَضَعَهُ بَيْنَ كَتِفَيْ مُحَمَّدٍ إذَا سَجَدَ ، فَانْبَعَثَ أَشْقَى القَوْمِ فأَخَذَهُ .

فَلَمَّا سَجَدَ النَبيُّ صلى اللهُ عليه وسَلم وَضَعَهُ بَيْنَ كَتِفَيْهِ ، فاسْتَضْحَكُوا وجَعَلَ بَعْضُهم يَمِيْلُ على بَعْضٍ ، وأَنَا قائِمٌ أَنْظُرُ ، لوْ كَانَتْ لِي مَنَعَةٌ ، طَرَحْتُه عَنْ ظَهْرِهِ ، والنبي صلى اللهُ عليه وسلم ، ما يَرْفَعُ رَأْسَه ، حَتَّى انْطَلَقَ انْسَانٌ إلى فَاطِمَةَ رَضِي اللهُ عَنْهَا .

فَجَاءَتْ وهِيَ جُوَيْرِيَةٌ ، فَطَرَحَتْهُ عَنْهُ ،ثُمَّ أَقْبَلَتْ عَلَيْهِمْ تَشْتُمُهم ،فَلَمَّا قضَي صَلاتَهُ صلى اللهُ عليه وسلم ، رَفَعَ صَوْتَهُ ، ثم دَعَا عَلَيهم ، وكَانَ . إذَا دَعَا ، دَعَا ثلاثَ مَرَّاتٍ ، وإذَا سَأَلَ سَأَلَ ثَلاَثاً ، فقال اللَّهُم عَلَيْكَ بقُرَيْشٍ ، فَلَمَّا سَمِعُوْا صَوْتَهُ ، ذَهَبَ عَنْهُمْ الضَّحِكُ ، وخَافُوا دَعْوَتَهُ .

ثَم قَالَ اللَّهُم عَلَيْكَ بأَبِي جَهْلِ بن هِشَامٍ ، وَعُتْبَةَ بنِ رَبِيْعَةَ ، وشَيْبَةَ بن رَبِيْعَةَ . والوَلِيدِ بن عتبَةَ ، وأمية بنِ خلف ، وعقبةَ بن أَبَي مُعِيطٍ ، وَذَكَرَ السَّابِعَ ، ولَم أَحْفَظْهُ ، فَوَ الذِي بَعَثَ مُحَمَّداً صلى اللهُ عليه وسلم بالحَقِّ ، لَقَدْ رَأَيْتُ الذِيْنَ سَمَّى صَرْعَى يَوْمَ بَدْرٍ .

ثم سُحِبُوا إلى القَلِيْبِ ، (قَلِيْبِ بَدْر) أَخْرَجَهُ الشَّيْخَانِ والنسائي تيسير الوصول ج ٤ ص ٢١٦ .

٦٤ - ومِن ذَلِكَ ما في صَحِيْحِ البُخَارِي ، عن يَزِيْدَ بن أَبِيْ عُبَيْد ،

قَالَ : رَأَيْتُ أَثَرَ ضَرْبَةٍ فِي سَاقِ سَلَمَةَ ، فَقُلْتُ : يا أَبَا مُسْلِم ما هَذِهِ الضَّرْبَة ، فَقَال هَذِهِ ضَرْبَةٌ أَصَابَتْنِي يَوْمَ خَيْبَرَ فقال الناس : أُصِيْبَ سَلَمَةُ ، فَأَتَيْتُ رَسُوْلَ اللهِ صلى اللهُ عليه وسَلَّمَ فَنَفَثَ فِيْهِ ثلاثَ نَفَثَات فَمَا أَشْتَكِيْهَا حَتَّى السَاعَةَ .

٦٥ ـ ومِنْ ذَلِكَ أَنَّهُ صَلى اللهُ عَلَيْهِ سَلَّمَ لمَّا أَرَادَ الهِجْرَةَ ، خَرَجَ مِنْ مَكَّةَ ، ومَعَهُ أَبُوْ بَكْرٍ فَدَخَلَ غَاراً فِي جَبَلِ ثَوْرٍ ، لِيَسْتَخْفِيْ مِن قُرَيْشٍ ، وَقَدْ طَلَبَتْهُ ، وبَذَلَتْ لِمنْ جَاءَ بِهِ مِائَةَ نَاقةٍ ، فأَعَانَهُ اللهُ بإِخْفَاءِ أَثَرَهُ ، وَنَسَجَتِ العَنْكَبُوْتُ عَلَىَ باب الغَارِ .

ولَمَّا خَرَجَ ، لَحِقَهُ سُرَاقَةُ بنُ مَالِكِ بنُ جُعْشُمٍ ، وَهُو مِن جُمْلَةِ مَنْ توجَّه لِطَلَبِهِ ، فقال أَبوُ بَكْرٍ هذا سُرَاقَةُ قَدْ قَرُبَ ، فقالَ رَسُولَ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم « اللَّهُمَّ اكْفِنَا سُرَاقَةَ » فَأَخَذَتِ الأَرْضُ قَوَائِمَ فَرَسِهِ إِلى ابْطِهَا ، فقالَ سُرَاقَةُ ، يَا مُحَمَّدُ ادْعُ اللهَ أَن يُطلِقَنِيْ ، وَلَكَ عليَّ أَنْ أَردَّ مَنْ جَاءَ يَطْلُبُكَ ، ولاَ أُعِيْنُ عَلَيْكَ أَبَداً ، فقالَ « اللَّهم إِنْ كَانَ صَادِقاً فأَطْلِقْ عَنْ فَرَسِهِ » فأَطْلَقَ اللهُ عنه ، ثمَّ أَسْلم سُرَاقَةُ ، وحَسُنَ اسْلامُهُ .

٦٦ ـ ومِنْ ذَلِكَ ما ذَكَرَهُ الماوَرْدِيْ فِي أَعلامِ النُّبُوَّةِ ، مِنْ أَنَّ أَبَالَهَبِ خَرَجَ يوماً ، وقَدْ اجْتَمَعَتْ قُرَيْشٌ ، فقالُوا لَهُ يَا أَبَا عُتْبةَ ، إِنَّكَ سَيِّدُنَا ، وأَنْتَ أَوْلَى بمُحَمَّد مِنَّا ، وَإِنَّ أَبَا طَالِبٍ ، هُوَ الحَائِلُ بَيْنَنَا وبَيْنَهُ ، ولَوْ قَتَلْتَهُ لَمْ يُنْكِر أَبُو طالِب ، ولا حَمْزَةُ ، مِنْكَ شَيْئاً ، وأَنْتَ بَرِيءٌ من دَمِهِ ، نُوَدِّيْ نَحْنُ الدِّيَةَ ، وَتَسُودُ قَوْمَكَ ، فقال فإِنِي أَكْفِيْكُمْ . فَفَرِحُوا بذلكَ ، وَمَدَحَتْهُ خُطَبَاؤُهُم .

فَلَما كَانَ فِي تِلكَ اللَّيْلَةِ ، وَكَانَ مُشْرِفاً عَلَيْهِ ، نَزَلَ أَبُوْ لَهَب ،

وَهُوَ يُصَلِّيْ وَتَسَلَّقَتِ امْرَأَةُ أَبِيْ لَهَب ، أُمُّ جَمِيل الحَائِطَ ، حَتَّى وَقَفَتْ على رسول الله صلى اللهُ عليه وسلم ، وَهُوَ سَاجِدٌ فَصَاحَ بِهِ ، أَبُو لَهَبٍ ، فلَمْ يَلْتَفِتْ إِلَيْهِ ، وَهُمَا كَانَا لاَيَنْقُلاَن أَقْدَامَهُمَا ، ولا يَقْدِرَانِ عَلَى شَيْءٍ ، حَتَّى تَفَجَّرَ الصُّبْحُ ، وفَرَغَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم ، فَقَالَ لَهُ أَبُو لَهَبٍ يا مُحَمَّدُ ، أَطْلِقْ عَنَّا ، فقال « مَا كُنْتُ لأُطْلِقَ عَنْكُمَا ، أَوْ تَضْمَنَا لِيْ أَنكُمَا لاتُؤْذِيَانِيْ » قالاَ : قَدْ فَعَلْنَا ، فَدَعَا ربَّه فَرَجَعَا .

٦٧ ـ ومِنْ ذَلِكَ أَنَّ النَّاسَ لَمَّا انْهَزَمُوا عَن رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلم يَوْمَ حُنَيْنٍ ، وهُوَ مُعْتَزِلٌ عَنْهُم ، رآه شيبةُ بْنُ عُثْمَانَ ، بنُ أَبِي طَلْحَةَ ، فقال اليَوْمَ أُدْرِكُ ثَأْرِيْ مِن مُحَمَّدٍ ، فأَقْتلَه ، لأَنَّ أَبا شَيْبَةَ قُتِلَ يَوْمَ أحد في جَمَاعَة اخوته وَأَعْمَامة ، قالَ شَيْبَةُ فلَمَّا أَرَدْتُ قَتْلَهُ ، أَقْبَلَ شَيءٌ حَتَّى تَغَشَّى فُؤَادِيْ فَلَمْ أُطِقْ ذَلِكَ فَعَلِمْتُ أَنَّهُ مَمْنُوْعٌ .

والله أعلم وصلى الله على محمد وآله وسلم .

٦٨ ـ ومِن ذلِكَ قِصَّةُ أَبَي جَهْلٍ وَحَجَرِهِ ، فَفِي السِّيْرَةِ النَّبَوِيَّةِ أَنَّ أَبَا جَهْل قالَ يَوْماً ، يامَعْشَرَ قُرَيْشٍ ، إنَّ مَحَمَّداً قدْ أَبَي إلاَّ ما تَرَوْنَ ، مِنْ عَيْبِ دِيْنِنَا ، وشَتْم آبائِنَا ، وتَسْفِيْهِ أَحْلاَمِنَا ، وشَتْم آلِهَتِنَا ، وَإِنيِّ أُعَاهِدُ اللهَ لأَجْلِسنَّ لَهُ غَداً ، بِحَجَرٍ ما أُطِيْقُ حَمْلَهُ ، فإِذَا سَجَدَ في صَلاتِهِ ، فَضَخْتُ بِهِ رَأْسَهُ ، فأَسْلِمُونِي عِندَ ذَلِكَ ، أَو امْنَعُونِي ، فليَصْنَعْ بَعْدَ ذَلِكَ عَبْدُمَنَافٍ ما بَدَا لَهُم ، قالُوا : واللهِ لانُسلِمُك لِشَيْءٍ أَبَدَا ، فامْضِ لِمَا تُرِيْدُ .

فَلَمَّا أَصْبَحَ أَبُو جَهْلٍ أَخَذَ حَجَرَاً كَمَا وَصَفَ ، ثمَّ جَلَسَ لِرَسُولِ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم يَنْتَظِرُهُ ، وَغَدَا رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم كَمَا كَانَ يَغْدُوْ ، فقَامَ يُصَلِّي . وقَدْ غَدَتْ قُرَيْشٌ ، فَجَلَسُوا فِي أَنْدِيَتِهِم ،

يَنْتَظِرُوْنَ ، مَا أَبُو جَهْل فَاعِلٌ ، فَلَمَّا سَجَدَ رَسُولُ الله صلى اللهُ عليه وسلم . احْتَمَلَ أَبُو جَهْلِ الحَجَرَ ، ثُمَّ أَقْبَلَ نَحْوَهُ ، حَتَّى إذا دَنا مِنْهُ ، رَجَعَ مُنهزِماً ، مُنْتَقِعاً لَوْنُهُ ، مَرْعُوْباً ، قَدْ يَبِسَتْ يَدَاهُ على حَجَرِه حَتَّى قَذَفَ الحَجَرَ مِن يَدِهِ .

وقَامَ إليْه رِجَالٌ مِن قُرَيْشٍ فَقَالُوا لَهُ : مَالَكَ يا أَبَا الحَكَمْ ، قال : قُمْتُ إليه لأَفعلَ بِهِ ما قُلْتُ لكم البارحَةَ ، فلَمَّا دَنَوْتُ منه ، عَرَضَ لِيْ دُوْنَه ، فَحْلٌ من الإِبل ، لا واللهِ ما رَأَيْتُ مِثْلَ هامَتِهِ ، ولا قِصْرَته ، ولا أَنْيَابه ، لِفَحْلٍ قَطُّ ، فَهَمَّ بي أَن يأْكُلَنِيْ ، وَرُوِيَ أَن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ذلك جبريلُ لو دنا لأَخَذَهُ .

٦٩ ـ ومنها قِصَّةٌ أُخْرَى مَعَ أَبي جَهْلٍ فعن أَبي هريرةَ ، قال : قال أَبُو جَهْلٍ ، هَلْ يُعَفِّرُ محمدٌ وجْهَهُ بينَ أَظْهُرِكم ؟ قالُوا : نَعَمْ . قَالَ : فقَالَ واللاتِ والعُزَّي ، لَئِنْ رأَيتُه يُصَلِّي كذلكَ لأَطَأَنَّ على رَقَبَتِهِ ، وَلأُعَفِّرنَّ وجْهَهُ في التُرَاب ، فأَتَى رَسُولَ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم ، وهو يُصَلِّيْ لِيَطَأَ على رَقَبَتِهِ ، قال فَمَا فَجَأَهُم مِنْه إلاوَهُوَ يَنْكُصُ عَلى عَقِبَيْه ، وَيَتَّقِيْ بِيَدَيْهِ .

قالَ : فَقِيْلَ لَهُ مَالَكَ ، فقالَ : إنَّ بَيْنِي وبَيْنَهُ خَنْدَقاً مِن نَارٍ ، وهَوْلاً ، وَأَجْنِحَةً ، قالَ فقال رسول الله صلى اللهُ عليه وسلم « لَوَ دنا مِنِّي لاخْتَطَفَتْهُ المَلائِكَةُ عُضْواً عُضْواً » قَالَ : فَأَنْزَلَ اللهُ لاَ أَدْرِيْ فِي حَدِيْثِ أَبِيْ هُرَيْرَةَ أَمْ لاَ (كَلاَّ إنَّ الانْسَانَ ليطغى) إلى آخر السورة .

٧٠ ـ ومِنْ أَعْلاَم نُبُوَّتِهِ صلى اللهُ عليه وسلم ، مَا يَلِي : قَالَ مُحَمَّدُ بنُ كَعْبِ القُرَظِيْ ، حُدِّثْتُ أَنَّ عُتْبَةَ بْنَ رَبِيْعَةَ كانَ سَيِّداً حَلِيْماً ، قالَ يَوْماً وهُوَ جَالِسٌ ، في نَادِيْ قُرَيْشٍ ، ورَسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم جالسٌ ،

وَحْدَهُ في المَسْجِدِ ، قال يَامَعْشَرَ قُرَيْش ، ألاَ أَقومُ إلى مُحَمَّدٍ ، وَأُكَلِّمهُ ، وأعْرِضُ عَلَيْهِ أُمُوْراً ، لَعَلَّهُ يَقْبَلَ مِنَّا بَعْضَها فَنُعْطِيَهُ ، ويَكُفَّ عَنَّا ، وذَلِكَ حِيْنَ أَسْلَمَ حَمْزَة ، وَرَأَوْا أَصْحَابَ رَسُوْلِ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم ، يَزِيْدُوْنَ ، ويَكْثُرُوْنَ .

فَقَالُوا بَلَىَ ، يَا أَبَاالوَلِيْدِ ، فَقُمْ إلَيْهِ فَكَلِّمهُ ، فَقَامَ عُتْبَةُ ، حَتَّى جَلَسَ إلى رَسُولِ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم ، فَقَالَ يَا ابْنَ أَخِيْ انَّكَ مِنَّا حَيْثُ عَلِمْتَ ، مِنَ البَسْطَةِ ، في العَشِيْرَةِ ، والمَكَانِ في النَسَبِ وَإنَّكَ قَدْ أَتَيْتَ قَوْمَكَ ، بِأَمْرٍ عَظِيْمٍ ، فَرَّقْتَ جَمَاعَتَهُم وسَفَّهْتَ أَحلامَهُم ،وعِبْتَ آلهَتَهُم ، وكَفَّرتَ مَنْ مَضَي مِن آبائِهِم ، فاسْمَعْ مِنِّي ، أَعْرِضُ عَلَيْكَ أُمُوْراً تَنْظُرُ فيها ، فقال رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم ، (قُلْ يَا أَبَا الوَلِيدِ) .

فقال يَا ابْنَ أَخِيْ ، إنْ كُنْتَ تُرِيْدُ شَرَفاً ، سَوَّدناكَ عَلَيْنَا ، وَإنْ كُنْتَ تُرِيْدُ مَالاً بمَا جِئْتَ بِهِ ، جَمَعْنَا لَكَ مِنْ أَمْوَالِنَا ، حَتَّى تَكُونَ أَكْثَرُنا مَالاً ، وإنْ كانَ الذِي بِكَ رَئِيَّاً ، لا نَسْتَطِيعُ رَدَّه ، طَلَبْنَا لَكَ الطِبَّ ، ولَعلَّ هَذَا شِعْرٌ جَاشَ بِصَدْرِكَ ، فإنكُم لَعَمْرِي ، بَنِي المطَّلِب ، تَقْدُرونَ مِن ذلكَ مَالاَ يَقْدِرُ عَليهِ غَيرُكُمْ ، حَتَّى إذا فَرَغَ ما عِنْدَه ، مِن سَائرِ الأُمُوْرِ التِي يَزْعُمُ انَّها تَرُدُّهُ عَمَّا يَقُولُ ، فقالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم « أَوَقَدْ فَرَغْتَ يَا أَبَا الوَلِيدِ ؟ » قال نَعَمْ .

قَالَ « فاسْتَمِعْ مِنِّيْ » قَالَ فَافْعَلْ فَقَال صلى اللهُ عليه وسلم (بسم الله الرحمن الرحيم ، حم . تَنْزِيْلٌ مِنَ الرحمن الرحيم . كتابٌ فُصِّلَتْ آياته قرآنا عربياً لقوم يعلمون) ثم مَضَي فِيْهَا يَقْرأُ ، فَلمَّا سَمِعَهَا عُتْبَةُ ، أَنْصَتَ لَهُ ، وَأَلْقَى يَدَيْهِ خَلْفَ ظَهْرِهِ ، مُعْتَمِداً عَلَيْهَا يَسْتَمِعُ مِنْهُ ، حَتَّى

انْتَهَى رَسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم إلى السَّجْدَةِ فسَجَدَ، ثُمَّ قالَ « قَدْ سَمِعْتَ يَا أبَاالوَلِيْدِ فأَنْتَ وَذَاكَ » فقَامَ عُتْبَةُ إلى أصْحَابِهِ ، فَقَالَ بَعْضُهم لِبَعْضٍ نَحْلِفُ باللهِ ، لَقَدْ جَاءَكُم أبُو الْوَلِيدِ ، بَغَيْرِ الوَجْهِ الذِي ذَهَبَ بِهِ .

فَلَمَّا جَلَسَ فِيْهم قالُوْا مَا وَرَاءَكَ ، يا أبَا الوَلِيْدِ ، فقال وَرَائي إنِّي سَمِعْتُ قَوْلاً ، وَاللهِ ما سَمِعْتُ بِمِثْلِهِ ، قَطُّ ، مَا هُوَ بِالشِّعرِ ، ولا السِّحرِ ، ولا الكِهَانَةِ ، يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ أطِيْعُونِيْ ، خَلُّوا بَيْنَ هَذَا الرَّجُلِ ، وبَيْنَ مَا هُوَ فِيْهِ ، وَاعْتَزِلوْهُ ، فَوَاللهِ لَيَكُوْنَنَّ لِقَوْلِهِ الذِي سَمِعْتُ نَبَأٌ ، فإنْ تُصِبْهُ العَرَبُ فَقَدْ كُفِيْتُمُوهُ بِغَيْرِكُم ، وإنْ يَظْهَر ، عَلَىَ العَرَب ، فمُلْكُهُ مُلْكُكُم ، وعِزُّهُ عِزُّكُمْ ، فَأَنْتُم أسْعَدُ النَّاسِ بهِ ، فَقَالُوا سَحَرَكَ وَاللهِ يا أبَا الْوَلِيْدِ بِلِسانِه فقالَ هَذَا رَأْيِيْ لكُم فاصْنَعُوا ما بَدَالَكُم .

٧١ – ومنها ما رُوِيَ عنه صلى الله عليه وسلم مِن أَنَّ ابنَ بِنْتِه فَاطِمَةَ الحُسَيْنَ بنَ عليٍّ يُقْتَلُ بالعِرَاقِ فكانَ الأمرُ كَمَا أخبرَ فَقُتِلَ الحُسَيْنُ رَضِيَ اللهُ عنه في كَرْبَلاءِ سَنَةَ إحْدَى وسِتِّينْ ولَهُ أرْبَعٌ وخَمْسُوْنَ سَنَةً وسِتَّةُ أشْهُرٍ ونِصْفُ الشَّهْرِ .

٧٢ – ومنها دُعَاؤُه صلى اللهُ عليه وسلم لأَنَسِ بنِ مَالِكٍ ، واسْتِجَابَةُ اللهِ لِدُعَائِهِ ، فَعَن أنَسٍ رَضِيَ اللهُ عنه ، قال جَاءَتْ بي أُمِّي أُمُّ أنسٍ إلى رَسُوْلِ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم ، وقدْ آزَرَتْنِيْ بِنِصْفِ خِمَارِها ، وَرَدَّتْنِي بنِصْفِهِ ، فَقَالَتْ يَا رَسُولَ الله ، هذا أُنَيْس ، ابْنِيْ أتَيْتُكَ به يَخْدِمُكَ ، فادْعُ اللهَ لَهُ ، فقال « اللَّهُمَّ أكثِرْ مَالَهُ ، وَوَلَدَهُ » .

قال أنسٌ ، فَوَاللهِ انَّ مَالِيْ كَثِيْرٌ ، وَإنَّ وَلَدِيْ وَوَلَدَ وَلَدِيْ لَيَتَعَادَوْنَ على نَحْوِ المِائَةِ اليَومَ ، أخرجه مسلم ، وعن أبِي خَلْدَةَ خالِدِ بنِ دِيْنَارٍ ، قال

قُلْتُ لأَبِي العَالِيَةَ ، سَمِعَ أَنَسٌ مِنَ رَسُولِ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم ، قال خَدَمَهُ عَشَرَ سِنِيْنَ ، ودَعَا لَهُ ، وكان لَهُ بُسْتَانٌ يَحْمِلُ في السَّنَةِ الفَاكِهَةَ مَرَّتَيْن ، وَكَانَ ، فِيْهِ رَيْحَانٌ ، يَجِيءُ مِنْهُ رِيْحُ المِسْكِ ، أخرجه الترمذي

٧٣ ـ ومِنْ ذَلِكَ إِخْبَارُهُ صَلى اللهُ عليه وسلم عن مَقْتَلِ القُرَّاء ، فَعَن أنسِ بنِ مالكٍ رضي اللهُ عنه قال جَاءَ ناسٌ إلىَ النبي صلى الله عليه وسلم ، فقالوُا ابْعَثْ مَعَنَا رِجَالاً يُعَلِّمُوْنا القُرْآنَ والسُّنَّةَ ، فَبَعَثَ إِلَيْهِم سَبْعِيْنَ رجلاً مِنَ الأَنْصَارِ ، يُقَالُ لَهُمُ القُرَّاءُ فِيْهم خَالِيْ حَرَامٌ يُقْرِؤُونَ القرآنَ ، وَيَتَدَارَسُونَ باللَّيْلِ ، يَتَعَلَّمون .

وَكانُوْا بالنَّهَارِ يَجِيْئُونَ بالمَاءِ ، فَيَضَعُونَهُ في المَسْجِدِ ، وَيَحْتَطِبُوْنَ ، فَيَبِيْعُونَه ويَشْتَرُوْنَ بِهِ الطَّعَامَ لأَهْلِ الصُّفةِ ، ولِلْفُقَراءِ ، فَبَعَثَهُم النبيُ صلى اللهُ عليه وسلم إِلَيْهم ، فَعَرَضُوا لَهُمْ فَقَتَلُوهُمْ قَبْلَ أَنْ يَبْلُغُوا المكانَ فقَالوُا اللَّهُم بلِّغ عَنَّا نَبِيَّنا ، أَنَّا قَدْ لَقِيْنَاكَ فَرَضِيْنَا عَنْكَ ، وَرَضِيْتَ عنَّا .

قال : وَأَتَي رَجُلٌ حَرَاماً ، خَالَ أنسٍ ، مِنْ خَلْفِهِ فَطَعَنَهُ برُمْحٍ حتَّى أَنْفَذَهُ ، فقال حَرَامُ ، فُزْت وَرَبِّ الكَعبةِ ، فقال رسولُ الله صلى اللهُ عليه وسلم لأَصْحَابِهِ « إنَّ اخوانَكُم قَدْ قُتِلُوا وإِنَّهُمْ قالوُا اللَّهُم بَلِّغْ عَنَّا نَبِيَّنَا ، أَنا قَدْ لَقِيْنَاكَ فرَضِيْنَا عَنْكَ ، وَرَضِيْتَ عَنَّا » .

٧٤ ـ ومِن ذَلِكَ ما رُوِيَ أن النبيَ صلى الله عليه وسلم لَمَّا تلا (والنَّجْمِ إذا هَوَى) قالَ عُتْبَةُ بنُ أَبِي لَهَبْ ، كَفَرْتُ بالذِيْ دَنَا فَتَدَلَّ ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم « اللَّهُم سَلِّطْ عليهِ كَلْبَاً مِن كِلابِكَ » يَعْنِي الأَسَدَ ، فَخَرَجَ عُتْبَةُ مَعَ أَصْحَابِهِ ، في عِيْرٍ إلى الشَّامَ ، حتي إذا كانُوا في طَرِيْقِهِمْ ، زَأَرَ الأَسَدُ ، فَجَعَلَتْ فَرائصُ عُتبةَ تَرْتَعِدُ ، فقال أصحابُه

مِنْ أيّ شَيْءٍ تَرْتَعِدُ ، فَوَاللهِ ما نَحْنُ وأنتَ إلا سَوَاءٌ ، فقال إنَّ محمداً دَعَا عليَّ ، وَمَا تُردُّ لَهُ دَعْوَةٌ ، ولا أصْدَقَ مِنه لَهْجَةً .

فَوَضَعُوا العَشَاءَ ، فَلَمْ يُدْخِلْ يَدَهُ فِيهِ ، وحَاطَ القَومُ أنفُسَهُم بمتَاعِهِم وجَعَلُوا عُتْبَةَ وسَطَهُم ، ونَامُوْا ، فجاءَ الأَسدُ يَشُمُّ رُؤُوسَهُم ، رَجُلاً رَجُلاً ، حتَّي انتهي إلى عُتْبَةَ ، فَهَشَمَهُ هَشْمَةً أوصَلَتْهُ إلى آخر رَمَق ، فقال وهو بآخِرِ رَمَقٍ ، ألَمْ أقلْ لَكُم إنَّ مُحَمَّداً أصْدَقُ الناسِ لَهْجَةً .

٧٥ ـ ومِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ صلى الله عليه وسلم لابن عَباسٍ ، وهُوَ يَوْمَئِذ غُلامٌ : « اللَّهُمَّ فَقِّهْهُ في الدِّين ، وعَلِّمْهُ التَّأْوِيْلَ » فَخَرَجَ أَفْقَهَ الناسِ في الدِّيْنِ ، وأعْلَمَهم بالتَّأْوِيْلِ ، حَتَّى سُمِّيَ البَحْرَ ، لِسَعَةِ عِلْمِهِ ، رَضِيَ اللهُ عنه .

٧٦ ـ ومِنْها مَا رَوَاهُ الامامُ أحمدُ في مُسْنَدِهِ مِن أنَّ عَائِشَةَ لَمَّا أقْبَلَتْ وَبَلَغَتْ مِياهَ بَنِيْ عَامِرٍ لَيْلاً ، نَبَحَتْ الكلابُ ، فَقَالَتْ أيُّ ماءٍ هذا ، قالُوْا مَاءُ الحَوْأَبْ ، قالَتْ مَا أَظُنُّنِيْ إلاَّ أنِيْ رَاجِعَةٌ ، قال بَعْضُ مَنْ كَانَ مَعَهَا بَلْ تَقْدُمِيْنَ ، فَيَراكِ المُسْلِمُونَ ، فَيُصْلِحُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ ذاتَ بَيْنِهِم ، قالتْ إنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قالَ لهَا ذَاتَ يَوْمٍ « كَيْفَ بإحْدَاكُنَّ تَنْبَحُ عَلَيْهَا كِلاَبُ الحَوْأَبْ » وفي حديثِ ابن عَبَاس قال : قال رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم « لَيْتَ شِعْرِيْ ، ايَتُكُنَّ صَاحِبَةُ الجَمَلِ المُدَبَّبِ ، تَخرُجُ فَيَنْبَحُها كِلاَبُ الحَوْأَبِ ، يُقْتَلُ عَن يَمِيْنِهَا وعن يَسَارِهَا قَتْلَى كَثِيرٌ ، ثُمَّ تَنْجُوْ بَعْدَمَا كَادَتْ » رواه البزار ورجالهُ ثِقات كُلّ ذَلِكَ يَقَعُ طِبْقَ ما أَخْبَرَ الصَّادِقُ المَصْدُوْقُ صلواتُ الله وسلامه عليه .

والله أعلم وصلى الله على محمد وآله وسلم .

٧٧ ـ ومِنْ ذَلِكَ إخْبَارُه صلى الله عليه وسلم أُمَّ حَرَامٍ عن غَزْوِهَا في البَحْرِ وعُلُو مَكَانَتِها ففِي صَحِيْحِ البُخَارِي عن إسْحَاقَ بن عبدِ الله بنِ أَبِي طَلْحَةَ عن أَنسِ بنِ مَالكٍ رضي اللهُ عنه ، أَنَّهُ سَمِعَه يَقُولُ كان رَسُوْلُ اللهِ صَلىَ اللهُ عليه وسلم إذا ذَهَبَ إلىَ قُبَاء يَدْخُلُ عَلىَ أُمِّ حَرَامٍ بِنْتِ مِلْحَانَ فَتُطْعِمُهُ ، وكَانَتْ تَحْتَ عُبَادَةَ بنِ الصَّامِت .

فَدَخلَ يَوْماً فأَطْعَمَتْه ، فَنَامَ رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ثم اسْتَيْقَظَ يَضْحَكُ قَالَتْ فقلتُ ما يُضحِكُكَ يا رَسُولَ اللهِ ، فقال « ناسٌ مِنْ أُمَّتِيْ عُرِضُوا عَلَيَّ غُزَاةً في سَبِيْلِ اللهِ ، يَرْكَبُوْنَ ثَبَجَ هَذَا البَحْرِ ، مُلُوكًا على الأَسِرَّةِ ـ أَوْ قَالَ مِثْلَ المُلُوكِ عَلىَ الأَسِرَّةِ » شَكَّ إسْحَاقُ ، قَالتْ أدْعُ الله أَنْ يَجْعَلَنِيْ مِنْهُمْ ، فَدَعا لَهَا رَسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم .

ثَمَّ وَضَعَ رأْسَه ، ثم اسْتَيقَظَ ، وهُوَ يَضْحَكُ ، قَالَتْ قُلتُ مايُضحِكُكَ يارسولَ اللهِ ، قال « ناسٌ مِن أُمَّتِيْ عُرِضُوا عَلَيَّ غُزَاةً في سَبيْلِ اللهِ » كَمَا قَالَ في الأُوْلىَ ، فَقُلْتُ يارسولَ اللهِ أدْعُ اللهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ ، قَالَ « أَنْتِ مِنَ الأَوَّلِيْنَ » فَرَكِبَتِ البَحْرَ زَمَانَ مُعَاوِيَةَ ، فَصُرِعَتْ عَنْ دَابَتِهَا حِيْنَ خَرَجَتْ مِن البَحْرِ فَهَلَكَتْ ، فوَقَعَ كَمَا أَخْبَرَ صَلى اللهُ عليه وسلم .

٧٨ ـ ومنها إخْبَارُهُ عن أَوَّل زَوْجَاتِهِ لَحُوقاً بِهِ بَعْدَ وَفَاتِهِ ، فَعَنْ عَائِشَةَ رضيَ اللهُ عنها أَنَّ بَعض أَزْوَاجِ النبي صلى اللهُ عليه وسلم قُلْن يا رسُولَ الله أَيُّنَا أَسْرَعُ بِكَ لُحُوْقاً ، قالَ أَطْوَلُكُنَّ يَداً ، فأَخَذْنَ قَصَبَةً يَذْرَعْنَها فَكَانَتْ سَوْدَةُ أَطْوَلُهنَّ يَدَاً ، فَعَلِمْنَا بَعْدُ إنَّمَا كَانَ طُوْلُ يَدِهَا الصَّدَقَةِ ، وكَانَتْ تُحِبُّ الصَّدَقَةَ ، وكَانَتْ أَسْرَعُنا لُحُوْقاً بِهِ صلى اللهُ عليه وسلم ، أخرجه الشيخان .

٨٠ – ومِنْ ذَلِكَ إخْبَارُهُ صلى اللهُ عليه وسلم عَامِلَ كِسْرَى مَلِكِ الفُرْسِ علىَ اليَمَنِ أنَّ اللهَ وعَدَهُ أنْ يُقْتَلَ كِسْرَى في يَوْمِ كَذَا وكَذَا مِنْ شَهْرِ كَذَا وكَذَا ومنْ حَدِيْثِهِ أنَّ كِسْرَى كَتَبَ إلى عَامِلِهِ على اليَمَنِ باذَانَ أنَّهُ بَلَغَنِيْ أنَّ رَجُلاً مِن قُرَيْشٍ خَرَجَ بمَكَّةَ يَزْعُمُ أنَّهُ نَبِيٌّ فَسِرْ إليْه فاسْتَتِبْهُ فإنْ تابَ والا فابْعَثْ إليَّ برَأْسِهِ .

فَبَعَثَ باذانُ بكِتَابِ كِسْرَى إلى رَسُولِ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم .

فَكَتَبَ إليه رسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم « إنَّ اللهَ قَدْ وَعَدَنِي أنْ يُقْتَلَ كِسْرَى في يَوْمِ كَذا وكَذَا ، مِن شَهْرِ كَذَا وَكَذَا » فَلَمَّا أتَى بَاذَانَ كِتَابُ رَسُولِ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم تَوَقَّفَ، لِيَنْظُرَ . وقَالَ انْ كَانَ نَبِياً فَسَيَكُونُ مَا قَالَ ، فَقُتِلَ كِسْرَى ، في اليَوْمِ الذي قال رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم ، قُتِلَ على يَد ابْنِهِ ، شِيْرَوَيْه .

فلَمَّا بَلَغَ ذلكَ باذَانَ بَعَثَ باسْلامِهِ ، واسْلامِ مَنْ مَعَهُ ، مِنَ الفُرْسِ إلى رَسُوْلِ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم ، فَقَالتِ الرُّسُلُ مِنَ الفُرْسِ . إلى مَنْ نَحْنُ يارَسُولَ اللهِ ، قال « انْتُمْ مِنَّا وإلَيْنَا أهْلَ البَيْتِ » .

٨١ – ومِنْ ذَلِكَ ما رَوَاهُ الامامُ أحمدُ عَن أبِيْ سَعِيْدِ الخُدْرِيقَالَ عَدَا الذِئبُ على شَاة فأَخَذَهَا فَطَلَبَهُ الرَّاعِي فانْتَزَعَهَا مِنْهُ ، فأَقْعَى الذِئبُ عَلَى ذَنَبِهِ ، فَقَالَ ألا تَتَّقِيْ اللهَ تَنْزِعُ مِنِيّ رِزْقاً سَاقَهُ اللهُ إليَّ ، فقال يَا عَجَبِيْ ذئبٌ يُكَلِّمُنِيْ كلامَ الإنسِ ، فَقَالَ الذِئبُ ألاَ أُخبِرُكَ بأَعْجَبَ مِن ذَلِكَ ، مُحَمَّدٌ صلى اللهُ عليه وسلم بِيَثْرِبَ ، يُخْبِرُ النَّاسَ بأَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ ، قالَ فَأَقْبَلَ الرَّاعِي يَسُوق غَنَمَهُ ، حَتَّى دَخَلَ المَدِيْنَةَ ، فَزَوَاهَا إلى زَاوِيَة مِنْ زَوَايَاهَا .

ثم أتَى رَسُولَ الله صلى اللهُ عليه وسلم فأخبَرَهُ فأمَرَ رَسُوْلُ الله صلى اللهُ عليه وسلم فَنُودِيَ الصلاةُ جامِعَة ، ثم خَرَجَ فقال لِلرَّاعِيْ أخبِرْهُمْ ، فأخْبَرَهُم ، فقالَ رسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم « صَدَقَ ، والذي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بيَدِهِ ، لاتَقَوْمُ السَّاعةُ ، حتَّى يُكلمُ الرَّجُلَ عَذْبَةُ سَوْطِهِ ، وشِرَاكُ نَعْلِهِ ، ويُخْبِرُهُ فَخِذُهُ ، بِمَا أحْدَثَ أَهْلُهُ بَعْدَهُ » .

قال ابنُ كَثِيْرٍ وهَذَا اسْنَادٌ على شَرْطِ مُسْلِمٍ ، وقَدْ صَحَّحَهُ البَيْهَقِي ، وَلَمْ يَرْوِهِ إلاَّ التِّرْمِذِيُ مِن قولِهِ : والذي نَفْسِيْ بِيَدِهِ لاتقومُ الساعةُ حتى يُكَلِّمُ السِّبَاعُ الإِنْسَ إلى آخره .

٨٢ - ومِن ذَلِكَ تَوْقِيْتُهُ صَلى اللهُ عليه وسلم مَوَاقِيْتَ الحجِّ المَكَانِيَّةَ وذَلَك أنَّهُ عَيَّنَها مِنْ قَبْلِ فَتْحِ بُلْدَانِهَا قال الناظم :

وإحْرَامُ حَجٍّ مِن مَوَاقِيْتَ خَمْسَة	لِطَيْبَةَ وَقِّتْ ذَا الحُلَيْفَةِ واقْصِدِ
ولِلشَامِ والمِصْرِيِّ والغَرْبِ جُحْفَةً	ولِلْيَمَنِ التَّـالِي يَلملَم فارْصُدِ
وخُذْ ذَاتَ عِرْقٍ لِلْعِرَاق وَوَفْدِهِ	وقَرْناً لِوَفْـدِ طَائِفِي ومُنْجِـــدِ
وَتَعْيِينُها مِن مُعْجِزَاتِ نَبِيِّنَـــا	لِتَعْيِيْنِهِ مِن قَبْـلِ فَتْحِ المُعَدَّدِ

٨٣ - ومن ذَلِكَ إنْذَارُهُ صلى اللهُ عليه وسلم بريْحٍ شَدِيْدَةٍ في تَبُوكَ ، وطَلَبَ مِن أَصْحَابِهِ أنْ يَأْخُذُوْا حِذْرَهُم ، فَفِيْ صَحِيحِ مُسْلِمٍ عن أَبِيْ حُمَيْد ، قال خَرَجْنَا مَعَ رَسُوْلِ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم ، في غَزوةِ تَبُوكَ ، فأتَيْنَا وَادِي القُرَى ، على حَدِيْقَةٍ لامْرَأةٍ ، فقال رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم اخْرُصُوْهَا ، فَخَرَصْنَاهَا ، وخَرَصَها رسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم عَشَرَةَ أَوْسُقٍ ، وقال : أَحْصِيْها ، حتَّى نَرجِعَ إليكِ إنْ شَاءَ اللهُ ، وانْطَلَقْنَا ، حتَّى قَدِمْنَا تَبُوْكَ ، فقال رسولَ الله صلى الله عليه وسلم « سَتَهُبُّ رِيْحٌ

شَدِيْدَةٌ » فَقَامَ رَجُلٌ فَحَمَلَتْهُ الرِيْحُ إلى أنْ أَلْقَتْهُ بِجَبَلَيْ طَيءٍ ، وَجَاءَ رَسُولُ صَاحِبَ إِيْلَةَ ، إلى رسُولِ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم بكتَاب ، وأَهْدَى لَهُ بَغْلَةً بَيْضَاءَ ، فَكَتَبَ إليه رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم ، وأَهْدَى لَهُ بُرْداً ، ثم أَقْبَلْنَا ، حَتَّى قَدِمْنَا ، وادِي القُرَى ، فسَأَلَ رَسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم المَرأَةَ ، عِن حَدِيْقَتِها كَمْ بَلَغَ ثَمَرُها ، فَقَالَتْ عَشَرَةُ أَوْسُقٍ ، تَمَاماً كَمَا أَخبَرَ .

٨٤ ـ ومِنْ ذلك اخباره صلى الله عليه وسلم أَنَّهُ سَيَأْتِي زَمَانٌ تَرْتَحِلُ فيهِ الظَّعِيْنَةُ مِنَ الحِيْرَةِ إلَى الكَعْبَةِ ، لاتَخَافُ إلا اللهَ وَوَقَعَ طبقَ ما أخبرَ .

ففي صحيح البخاري عن عَدِي بن حَاتِم قال : بينما أَنَا عِنْدَ النبي صلى اللهُ عليه وسلم إذْ أتاهُ رَجُلٌ ، فشكَا إليه الفَاقَةَ ، ثم أَتاهُ آخرُ فَشَكَا قَطْعَ السَبِيْل ، فقالَ « يَا عَدِيٌّ هَلْ رَأَيْتَ الحِيْرَةَ ؟ » قُلْتُ : لَمْ أَرَهَا ، وقَد أُنبِئتُ عَنْهَا . قال « فإنْ طَالَتْ بكَ حَيَاةٌ ، لَتَرَيَنَّ الظَّعِيْنَةَ تَرْتَحِلُ مِن الحِيْرةِ حَتَّى تَطُوْفَ بالكَعْبَةِ ، لاتَخَافُ أَحَداً إلاَّ اللهِ » قُلْتُ فِيْمَا بَيْنِي وبَيْنَ نَفْسِيْ فأَيْنَ دِعَارُ طَيءٍ ـ أيْ قُطَّاعُ الطَّرِيْقِ ـ الذيْنَ سَعَرُوا البِلاَدَ ـ « ولَئِنْ طَالَتْ بكَ حَيَاةٌ ، لتُفْتَحَنَّ كُنُوزُ كِسْرَى » قُلْتُ كِسْرَى ابنُ هُرْمُزٍ ، قال « كِسْرى بنُ هُرْمُزٍ ، وَلَئِنْ طَالَتْ بِكَ حَيَاةٌ ، لَتَرينَّ الرَّجُلَ يُخْرِجُ مِلءَ كَفِّهِ مِنْ ذَهَبٍ أَوْ فِضَّةٍ يَطْلُبُ مَنْ يَقْبَلُه مِنْه فلا يَجِدُ أَحَدًا يَقْبَلُهُ مِنْهُ .

وَلَيَلْقَيَنَّ اللهَ أَحدُكُمْ يَوْمَ يَلْقَاهُ ، وَلَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تَرْجُمَانٌ يُتَرْجِم لَهُ فَيَقُوْلَنَّ : أَلَمْ أَبْعَثْ إلَيْكَ رَسُوْلاً فَيُبَلِّغَكَ ، فَيَقُولُ بَلَى : فَيَقُولُ أَلَمْ أُعْطِكَ مَالاً ، فَيَقُولُ بَلَى ، فَيَنْظُرُ عَنْ يَمينِهِ ، فلا يَرَى إلاَّ جَهَنَّمَ ، وَيَنْظُرُ عَنْ يَسَارِهِ ، فلا يَرَى إلاَّ جَهَنَّمَ » قال عَدِيٌّ ، سَمِعْتُ النبيَّ صَلَّى

اللهُ عليه وَسَلَّمَ يَقُولُ « اتَّقُوْا النارَ ولَو بشِقٍّ تَمْرَةٍ ، فَمَنْ لم يَجِدْ شِقَّ تَمْرَةٍ فبِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ » .

وقال عَدِيٌّ فرَأَيْتُ الظَّعِيْنَةَ تَرْتَحِلُ مِن الحِيْرَةِ حَتّى تَطُوفَ بالكَعْبَةِ لا تَخَافُ إلاَّ اللهَ ، وكُنْتُ فِيمَنْ فَتَحَ كُنُوْزَ كِسْرَى بن هُرْمُز ، ولَئِنْ طَالَتْ بكُمْ حَيَاةٌ ، لَتَرَوْنَ ما قالَ النبيُّ أَبُو القَاسِمِ صلى الله عليه وسلم يُخْرِجُ مِلْءَ كَفِّهِ » .

٨٥ ـ ومِنْ ذَلِكَ دُعَاؤُه صلى اللهُ عليه وسلم لِلنَّابِغَةِ الجَعْدِي ، بقَولِهِ لَه « لا يُفَضْفِضُ اللهُ فاكَ » فَعُمِّرَ ، وكان أَحْسَنُ النَّاسِ ثَغْراً ، كُلَّمَا سَقَطَتْ لَهُ سِنٌّ ، نَبَتَتْ لَهُ أُخْرَى .

٨٦ ـ ومن ذَلكِ سُقُوطُ الأَصْنَامِ ، باشَارَةٍ مِن قَضِيْبٍ ، كَانَ في يَدِهِ فإنَّه كَانَ حَوْلَ الكَعْبَةِ ثَلاثُمِائَة وَسِتُونَ صَنَماً ، أَرْجُلُها مُثبَّتَةٌ بالرَّصَاصِ ، في الحِجَارَةِ تَثْبِيْتاً مُحْكَماً ، فَلَمَّا دَخَلَ عامَ الفَتْحِ إلى المَسْجِدِ الحَرَامِ ، جَعَلَ يُشِيْرُ بقَضِيبٍ في يَدِه ، إلى تِلْكَ الأَصنامِ فَوَقَعَتْ لِوُجُوهِهَا ، وظُهُوْرِهَا ، حَسَبَ إشَارَتِهِ صلى اللهُ عليه وسلم .

٨٧ ـ ومِن ذَلِكَ ما رُوِيَ أَنَّ العباسَ بنَ عبدِ المُطَّلبِ ، بَعَثَ ابنَهُ عَبْدَ اللهِ ، إلى رسولِ اللهِ صلى الله عليهِ وسلم في حَاجَةٍ ، فَوَجَدَ عِنْدَهُ رَجُلاً فَرَجَعَ ولَمْ يُكَلِّمْهُ ، مِن أَجْلِ مَكَانِ الرَّجُل ، فَلَقِيَ العباسُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، فأَخْبَرَهُ بِذَلِكَ ، فقال « وَرَآهُ ؟ » قال نَعَمْ « قال أَتَدْرِي مَنْ ذاكَ الرَّجُلُ ؟ » ذَاكَ جِبْرِيْلُ .

« ولنْ يَمُوْتَ حتَّى يَذْهَبَ بَصَرُهُ ، ويُؤْتَى عِلْماً » وقَدْ مَاتَ ابنُ عَبَّاسٍ سَنَةَ ثَمَانٍ وَسَتِّيْن ، بَعْدَ مَا عَمِيَ بَصَرُه ، رَضِيَ الله عنه وصَارَ بَحْراً زَاخِراً في العِلْم .

٨٨ ـ ومِن ذلكَ ما رواه البيهقيُ عن خِمَارَة عن أُنَيْسَةَ بِنْتِ زَيْدِ بنِ أَرْقَمَ ، عن أَبْيها أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلم دَخَلَ عَلى زَيْدٍ يَعُوْدُهُ في مَرَضٍ كَانَ بهِ ، قال « لَيْسَ عَلَيْكَ مِنْ مَرَضِكَ بأْس ، ولكِنْ كَيْفَ بِك إذا عُمِّرتَ بَعْدِي ، فَعَمِيْتَ ؟ » قالَ : إذاً احْتَسِبُ وأَصْبِرُ ، قال : « إذاً تَدْخُلِ الجنةَ ، بغَيْرِ حِسَاب » قال فَعَمِيَ بَعْدَ مَا مَاتَ رَسُولُ اللهِ صلى االلهُ عليه وسلم ، ثـم رَدَّ اللهُ عليهِ بَصَرَهُ ، ثُمَّ مَاتَ .

٨٩ ـ ومِنْ ذَلِكَ إخبارُهُ صلى اللهُ عليه وسلم عن مِحْنَةِ عُثْمَانَ رضي اللهُ عنه ، ففي صَحِيْحِ البخاري عن أَبي موسي رضي الله عنه ، قال كُنْتُ مَعَ النبي صلى الله عليه وسلم في حَائِطٍ مِن حِيْطانِ المَدِيْنةِ ، فَجَاءَ رجُلٌ فاسْتَفْتَحَ ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم « افْتَحْ لَهُ وبَشِّرْهُ بالجَنَّةِ » فَفَتَحْتُ ، فإذا هُوَ أَبُوْ بَكْرٍ ، فبَشَّرْتُهُ بمَا قال النبي صلى الله عليه وسلم فَحَمِدَ اللهَ .

ثُمَّ جَاءَ رَجُلٌ فاسْتَفْتَحَ ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم « افْتَحْ لَهُ وبَشِّرْهُ بالجنةِ » فَفَتَحْتُ ، فإذا هُوَ عُمَرُ ، فأَخْبَرْتُهُ بِمَا قال النبي صلى الله عليه وسلم ، ثـم اسْتَفْتَحَ رَجُلٌ فقال لِيْ « افْتَحْ لَهُ وبَشِرْهُ بالجَنةِ ، على بَلْوَى تُصِيْبُهُ » فإذا هُوَ عُثْمَانُ فأَخْبَرْتُهُ بما قال النبي صلى الله عليه وسلم فَحَمِدَ اللهَ ، ثم قال : اللهُ المُسْتَعَان .

٩٠ ـ ومِن ذلك ما وَرَدَ عن عبدِ الرحمنِ بن أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيْقِ ، قال كُنَّا مَعَ النبي صلى اللهُ عليه وسلم ثلاثِيْنَ وَمِائَةً فقال صلى اللهُ عليه وسلم هَلْ مَعَ أحدٍ مِنْكُمْ طَعَامٌ ، فإذا مَعَ رَجُلٍ صاعٌ مِنْ طَعَامٍ ، أَوْ نَحْوِهِ ، فَعجنَ ، ثُمَّ جَاءَ رَجُلٌ مُشْعَانٌ طَوِيْلٌ بِغَنَمٍ يَسُوْقُهَا ، فقالَ صلى اللهُ عليه وسلم « بَيْعاً ، أَمْ هِبَةً ؟ » قال بَلْ بَيْعٌ ، فاشْتَرَى مِنْهَا شَاةً ، فَصُنِعَتْ ،

فأَمَرَ صلى اللهُ عليه وسلم بسَوَادِ البَطْنِ أَنْ يُشْوَى ، وايْمُ اللهِ ، ما فِي الثَّلاثِينَ والْمِائَةِ ، رَجُلٌ إلاَّ قَدْ حُزَّ لَهُ حَزَّةً مِنْ سَوَادِ بَطْنِهَا إنْ كانَ شَاهِداً أَعْطَاهُ إيَّاهُ ، وَإِنْ كانَ غَائِباً خَبَأَ لَهُ فجَعَلَ مِنْهَا قَصْعَتَين فأَكَلُوا أَجْمَعُونَ وشَبِعْنَا فَفَضُلَتْ القَصْعَتَانِ فَحَمِلْتَا عَلَى البَعِيرِ رواه الشيخان .

٩١ ـ ومِنْ ذَلِكَ مَا وَرَدَ عن سَمُرَةَ ، قالَ كُنَّا مَعَ النبي صلى اللهُ عليه وسلم نَتَدَاوَلُ من قَصْعَة ، مِنْ غَدْوَة حَتَّى اللَّيْلَ . تَقُومُ عَشَرَةٌ ، وتَقْعُدُ عَشَرَةٌ فَقُلْنَا فَمِمَّا كانَتْ تُمَدُّ ، قالَ مِنْ أيْ شَيْءٍ تَعْجَبُ ، مَا كَانَتْ تُمَدُّ إلاَّ مِنْ هَا هُنَا ، وَأَشَارَ بِيَدِهِ إلى السَّماء ، رواه الترمذي .

٩٢ ـ ومِنْ ذَلِكَ مَا رَوَاهُ جَابرٌ ، أَنَّ النَّبِي صَلى اللهُ عَلَيْهِ وسلم جَاءَهُ رَجُلٌ يَسْتَطْعِمُهُ ، فأَطعَمَهُ شَطْرَ وَسَقِ شَعِيْرٍ ، فَمَا زَالَ الرَّجُلُ يأْكلُ منهُ ، وامْرَأَته ، وضَيْفُهما ، حتى كَالَهُ فَفَنِيَ ، فأَتَى النبيَّ صلى الله عليه وسلم فقالَ : « لَوْ لَمْ تَكِلْهُ لأَكَلْتُم مِنْهُ ، وَلَقَامَ لَكُمْ » رواه مسلم .

٩٣ ـ ومِن ذَلِكَ دُعَاؤُهُ صلى اللهُ عليه وسلم على مُضَرَ ، وإمْسَاكُ القطرِ عنهم ، فإنَّهمُ لَمَّا كَذَّبُوْهُ ، وآذَوْهُ ، في نَفْسِهِ ، وأَصْحَابِهِ ، دَعَا عَلَيْهِمْ فَقَال « اللَّهُمَّ اشْدُدْ وَطْأَتَكَ على مُضَرَ وَابْعَثْ عليهم سِنِيْنَ كَسِنِي يُوْسُفَ صلى الله عليه وسلم » فأُمْسِكَ عَنْهُم القَطْرُ ، حتى جَفَّ النبَاتُ ، والشَّجَرُ ، ومَاتَتْ الماشِيَةُ ، وحتَّى اشْتَوَوْا القِدَّ ، وأَكَلُوْا العَلْهَرَ ، وتَفرقُوا فِي البلادِ ، لشدَّةِ الحال .

فَوَفَدَ حاجِبُ بنُ زُرَارَةَ ، إلى كِسْرَى فَشكَا إليْهِ مَا نَالَهُمْ ، وسَأَلَه أَنْ يأْذَنَ لَهُ في الرَّعْيِ ، بالسَّوادِ ، وَرَهَنَهُ قَوْسَهُ .

والقِصَّةُ مَشْهُوْرَةٌ ، يَسُوْقُهَا أَهْلُ التَّفْسِيْر ، عندَ قَولِ اللهِ تعالى : (فارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّماءُ بِدُخَانٍ مُبِيْنٍ) .

قال ابنُ القيِّم رَحِمَهُ الله :

يا قاعِـداً سَارَتْ بِـهِ أنفاسُهُ … سَيْرَ البَرِيْـدِ ولَيْسَ بالـذَّمِلاَنِ

حَتَّى مَتَى هَذَا الرُّقَادُ وقَـدْ سَرَى … وَفْدُ المَحَبَّةِ مَـعْ أُوْلِي الإِحْسَانِ

وحَدَتْ بِهِم عَزَمَاتُهُم نَحْوَ العُلَى … لا حَادِي الرُّكْبَـانِ والأَضْعَانِ

رَكِبُوْا العَزَائِمَ واعْتَلَوا بظُهُورِهَا … وسَرَوْا فما حَنُّوْا إلى نُعْمَانِ

سَارُوْا رُوَيْداً ثُمَّ جَـاؤُا أَوَّلاً … سَيْرَ الدَّلِيْلِ يَؤُمُّ بالرُّكْبَانِ

سَارُوْا بإِثْبَاتِ الصِّفَاتِ إلَيْهِ لا … التَّعْطِيْلِ والتَّحْرِيفِ والنُّـكْرانِ

عَرَفُوهُ بالأَوْصَافِ فامْتَـلأَتْ قُلُوْ … بُهُـمُ لَه بالحُبِّ والإِيْمَـانِ

فَتَطَايَرَتْ تِلكَ القُلُوبُ إلَيْهِ بالْـ … أَشْوَاقِ إذ مُلِئَتْ مِن العِـرْفانِ

وأَشَدُّهُم حُباً لهُ أَدْرَاهُمُـوْا … بصِفَاتِهِ وحَقَـائِقِ القُـرآنِ

فالحُبُّ يَتْبَعُ لِلشُّعُورِ بَحَسْبِهِ … يَقْوَى ويَضْعُفُ ذَاكَ ذُوْ تِبْيَانِ

ولِذَاكَ كَانَ العَارِفُونَ صِفَاتِه … أَحْبَابَهُ هُمْ أَهْلُ هَـذَا الشَّانِ

ولِذَاكَ كَانَ العَالِمُونَ بِرَبِّهِمْ … أَحْبَـابَه وبِشِرْعَـةِ الإِيْمَـانِ

ولِذَاكَ كَانَ المُنْكِرُونَ لهَا هُمُ الْـ … أَعْدَاءُ حَقاً هُـمْ أُولُو الشَّنَئانِ

ولِذَاكَ كَانَ الجَاهِلونَ بِذَا وذَا … بُغَضَاءَهُ حَقـاً ذَوِيْ شَنَئَـآنِ

وَحَيَاةُ قَلْبِ المَرْءِ في شَيْئَيْنِ مَنْ … يُرْزَقْهُمَا يَحْيَ مَـدَى الأَزْمَانِ

في هَـذِهِ الدُّنْيَا وفي الأُخْرَى يَكُوْ … نُ الحَيَّ ذَا الرِّضْـوَانِ والإِحْسَانِ

ذِكْرِ الإِلَـهِ وَحُبِّهِ مِن غَيْرِ … إشراكِ بهِ وهُمَـا فَمُمْتَنِعَانِ

مِن صَاحِبِ التَعطيلِ حَقًّا كَامْتِنَا … عِ الطَّائِرِ المَقْصُوصِ مِن طَيْرانِ

أَيُحِبُّهُ مَنْ كَانَ يُنْـكِرُ وَصْفَهُ … وعُلُـوَّهُ وكَـلاَمَهُ بقُـرانِ

لاَ وَالذِي حَقاً عَلَى العَرْشِ اسْتَوى … مُتَكَلِّماً بالـوَحْيِ والفُـرقَانِ

اللهُ أَكْبَرُ ذَاكَ فَضْلُ اللهِ يُوْ … تِيْهِ لِمَـنْ يَرْضَى بـلا حُسْبَانِ

وتَرَى المُخَلَّفَ في الدِّيَارِ تَقُوْلُ ذَا ... إحْـدَى الأَثَـا فِي خُصَّ بالحِرْمَان
اللهُ أَكْبَرُ ذَاكَ عَـدْلُ اللهِ يَقْـ ... ضِيْهِ على مَن شَاءَ مِن إنْسَـان
ولَهُ عَلَى هَذَا وهَذَا الحَمْدُ في الْـ ... أُوْلَى وفي الأُخْـرَى هُمَـا حَمْدَان
حَمْدٌ لِذَاتِ الرَّبِ جَلَّ جَلاَلَه ... وكذاكَ حَمْدُ العَـدْلِ والاحْسَان
يا مَن تَعُـزُّ عَلَيْهِم أَرْوَاحُهُـمْ ... ويَرَوْنَ غَبْنـاً بَيْعَهَـا بِهوان
ويَرَوْنَ خُسْراناً مُبِيْنـاً بَيْعَهَا ... في إثْـرِ كُلِّ قَبِيْحَـةٍ ومُهَان
ويَرَوْنَ مَيْـدانَ التَّسَابُقِ بارِزاً ... فَيُتَـارِكُونَ تَقَحُّمَ المَيْـدَان
ويَرَوْنَ أَنْفَـاسَ العِبَادِ عَلَيْهِمُ ... قَدْ أُحْصِيَتْ بالعَدِ والحُسْبَان
ويَرَوْنَ أَنَّ أَمَامَهُـمْ يَوْمَ اللِّقَا ... للهِ مَسْـأَلَتَـان شَامِلَتَـان
ماذا عَبَدْتُمْ ثُمَّ ماذا قَـدْ أَجَبْـ ... تُمْ مَن أَتَى بالحَقِ والبُرْهَان
هـاتُوا جَواباً لِلسُّؤال وَهَيِّئُوا ... أَيْضاً صَوَاباً لِلْجَـواب يُدَان
وَتَيَقَّنُوا أَنْ لَيْسَ يُنْجِيْكُمْ سِوَى ... تَجْرِيْدِكُم بَحقَـائِقِ الإيْمَـان
تَجْرِيْدُكُم تَوْحِيْـدَهُ سُبْحَانَه ... عن شِرْكَةِ الشَيطانِ والأَوْثَان
وَكَذَاكَ تَجْرِيدُ أَتْباعِ رَسُولِهِ ... عن هَـذِهِ الآراءِ والهَـذَيان
واللهِ مَا يُنْجِي الفَتَى مِنْ رَبِـهِ ... شَيءٌ سوَى هَـذَا بلاَ رَوَغَان
يَارَبِّ جَرِّدْ عَبْـدَكَ المِسْكِيْنَ رَا ... جِيْ الفَضْلَ مِنْكَ أَضْعَفَ العُبْدَان
لم تَنْسَهُ وذَكَرتهُ فاجْعَلْهُ لاَ ... يَنْسَاكَ أَنْتَ بَدَأْتَ بـالإِحْسَان
وبه خَتَمْتَ فَكُنْتَ أَوْلَى بالجَمِيْـ ... لِ وبالثَّنَـاءِ مِنَ الجَهُولِ الجَـاني
فالعَبْدُ لَيْسَ يَضِيعُ بَـيْنَ خَوَاتِمٍ ... وفَواتِحٍ من فَضْلِ ذي العِرْفَان
أَنْتَ العَلِيْمُ بهِ وقَدْ أَنْشَأْتَـهُ ... مِن تُرْبَةٍ هِي أَضْعَفُ الأَرْكَـان
والضَّعْفُ مُسْتَوْلٍ عَلَيْنَا مِن جَمِيْـ ... عِ جِهَاتِنـا سِيْمَـا مِن الإيمانِ
يَارَبِّ مَعْذِرةً إليْكَ فَـلَمْ يَكُنْ ... قَصْدُ العِبَـادِ رُكُوبَ ذَا العِصْيَانِ

لَكِنْ نُفُوسٌ سَوَّلَتْهَـا وغَرَّهَـا هَذَا العَدُوُّ لَهَـا غُرُورَ أَمَـانِ
فَتَيَقَّنَتْ يارَبِّ أَنَّكَ واسِعُ الْ غُفْـرانِ ذُوْ فَضْلٍ وذُو إِحْسَانِ
وَسِعَتْ إلى الأَبَوَيْنِ رَحْمَتُكَ الَّتي وسِعَتْهُمَـا فعـلا بِكَ الأَبَوَانِ
هَـذَا ونَحْنُ بَنُوهُمَـا وَحُلُوْمُنَا في جَنْبِ حِلْمِهِما لَـدَى المِيْزَانِ
جُزْءٌ يَسِيْرٌ والعَدُوُّ فَواحِدٌ لَهُمَـا وأَعْـدَانَا بلا حُسْبَانِ
ومَقَالُنَـا ما قَالَه الأَبَوانِ قَبْـ لَ مَقَالَةِ العَبْدِ الظَّلُومِ الجَـانِ
نَحْنُ الأُولَى ظَلَمُوا وإِنْ لَمْ تغفرالـ ذَنْبَ العَظِيْمَ فَنَحْنُ ذُوْ خُسْرَانِ
يارَبِّ فانْصُرْنَـا على الشيطان لَيْـ سَ لَنَـا بِهِ لَوْلاَ حِمَاكَ يَدَانِ

اللَّهُمَّ ثَبِّتْ وَقَوِّ إِيْمَانَنَا بِكَ وبِمَلائِكَتِكَ وبِكُتُبِكَ وبِرُسُلِك وباليَوْمِ الآخِرِ وبالقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّه اللَّهم عَامِلْنا بَعَفْوِكَ وغُفْرانكَ وامْنُنْ عَلَينَا بفَضْلِكَ واحْسَانِكْ ونَجِّنَا مِن النارِ وعَافِنا مِن دَارِ الخِزْي والبَوَار وادخلنا بفضلكَ وكرمكَ وجودك الجنةَ دارَ القرار واجعلنا مَعَ عبادِكَ الذين أَنْعَمْتَ عليهم مِن النبيين والصديقين والشهداء والصالحين في دَارِ رِضوانِكَ وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

٩٤ ـ ومِن ذَلِكَ إِخْبَارُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَن مِحْنَةِ المُسْلِمِيْنَ ، وتَدَاعِي الأُمَمِ عَلَيهِم ، ففِي سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ ، عن ثَوْبَانَ قال : قالَ رَسُولُ الله صلى اللهُ عليه وسلم ، « يُوْشِكُ الأُمَمُ أَنْ تَداعَى عَلَيكُم كَمَا تَدَاعَي الأَكَلةُ إلى قَصْعَتِها » فقالَ قَائِلٌ : وَمِن قِلَّةٍ نَحْنُ يَوْمَئِذٍ قال : « بَلْ أَنتُمْ يَوْمِئذ كَثِيْر ، ولَكِنَّكُمْ غُثَاءٌ كَغُثَاءِ السَّيْلِ ، ولَيَنْزِعَنَّ اللهُ مِن صُدُورِ عَدُوِّكُمُ المَهَابَةَ مِنكُم ، وليقذفنَّ اللهُ في قُلُوبكُم الوَهْنَ » فقال قائِلٌ :

يارسولَ اللهِ وما الوَهْنُ ؟ قال « حُبُّ الدُّنْيَا وكَرَاهَةُ المَوْتِ » وأخرجه أيضاً أحمد في مسنده .

٩٥ ـ ومِن ذلكَ إخبارُهُ صلى الله عليه وسلم باتِّسَاعِ مُلْكِ المُسْلِمِيْنَ وفَوْزِهِمْ بكُنُوزِ كِسْرَى وقَيْصر واضْطِرَابِ أمْرِ المُسْلِمين في النِّهَايَةِ .

ففي صحيح مسلمٍ عَن ثَوْبَانَ قالَ : قَالَ لِي رَسُولُ اللهِ صَلَّى الله عليه وسلم : « إنَّ اللهَ زَوَى لِيَ الأَرْضَ فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا ومَغَارِبَها ، وانَّ أُمَّتِيْ سَيَبْلُغُ مُلْكُها ما زُوِيَ لِيْ مِنْهَا ، وأُعْطِيْتُ الكَنْزَيْنِ الأَحْمَرَ والأَبيضَ ، وإنِّي سَأَلْتُ رَبِّي لِأُمَّتِيْ أَنْ لايُهْلِكَها بِسَنَةٍ عَامَّةٍ ، وَأَنَّ لايُسَلِّطَ عَلَيهِم عَدُواً مِن سِوَى أَنْفُسِهِم فَيَسْتَبِيْحَ بَيْضَتَهُمْ .

وإنَّ اللهَ قال لِيْ : يَا مُحَمَّدُ إِنِّيْ إذَا قَضَيْتُ قَضَاءً فإنَّهُ لايُردُّ وَإِنِّيْ أَعْطَيْتُكَ لِأُمتِكَ أَنْ لَا أُهْلِكَهُم بِسَنَةٍ عَامَّةٍ ، وَأَنْ لا أُسلِّطَ عليهِم عَدُواً مِن سِوَى أَنْفُسِهِم يَسْتَبِيحُ بَيْضَتَهُمْ ، ولَوْ اجْتَمَعَ عَلَيْهِم مَنْ بأَقْطارِهَا ، أَوْ قَالَ منْ بَيْن أَقطارِهَا ، حَتَّى يَكُونَ بَعْضُهُمْ يُهْلِكُ بَعْضاً ، ويَسْبِيْ بَعْضُهُمْ بَعْضاً .

٩٦ ـ ومِنْ ذَلِكَ ما في صحيح البخاري عن أنسٍ رضي اللهُ عنه قال كانَ رَجُلٌ نَصْرانياً فأَسْلَمَ وقَرأَ البَقَرَةَ وآلَ عِمْرانَ فَكَانَ يَكْتُبُ لِلنَّبي صَلى اللهُ عليه وسلم فَعادَ نَصْرَانِياً ، فكانَ يَقُولُ : ما يَدْرِى مَحَمَّدٌ إلاَّ مَا كَتَبْتُ لَهُ ، فأَمَاتهُ اللهُ فَدَفَنُوهُ فأَصْبَحَ وقَدْ لَفظَتْهُ الأَرْضُ ، فَقَالُوا هَذَا فِعْلُ مُحَمَّدٍ وأَصْحَابِهِ ، لمَّا هَرَبَ مِنْهُمْ ، نَبَشُوْا عَنْ صَاحِبِنَا ، فأَلْقَوْهُ ، فحفَرُوْا لهُ ، فأَعْمَقُوا ، فأَصْبَحَ وَقَدْ لَفَظَتْهُ الأَرْضُ فَقَالُوا هَذَا فِعْلُ مُحَمَّدٍ ، وأَصْحَابِهِ ، نَبَشُوْا عَنْ صَاحِبِنَا ، لمَّا هَرَبَ مِنْهُمْ فأَلْقَوْهُ ،

خَارِجَ القَبْر فحَفَرُوْا وَأَعْمَقُوا لَهُ فِي الأَرْضِ ، ما اسْتَطَاعُوْا ، فَأَصْبَحَ قَدْ لَفَظَتْهُ الأَرْضُ ، فَعَلِمُوْا أَنَّهُ لَيْسَ مِنَ النَّاسِ فَأَلْقَوْهُ .

٩٧ ـ ومِنْ ذَلِكَ مَا رُوِيَ عن عَلِيٍّ بنِ أَبِي طَالِبٍ رضِيَ اللهُ عَنْهُ قال : بَعَثَنِي رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم إلى اليمنِ فَقُلْتُ يارَسول اللهِ تَبْعَثُنِي وأنَا حَدَثُ السِّنِّ لاَ عِلْمَ لِيْ بالقَضَاءِ قال « انْطَلِقْ فإن اللهَ تَعَالَى سَيَهْدِيْ قَلْبَكَ ويُثَبِّتْ لِسَانَكَ » قَالَ عَلِيٌّ رضي اللهُ عنه فَمَا شَكَكْتُ فِي قَضَاءِ بَيْنَ اثْنَيْنِ ولِذَلِكَ قَالَ صَلَّى الله عليه وسلم « أَقْضَاكُمْ عَلِيٌّ » .

٩٨ ـ ومِنْ ذَلِكَ مَا وَرَدَ عن قَيْسِ بنِ أَبِي حازِمٍ عن أَبِي شَهْمٍ وكانَ رَجُلاً بَطَّالاً فَمَرَّتْ بِهِ جَارِيَة فَأَهْوَى بِيَدِهِ إِلَىَ خَاصِرَتِهَا قالَ فَأَتَيْتُ النَّبيَّ صَلَّى اللهُ عليه وسلم مِنَ الغَدِ وهُوَ يُبَايِعُ النَّاسَ فَقَبَض يَدَهُ وقَالَ صَلَّى اللهُ عليه وسلم : « أَصَاحِبُ الجَبْذَةِ أَمْس ؟ » قال فَقُلْتُ لاَ أَعُوْدُ يا رَسُولَ اللهِ فقال صلى اللهُ عليه وسلم « فَنَعَمْ إذاً » الحديثَ أخرجه النسائي .

٩٩ ـ ومِنْ ذَلِكَ مَا رَوَاهُ ابنُ عُمَرَ رضِيَ الله عنهما ، قال كُنْتُ جالساً مَعَ النَّبِي صلى اللهُ عليه وسَلَّمَ في مَسْجِدِ مِنَى ، فَأَتَاهُ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ ، وَرَجُلٌ مِن ثَقِيْف ، فَسَلَّمَا ، ثَمَّ قالا ، يارَسُوْلَ اللهِ جِئْنَا نَسْأَلُكَ ، فقال « إنْ شِئْتُمَا أَخبَرْتُكَمَا ، بِمَا جِئْتُمَا تَسْأَلانِي عَنْهُ فَعَلْتُ ، وإن شِئْتُمَا أَنْ أُمْسِكَ وتَسْأَلانِيْ فَعَلْتُ » فَقَالاَ أَخبِرْنَا يَا رَسُوْلَ اللهِ ، فَقَالَ الثَّقَفِيُّ للأَنْصَارِي ، سَلْ ، فقال أَخْبِرنيْ يَارَسُولَ الله .

فقالَ « جِئْتَ تسْأَلُنِيْ عن مَخْرَجِكَ مِنْ بَيْتِكَ تَؤُمُّ البَيْتَ الحَرَامَ ، وما لَكَ فِيهِ ، وعن رَكْعَتَيْكَ بَعْدَ الطَّوافِ ، ومَا لَكَ فِيْها ، وعن طَوَافِكَ

بينَ الصَّفَا والمَرْوَةِ ، ومَا لَكَ فِيهِ ، وعن وقُوْفِكَ عَشِيَّةَ عَرَفَةَ ، ومَالَكَ فِيهِ ، وعن رَمْيِكَ الجِمَارَ ، ومَالَكِ فِيهِ ، وعَنْ نَحْرِكَ ، ومَا لَكَ فِيهِ ، مَعَ الإِفَاضَةِ » فقال : والَّذِيْ بَعَثَكَ بالحَقِ لَعَنْ هَذَا جِئْتُ ، أَسأَلُكَ .

قَالَ « فإنَّك إذَا خَرَجْتَ مِنْ بَيْتِكَ تَؤُمُّ البَيْتَ الحَرَامَ ، لاتَضَعُ نَاقَتُك خُفّاً ، ولا تَرْفَعُهُ ، إلا كَتَبَ اللهُ لكَ بِهِ حَسَنَةً ، ومَحَا عَنْكَ خَطِيْئَةً ، وأَمَّا رَكْعَتَاكَ بَعدَ الطَّوَافِ ، كَعِتْقِ رَقَبَةٍ مِن بَنِي اسْمَاعِيْلَ عَليهِ السَّلامُ ، وأَمَّا طَوَافُكَ بالصَّفَا والمَرْوَةِ ، كعتقِ سَبْعِيْنَ رَقَبَةً ، وأما وُقُوفُكَ عَشِيَّةَ عَرَفَةَ ، فإنَّ اللهَ يَهْبِطُ إلى سَمَاءِ الدُّنْيَا ، فَيُبَاهِي بِكُم المَلاَئِكَةَ يَقُولُ عِبادِيْ جَاؤُنِيْ شُعثاً ، مَنْ كُلِّ فَجٍ عَمِيْقٍ ، يَرْجُوْنَ جَنَّتِيْ فَلَو كَانَت ذُنُوبُكُمْ كَعَدِدِ الرَّملِ ، أَوْ كَقَطْرِ المَطَرِ ، أَوْ كَزَبَدِ البَحْرِ ، لَغَفَرْتُهَا ، أَفِيْضُوْا عِبَادِيْ ، مَغْفُوْراً لَكُمْ ، وَلِمَنْ شَفَعْتُمْ لَهُ .

وأَمَّا رَمْيُكَ الجِمَارَ ، فَلَكَ بِكلِّ حَصَاةٍ رَمَيْتَهَا ، تَكْفِيْرُ كَبِيْرَةٍ مِنَ المُوْبِقَاتِ ، وأَمَّا نَحْرُكَ فَمَدْخُورٌ لَكَ عِنْدَ رَبِّكَ ، وَأَمَّا حِلاَقُكَ رَأْسَكَ فَلَكَ بكلِّ شَعْرَةٍ حَلَقْتَهَا حَسَنَةٌ ، وَيُمحَى عَنْكَ بِهَا خَطِيْئَةٌ ، وأَمَّا طَوَافُكَ بالبَيْتِ ، بَعْدَ ذَلِكَ ، فَإِنَّكَ تَطُوْفُ ولاَ ذَنْبَ لَكَ ، يَأْتِيْ مَلَكٌ يَضَعُ يَدَهُ بَيْنَ كَتِفَيْك ، فَيَقُولُ اعْمَلْ فِيْمَا تَسْتَقْبل فَقَدْ غُفِرَ لكَ مَا مَضَى » رواه الطبرانيُّ في الكبيرِ والبَزَّارُ واللَّفْظُ لَهُ ورواه ابنُ حبانَ في صحيحه .

١٠٠ ـ ومِنْهَا اخبَارُهُ صَلى اللهُ عليه وَسَلَّمَ في مَقْتَلِ عَلي بن أَبْي طَالِبٍ وأَنَّ قَاتِلَهُ يُخَضِّبُ لِحْيَةَ عَلِيٍّ مِن دَمِ رَأْسِهِ ، فعنَ فَضَالةَ بنِ أَبِي فَضَالةَ الأَنْصَارِي ـ وكَانَ ابنُ فَضَالَةَ مِنْ أَهْلِ بَدْرٍ ـ قَالَ : خَرَجْتُ مَعَ أَبِى عائِداً لِعَلِيّ بْنِ أَبِيْ طَالِبٍ ، مِنْ مَرَضٍ أَصابَهُ ثَقُلَ مِنْهُ ، قَالَ فَقَالَ لَهُ

أَبِيْ مَا يُقِيْمُك بِمَنْزِلِكَ هَذَا لَوْ أَصَابَ أَجَلُكَ إلاَّ أَعْرَابُ جُهَيْنَةَ ، تُحْمَلُ إلى المَدِيْنَةِ ، فإنْ أَصَابَكَ أَجلُكَ وَلِيَكَ أَصْحَابُكَ ، وَصَلُّوْاعَلَيْكَ .

فَقَالَ عَلِيٌّ إنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم عَهِدَ إليَّ أَنْ لاَ أَمُوْتَ حَتَّى أُؤَمَّرَ ، ثُمَّ تُخَضَّبُ هَذِهِ ، - يَعْنِي لِحْيَتَهُ - مِن دَمِ هَذِهِ - يَعْنِيْ هَامَتَهُ ، وعن عُثْمانَ بنِ صُهَيْبٍ عن أَبِيْهِ ،قالَ قال عَلِيٌّ قال لِيْ رَسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم « مَنْ أَشْقَى الأَوَّلِيْنَ ؟ » قُلْتُ : لاَعِلْمَ لِيْ يَارَسولَ اللهِ . قَالَ « الذِيْ يَضْرِبُكَ عَلَى هَذِهِ- وأَشَارَ عَلِيٌّ إِلَى يَافُوْخِهِ بِيَدِهِ - فَيَخْضِبُ هَذِهِ مِن هَذِهِ » يَعْنِي لِحْيَتَهُ مِن دَمِ رَأْسِهِ ، قَالَ : فَكانَ يَقُوْلُ وَدِدْتُ أَنَّهُ قَدْ انْبَعَثَ أَشْقَاكُمْ .

وقُتِلَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لَيْلَةَ الجُمَعَةِ لِسَبْعَ عَشْرَةَ لَيْلَةً خَلَتْ مِن رَمَضَان سنة ٤٠هـ ، عِنْدَمَا خَرَجَ يُوْقِظُ النَاسَ لِصَلاةِ الفَجْرِ ، فَضَرَبَهُ ابنُ مُلْجِمٍ بالسَّيْفِ عَلَى قَرْنِهِ ، فَسَالَ دَمُه عَلَى لِحْيَتِهِ ، رضي اللهُ عَنْهُ وأَرضَاهُ ، فَوَقَعَ طِبْقَ ما أَخْبَرَهُ بِهِ النبيُ صلى اللهُ عليه وسلم .

١٠١ - ومِنْهَا إجَابَةُ دُعَائِهِ صلىَّ اللهُ عليه وسلم لِأَبِي هُرِيرةَ ، في تَحْبِيْبِهِ إلى الناسِ وأُمِّهِ ، فَقَدْ وَرَدَ عن أَبي هريرة رضي الله عنه أنه قال ، وَاللهِ ما خَلَقَ اللهُ مؤمناً يَسْمَعُ بِي أَوْ يَرَانِي إلاَّ أَحَبَّنِيْ ، قال إنَّ أُمِّيْ كَانَتْ امْرَأَةً مُشْرِكَةً ، وإنِّيْ كُنْتُ أَدْعُوْهَا إلى الإسْلامِ ، وكانتْ تَأْبَى عَلَيَّ فَدَعَوْتُهَا يَوْماً ، فأَسْمَعَتْنِيْ في رَسُولِ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم مَا أَكْرَهُ .

فأَتَيْتُ رسولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم وأَنَا أَبْكِيْ فَقُلْتُ يارَسُولَ اللهِ إنِّي كُنْتُ أَدْعُو أُمِّيْ إلى الإسْلامِ ، فَكَانَتْ تَأْبَى عَلَيَّ ، وإنِّي دَعَوْتُها اليَومَ فاسْمَعَتْنَي فِيْكَ مَا أَكْره ، فادْعُ اللهَ أَنْ يَهْدِيَ أُمَّ أَبِيْ هُريرةَ ،

فقال « اللَّهُمَّ اهدِ أمَّ أَبِيْ هُرَيْرة » فَخَرَجْتُ أَعْدُو أُبشِّرُها ، بدِعَاءِ رسُولِ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم .

فَلَمَّا أَتَيْتُ البَابَ إِذَا هُوَ مُجَافٍ ، وسَمِعْتُ خَضْخَضَةً ، (خَشْخَشَةً) وسَمِعْتُ خَشْفَ رِجْلٍ – يَعْنِيْ وَقْعَهَا ، فَقَالَتْ يَا أَبَاهُرَيْرَةَ كَمَا أَنْتَ ، ثُمَّ فَتَحَتِ البابَ ، وَقد لَبِسَتْ دِرْعَهَا ، وعَجِلَتْ عن خِمَارِها أَنْ تَلْبَسَهُ ، وقالَتْ أَشْهَدُ أَنْ لاَ الهَ إِلا اللهُ ، وأَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ ورَسُوْلُهُ ، فَرَجَعْتُ إِلى رَسُوْلِ اللهِ صَلى اللهُ عليهِ وسَلَّم أَبْكِيْ مِنَ الفَرَحِ ، كمَابَكَيتُ مِن الحُزْنِ .

فَقُلْتُ يارَسُولَ اللهِ أَبْشِرْ ، فَقَدْ اسْتَجَابَ اللهُ دُعَاءَكَ ، قَدْ هَدَى اللهُ أُمَّ أَبِي هُرَيْرَةَ ، وقُلْتُ يا رَسُولَ اللهِ ، ادْعُ اللهَ أَنْ يُحَبِّبَنِيْ وأُمِيْ إِلى عِبَادِهِ المُؤْمِنين .

فقال « اللَّهُمَّ حَبِّبْ عُبَيْدَكَ هَذَا وَأُمَّهُ إِلى عِبَادِكَ المؤمنين وحَبِبْهُمْ إِلَيْهمَا » قال أَبُو هُرَيْرَةَ ، فَمَا خَلَقَ اللهُ مِنْ مُؤْمِنٍ يَسْمَعُ بِي ولا يَرَانِيْ أَوْ يَرَي أُمِّيْ إِلاَّ وَهُوَ يُحَبِّبُنِي

١٠٢ – ومِنْهَا قِصَّةُ أُخرَى ، مَعَ أَبِيْ هُريرةَ ، وَهِيَ مَا وَرَدَ عن سَعِيْدٍ المَقْبُرِي عن أَبِي هريرةَ ، قالَ قُلْتُ يارسُولَ اللهِ ، إِنِّيْ أَسْمَعُ مِنْكَ حَدِيْثاً كَثِيْراً فأَنْسَاهُ فَقَالَ « ابْسُطْ رِدَاءَكَ » ، فَبَسَطْتُهُ ، ثُمَّ قالَ«ضُمَّهُ» ، فَضَمَمْتُهُ ، فَمَا نَسِيتُ حَدِيْثاً بَعْدُ ، رواه البخاري .

وقال الامامُ أَحْمَدُ حدثنا سُفْيَانُ ، عن الزُهْرِيْ ، عن عَبدِ الرَّحمنِ الأَعرجِ ، قالَ سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ يَقُولُ إِنَّكُم تَزْعُمُونَ أَنَ أَبَاهُرَيْرَةَ يُكْثِرُ الحدِيثَ عن رَسُولِ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم ، واللهُ المَوْعِدُ إِنِّيْ كُنْتُ امرأً مِسْكِيْناً ؛ أَصحَبُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وسَلَّمَ على مِلْءِ بَطْنِيْ ،

وَكَانَ المُهَاجِرُونَ يَشْغَلُهم الصَّفْقُ في الأَسْوَاق، وَكَانَتْ الأَنصارُ يَشْغَلُهم القِيَامُ عَلَى أَمْوَالِهم . فَحَضَرْتُ مِن رَسُولِ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم يَوْماً مَجْلِساً ، فَقَالَ « مَنْ بَسَطَ رِدَاءَهُ حَتَّى اقْضِيَ مَقَالَتِيْ ثم يَقْبِضُهُ إليه فلَنْ يَنْسَى شَيْئاً سَمِعَهُ مِنِّيْ » فَبَسَطْتُ بُرْدَةً عليَّ ، حتَّى قَضَى مَقَالَتَهُ ، ثُمَّ قَبَضْتُهَا إليَّ ، فَوَالذِيْ نَفْسِي بِيَدِهِ ، ما نَسِيتُ شَيْئاً سَمِعتُهُ مِنْهُ بَعْدَ ذَلِكَ .

اللهم ثَبِّت مَحَبَّتَكَ في قُلُوبِنَا وَقَوِّهَا ونَوِّرْ قُلُوبَنَا بنُورِ الإِيمانِ واجْعَلْنَا هُدَاةً مُهْتَدِيْن وتَوَفَّنا مُسْلِمِيْنَ والحِقْنا بالصالِحين واغفر لنا ولِوالدينا ولجميع المسلمين برحمتك يا أرحم الراحمين وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

١٠٣ ـ ومِنْها إخْبَارُهُ صلى الله عليه وسلم أَنَّ الحَسَنَ بنَ عَلِيٍّ وهُوَ ابنُ فَاطِمَةَ يُصْلِحُ اللهُ به بَيْنَ فِئَتَيْنِ عَظِيْمَتَيْنِ ، فَتَمَّ ذَلِكَ بِمُصَالَحَةِ الحَسَنِ لمِعُاوِيَةَ بنِ أَبِيْ سُفْيَانَ ، وذَلَكَ بَعْدَ وَفَاةِ رسول الله صلى الله عليه وسلم بثلاثينَ سَنَة .

١٠٤ ـ ومِنْهَا إخْبَارُهُ صلى اللهُ عليه وسلم بأَنَّ عَمَّارَ بنَ ياسِرٍ تَقْتُلُهُ الفِئَةُ البَاغِيَةُ ، وَهُوَ يَدْعُوهُمْ إلى الجَنَّةِ ، وَهُمْ يَدْعُونَهُ إلى النَّارِ ، ويَكُونُ آخِرُ زَادِهِ ضِيَاحاً مِنْ لَبَنٍ ، فَقَتَلَهُ أَصْحابُ مُعَاوِيَةَ بِصِفِّين ، وَهُوَ مَعَ عَلِيٍّ بن أَبِي طَالِبٍ ، وَكَانَ آخِر زَادِهِ مِن الدُنْيَا ضِيَاحاً مِنْ لَبَنْ (والضِيَاحُ) اللَّبَنُ الخَاثِرُ يُصبُّ فِيْهِ الماءَ ثمَّ يُخْبَط .

١٠٥ ـ ومِنْهَا إخبارُهُ صَلَّى اللهُ عليه وسلم أَصْحَابَه ، وَهُمْ يَحْفِرُونَ الخَنْدَقَ بأَنَّ الله يَفْتَحُ عَلَيْهِ اليَمَنَ والشَامَ والمَغْرِبَ والمَشْرِقَ ، فَفِيْ

السِّيرِ والتَّفَاسِيرِ عن سَلْمانَ الفَارِسيْ ، قال : ضَرَبْتُ في نَاحِيَةٍ مِنَ الخَنْدَقِ فَغَلُظَتْ عَليَّ صَخْرَةٍ ، وَرَسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم قَرِيْبٌ مِنِّيْ .

فَلَمَّا رَآنِيْ أَضْرِبُ ، ورأى شِدَّةَ المَكَانِ عَلَيَّ ، نَزَلَ فأَخَذَ المِعْوَلَ مِن يَدِيْ ، فَضَرَبَ ضَرْبَةً لَمَعَتْ تَحْتَ المِعْوَلِ برْقَةٍ ، قالَ ثُمَّ ضَرَبَ به ضَرْبَةً أُخْرَى ، فَلَمَعَتْ تَحْتَهُ بَرْقَةٌ أُخرَى ، قالَ ثم ضَرَبَ بِهِ الثالثةَ ، فلَمَعَتْ تَحْتَهُ بَرْقَةٌ أُخرَى ، قالَ قُلْتُ بأَبِيْ أَنْتَ وَأُمِيْ يارسُولَ الله ، مَا هَذَا الذِيْ رَأَيْتُ لَمعَ تَحْتَ المِعْوَلِ وأَنْتَ تَضْرِبُ قالَ « أَوَ قَدْ رَأَيْتَ ذَلِكَ يَا سَلْمَانُ ؟ » قالَ قلتُ : نعم .

قالَ أَمَّا الأُولى ، فإنَّ الله فَتَحَ عليَّ بِهَا اليَمَن ، وأَمَّا الثَّانِيَةُ فإنَّ الله فَتَحَ عليَّ بها الشَّامَ والمَغْرِبَ ، وأَمَّا الثالثَةُ فإنَّ اللهَ فتحَ عليَّ بَها المَشْرِقَ ، فكانَ الأَمْرُ كَمَا أَخْبَرَ عَلَى التَّفْصِيْلِ ، فإنَّ أَوَّلَ ما فُتِحَ مِن البُلْدَانِ المذكُوْرَةِ اليَمَنُ . فُتِحَتْ عَلَى عَهْدِ رَسُوْلِ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم ، وفُتِحَتْ بَعْدَهَا الشَّامُ والمَغْرِبُ ، وفتِحَ بَعْدَ الشَّامِ المَشْرِقُ ، في مُدَّةٍ قَلِيْلَةٍ بَعْدَ وَفَاةِ رسُولِ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم .

١٠٦ – ومِنْهَا قِصْةُ جَمَلِ جَابِرِ بنِ عَبدِ اللهِ ، فَعَنْهُ رَضِيَ اللهُ عنه أَنَّه كَانَ عَلَى جَمَلٍ لَهُ قَدْ أَعْيَا فأَرَاد أَنْ يُسَيِّبَه قَالَ ، فَلَحِقَنِى النَّبِيُّ صلى اللهُ عليه وسلم فَدَعَا لِيْ وَضَرَبَهُ ، فَسَارَ سَيْراً لَمْ يَسرْ مِثلَهُ ، فَقَالَ « بِعْنِيْه بأُوْقِيَّة » قُلْتُ : لاَ . ثُمَّ قال « بِعْنِيْهِ » فَبِعْتُهُ بأُوْقِيَّة ، واشْتَرَطْتُ حُمْلاَنَهُ إلى أَهْلِيْ ، فَلَمَّا بَلَغْتُ أَتَيْتُهُ بالجَمَل ، فَنَقَدَنِيْ ثَمَنَهُ ، ثم رَجَعْتُ فأَرْسَلَ في أَثَرِي ، فقال « أَتُرَانِيْ ماكَسْتُكَ لآخُذَ جَمَلَكَ ، خُذْجَمَلَكَ ودَرَاهِمَكَ فهو لَكَ » متفق عليه .

١٠٧ - ومِن ذَلِكَ إخْبَارُهُ صلى اللهُ عليه وسلم أَصْحَابَهَ عَمَّا وَقَعَ لِخُبَيْبِ بنِ عَدِي ، فَعَنْ أبي هريرة رضيَ اللهُ عَنْهُ قال بَعَثَ النبي صلى اللهُ عليه وسلم عَشَرَةَ عَيْناً ، وأَمَّرَ عَلَيْهِمْ عَاصِمَ بنَ ثابتٍ الأَنْصَارِيْ ، جَدَّ عاصِم بنِ عُمَرَ بن الخطابَ ، حَتَّى إذا كَانَوُا بالهَدَّةِ ، بَيْنَ عُسْفَانَ وَمَكَةَ ذُكِرُوا لِحَيٍّ مِنْ هُذَيْلٍ ، يُقَالُ لَهُمْ بَنُو لِحْيَانٍ .

فَنَفَرُوْا لَهُمْ بِقَرِيْبٍ مِن مائَةِ رَجُل رامٍ ، فاقْتَفَوْا آثَارَهُمْ حَتَّى وَجَدُوْا مأْكَلَهُم التَّمْرَ في مَنْزِلٍ نَزَلُوْهُ، فقَالُوا تَمْرَ يَثْرِبَ ، فاتَّبعُوْا آثارَهُمْ ، فلَمَّا أَحَسَّ بهِمْ عَاصِمٌ وأَصَحَابُهُ ، لَجَئُوْا إلى مَوْضِعٍ ، فأَحَاطَ بهمُ القَومُ ، فقَالوُا لهَمُ انْزلوُا فأَعْطُوا بأَيْدِيْكُمْ ولَكُم العَهْدُ والمِيثَاقُ أنْ لا نَقْتُلَ منكُم أحداً ، فقال عَاصِمٌ بنُ ثابِتٍ : أَيُّهَا القَوْمُ أَمَّا أَنَا فَلاَ أَنْزِلُ في ذِمَّةِ كَافِرِ .

ثم قَالَ : اللَّهُمَّ أَخْبِرْ عنَّا نَبِيَّكَ صلى اللهُ عليهِ وسلم ، فَرَمَوْهُم بالنَّبل فقَتَلوا عاصِماً ، ونَزَلَ إليهم ثَلاثة نَفَرٍ ، عَلَى العَهْدِ والمِيْثاقِ ، مِنْهُمْ خُبِيْبٌ ، وزَيْد بن الدَّثِنَة ، وَرَجُل آخرُ ، فَلمَّا اسْتَمْكَنُوْا مِنْهُمْ ، أَطْلقُوْا أَوْتَارَ قِسِيِّهِمْ ، فَرَبَطُوهُمْ بِهَا ، قال الرَّجُلُ الثالثُ ، هَذَا أَوَّلُ الغَدْرِ ، واللهِ لا أَصْحَبُكُم ، إنَّ لِيْ بِهَؤلاءِ ، أُسْوَةً ، يُرِيْدُ القَتْلَى ، فَجررُوْهُ ، وعَالَجُوْهُ ، فأَبَى أَن يَصْحَبَهُمْ .

فانْطَلَقُوْا بِخُبَيْبٍ وَزَيْدِ بنِ الدَّثِنَة ، حَتَّى باعوْهما بَعْدَ وَقْعَةِ بَدْرٍ ، فابْتَاعَ بَنُوْا الحَارِث بن عَامِرِ بن نَوْفَلَ خُبَيْباً ، وكانَ خُبَيْبٌ هُوَ قَتَلَ الحَارِثَ بنَ عَامِرٍ يَوْمَ بَدْرٍ ، فَلَبِثَ خُبَيْبٌ عِنْدَهُمْ أَسَيراً ، حَتَّى أَجْمَعُوْا عَلَى قَتْلِهِ ، فاسْتَعَارَ مِنْ بَعْضِ بَنَاتِ الحَارِثِ مُوْساً ، يَسْتَحِدُ بِهَا ،

فأَعَارَتْهُ ، فَدَرَجَ بُنَيٌّ لَهَا ، وهِيَ غَافِلَةٌ حَتَّى أتَاهُ ، فوَجَدَتْهُ مُجْلِسَهُ على فخْذِهِ ، والمُوسَى بيَدِهِ .

قَالَتْ ففَزِعْتُ فَزْعَةً عَرَفَهَا خُبَيْبٌ فَقَالَ أتَخْشَيْنَ أنْ أقْتُلَهُ ، مَا كُنْتُ لأفْعَلَ ذَلِكَ ، قَالَت والله ما رَأَيْتُ أَسِيْراً قَطُّ ، خَيْراً من خُبَيْبٍ ، وَاللهِ لَقَدْ وَجَدْتُهُ يَوْماً يَأكُلُ قِطْفاً مِنْ عِنَبٍ في يَدِهِ ، وَإِنَّهُ لموثَقٌ بالحَدِيْدِ ، وَمَا بمَكَّةَ مِنْ ثَمَرَةٍ ، وكَانَتْ تقولُ إِنَّهُ لَرِزْقٌ رَزَقَهُ اللهُ خُبَيْباً .

فَلَمَّا خَرَجُوا مِنَ الحَرَمِ لِيَقْتُلُوه في الحِلِّ ، قَالَ لَهُمْ خُبَيْبٌ دَعُونِيْ أُصَلِّ رَكْعَتَيْنِ ، فتَرَكُوهُ فَرَكَعَ رَكْعَتَيْنِ ، فَقَالَ لَوْلاَ أَنْ تَحْسَبُوا أَنَّ مابِيْ جَزَعٌ لَزِدْتُ ، ثُمَّ قالَ : اللَّهُمَّ أَحْصِهِمْ عَدَداً ، واقْتُلْهُمْ بَدَدًا ، ولا تُبْقِ مِنْهُمْ أَحَداً ثم أنْشَأَ يَقُولُ :

فلَسْتُ أُبالي حِيْنَ أُقْتَلُ مُسْلِماً عَلىَ أيِّ جَنْبٍ كانَ للهِ مَصْرَعِي
وذَلِكَ في ذَاتِ الإلهِ وَإِنْ يَشَا يُبَارِكْ عَلَى أَوْصَالِ شِلْوٍ مُمَزَّعِ

ثم قامَ إليه أبُوْ سَرْوَعَةَ ، عُقْبَةُ بنُ الحَارِثِ فَقَتَلَهُ ، وكَانَ خُبَيْبٌ هُوَ الذِي سَنَّ لِكُلِّ مُسْلِمٍ قُتِلَ صَبْرًا الصَّلاةَ ، وأَخْبَرَ النبيُّ صلى الله عليه وسلم أَصْحَابَه يَوْمَ أُصِيبُوا خَبَرَهُم ، وَبَعَثَ نَاسٌ مِن قُرَيْشٍ إلى عَاصِم بنِ ثابت ، حِيْنَ حُدِّثوا أَنَّهُ قُتِلَ ، أنْ يَأْتُوا بِشيءٍ مِنْه ، يُعْرَفُ ، وكانَ قَتَلَ رَجُلاً عَظِيْماً مِنْ عُظَمَائِهِمْ ، فَبَعَثَ اللهُ لِعَاصِمٍ مِثْلَ الظُّلَّةِ مِن الدَّبَرِ فحَمَتْهُ مِن رُسُلِهِم فلَمْ يَقْدِرُوا أَنْ يَقْطَعُوا مِنْهُ شَيْئاً ، والشَّاهِدُ في إِخْبَارِ الرَّسُوْلِ صلى الله عليه وسلم أَصْحَابَهُ يَومَ أُصِيبُوْا .

١٠٨ – ومِن ذلك إخْبَارُهُ صَلى اللهُ عليهِ وسلم بأَنَّ عَلِيَّ بْنَ أَبِيْ طَالِب يَفْتَحُ اللهُ على يَدَيْهِ خَيْبَرَ .

ففي الصحيحين عن سَهْلِ بنِ سَعْدٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلم قالَ يَوْمَ خَيْبَرَ « لأُعْطِيَنَّ الرَّايَةَ غَداً رَجُلاً يُحِبُّ اللهَ وَرَسُوْلَهُ ويُحِبُّه اللهُ ورسُولُهُ يَفْتَحُ اللهُ على يَدَيْهِ » فَبَاتَ النَّاسُ يَدُوكُونَ لَيْلَتَهُمْ ، أَيُّهُمْ يُعطاهَا فقال « أَيْنَ عَلِيُّ بنُ أَبِي طَالِب ؟ » فَقِيْلَ هُوَ يَشْتَكِيْ عَيْنَيْه فأَرْسَلُوا إِلَيْهِ فأُتِيَ بِهِ فَبَصَقَ في عَيْنَيْه ودَعَا لَهُ فَبَرَأَ كأَنْ لَمْ يَكُنْ بِهِ وَجَعٌ ، فأَعْطَاهُ الرَّايَةَ فقال « انْفُذ عَلَى رِسْلِكَ حَتَّى تَنْزِلَ بسَاحَتِهِمْ ثُمَّ ادْعُهُمْ إلى الإِسْلامِ وأَخبِرْهُم بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ مِنَ حَقِّ الله تعالىَ فِيهِ فوَاللهِ لأَنْ يَهْدِيَ اللهُ بكَ رَجُلاً واحداً خَيرٌ لكَ مِنْ حُمْرِ النَّعمِ » فَفَتَحَ اللهُ على يَدَيْهِ فكانَ كَمَا قَالَ .

١٠٩ — ومِنْ ذلكَ نَعْيُهُ صلى اللهُ عليه وسلم زَيْداً ، وجَعْفَراً وابنَ رَوَاحَةَ ، فقد رَوَى البُخاري عن أَنسِ بنِ مالكٍ أَن رَسُولَ الله صلى اللهُ عليه وسلم نَعَى زَيْداً وجَعْفَراً وابنَ رَوَاحَةَ لِلنَّاسِ ، قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَ خَبَرُهُم ، فقال : « أَخَذَ الرَّايَةَ زَيْدٌ فأُصِيْبَ ، ثم أَخَذَهَا جَعْفَرٌ فأُصِيْبَ ، ثمَّ أَخَذَهَا ابْنُ رَوَاحَةَ فأُصِيْبَ ، وعَيْنَاهُ تَذْرِفَانِ ، حَتَّى أَخَذَ الرَّايَةَ سَيْفٌ مِن سُيُوفِ اللهِ » يَعْنِيْ خَالِدَ بنَ الوَلِيدِ ، حَتَّى فَتَحَ اللهُ عَلَيْهِمْ والله أَعلم وصلى الله على محمد وآله وسلم .

١١٠ — ومِنها مَا وَرَدَ عن رِفَاعَةَ بنِ رَافِعٍ ، قال رُمِيْتُ بِسَهْمٍ يَوْمَ بَدْرٍ فَفُقِئَتْ عَيْنِيْ ، فَبَصَقَ فيها رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم ، ودَعَا لِيْ ، فمَا آذانِيْ منها شيءٌ بَعْدُ .

١١١ — ومِن ذلك أَنَّهُ صلى اللهُ عليه وسلم اسْتَسْقَى مَرَّةً ، فَقَامَ أبو لُبَابَةَ ، فقال يارسول الله إِنَّ التَّمْرَ في المرَابِدِ .

فقال « اللَّهُمَّ اسْقِنَا حَتَّى يَقُوْمَ أَبُوْ لُبَابَةَ عُرْياناً فَيَشُدَّ مِرْبَدَهُ بِإِزَارِهِ » فَأَمْطَرَتْ فاجْتَمَعُوْا إلى أَبِيْ لُبَابَةَ فقالُوا إِنَّها لَنْ تُقلِعَ حَتَّي تَقُومَ عُرياناً فَتَشُدَّ ثَعْلَبَ مِرْبَدِكَ بإزارِكَ فَفَعَلَ فأَقْلَعَتِ السَّمَاءُ .

١١٢ – ومنها قِتَالُ الملائكةِ معه صلى الله عليه وسلم يومَ أُحُد ففي الصحيحين عن سعدِ بنِ أَبِي وقاصٍ ، قال رَأَيْتُ رسول الله صلى اللهُ عليه وسلم يَوْمَ أُحُدَ ، ومَعَهُ رَجُلانِ يُقَاتِلاَنِ عنه ، عَلَيْهِمَا ثِيَابٌ بِيْضٌ ، كأَشَدِّ القِتَالِ ، ما رَأَيْتهمَا قَبْلُ ولا بَعْدُ .

١١٣ – ومنها ما وَرَدَ عَن نَافِعِ بنِ جُبَيْرٍ ، قال سَمِعْتُ رَجُلاً مِنَ المُهَاجِرِيْنَ يَقُولُ شَهِدْتُ أُحُدَ ، فَنَظَرْتُ إلى النَّبْلِ يأْتِيْ مِنْ كلِّ ناحية ، وَرَسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم وَسَطُها ، كُلُّ ذلكَ يُصْرَفُ عنه .

١١٤ – ومِنْهَا دُعَاؤُهُ صلى اللهُ عليه وسلم لِأَبي طَلْحَة وأُمِّ سَلَمَةَ ، واسْتِجَابَةُ اللهِ لِدَعْوَتِهِ ، فَعَنْ أَنسٍ رضي الله عنه قال : كَانَ لأَبِيْ طلحةَ ابن يَشْتَكِيْ فَخَرَجَ أَبُو طَلْحَةَ فَقُبِضَ الصَّبِيُّ ، فَلَمَا رَجَعَ أَبُو طَلْحَةَ قالَ مَا فَعَلَ الصَّبِيُّ قَالَتْ أُمُّ سُلَيْمٍ وهِيَ أُمُّ الصَّبِي ، هُوَ أَسْكَنُ مَا كَانَ ، فَقَرَّبَتْ لَهُ العَشَاءَ ، فَتَعَشَّى ، ثم أَصَابَ مِنْهَا فَلَمَّا فَرَغَ قالَتْ : وَارَوْا الصَّبِيَّ .

فَلَمَّا أَصْبَحَ أَبُوْ طَلْحَةَ ، أَتَى رَسُوْلَ اللهِ صلى الله عليه وسلم فَأَخْبَرَهُ ، فقال أَعَرَّسْتُم اللَّيْلَةَ ، قال نَعَمْ ، قال « اللَّهمَّ بَارِكْ لَهُمَا » فَوَلَدَتْ غُلاماً ، فقال لِيْ أَبُوْ طَلْحَةَ ، احْمِلْهُ ، حَتَّى تأْتِيَ بهِ النبيَّ صلى اللهُ عليه وسلم ، وبَعَثَ مَعَهُ بِتَمَرات ، فقال « أَمَعَهُ شَيْءٌ ؟ » قال : نَعَمْ ، تَمَرَاتٌ ، فأَخَذَهَا النبيُّ صلى اللهُ عليه وسلم ، فَمَضَغَهَا ، ثُمَّ أَخَذَهَا مِنْ فِيهِ ،

فجعَلَهَا في فى الصَّبِي ، ثم حَنَّكَهُ ، وسَمَّاهُ ، عَبْدُ اللهِ ، وفي رواية للبخاري قال ابنُ عُيَيْنَةَ فقال رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ - فرأيتُ تِسْعَةَ أَوْلاد ، كُلُّهُمْ قدْ قَرَوُا القُرْآنَ ، يَعْنِي مِن أَوْلَادِ عَبْدِ الله المَوْلُوْدِ .

١١٥ - ومِن ذَلِكَ الكُدْيَةُ ، وَهْيَ الصَّخْرَةُ الصَّلْبَةُ ، التَّيْ لاتَعْمَلُ فيها المَعَاوِلُ ، فَشَكَوْها إلى رسُولِ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم ، فدَعَا بإناءٍ مِن مَاءٍ ، فَتَفَلَ فيهِ ثمَّ دَعَا بمَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَدْعُوَ بهِ ، ثُمَّ نَضَحَ الماءَ عَلَى تِلْكَ الكُدْيَةِ ، فيَقُوْلُ مَنْ حَضَرَها ، فوالذي بَعَثَه بالحقِّ نَبيًّا لانْهَالَتْ ، حَتَّى عادَتْ كالكَثِيْبِ ، لاتَرُدُّ فأْساً ، ولا مِسْحاةً .

١١٦ - ومِنْهَا ما رواه مسلم ، عن جابر بن عبد اللهِ ، أن النبي صلى الله عليه وسلم قَدِمَ مِنْ سَفَرٍ فلما كان قُربُ المدينةَ ، هاجَتْ ريحٌ شديدةٌ ، تكادُ أن تَدْفِنَ الرَّاكبَ ، فَزَعَمَ انه صلى الله عليه وسلم قال « بُعِثَتْ هَذِهِ الريحُ لِمَوتِ مُنَافِقٍ » فلمَّا قَدِمَ المدينةَ إذا عَظِيْمٌ مِنَ المنافقين قَدْ ماتَ .

١١٧ - ومنها ما رواه عبدُ اللهِ بنُ عمرو الخُزاعِي عن أبيهِ قال دعانِيْ النبي صلى الله عليه وسلم . وأَرَادَ أن يَبْعَثَنِي بمالٍ ، إلى أَبِي سُفْيَانَ بمكةَ ، لِيَقْسِمَهُ في قُرَيْش ، بَعْدَ الفَتْحِ ، فقال « التَمِسْ صَاحِباً » فَجَاءَنِي عَمْرو بنُ أُمية الضَّمرِيْ ، فقال : بَلَغَنِيْ أَنَّكَ تِرِيْدُ الخُرُوْجَ إلى مَكَّةَ ، فَتَلْتَمِسُ صَاحِباً ، قُلْتُ أَجَلْ ، قال فَأَنا لَكَ صاحِبٌ .

فَجِئْتُ النبي صلى الله عليه وسلم ، فَقُلْتُ قَدْ وَجَدْتُ صَاحِباً . قال مَنْ ، قُلْتُ عَمْرَو بنَ أمية ، قال « إذَا هَبَطْتَ بِلَادَ قَوْمِهِ ، فاحْذَرْهُ ، فإنَّهُ قَدْ قَالَ القائِلُ : أَخُوْكَ البَكريُ لاتَـأْمَنْهُ » فَخَرَجْنا ، حَتَّى إذا كُنَّا بالأَبْوَاءِ ، قال إنِّيْ أُرِيْدُ حاجَةً إلى قَوْمِي ، وَوَدِدْتُ ، أَنْ تَلْبَثَ لِيْ قَلِيْلاً

فَقُلْتُ ، انْصَرِفْ رَاشِداً ، فَلَمَّا وَلَّى ذَكَرْتُ ، قَوْلَ النبي صلى اللهُ عليه وسلم . فَشَدَدْتُ عَلَى بَعِيْري ، فَخَرَجْتُ أَوْضِعُه ، حَتَّى إِذَا كُنتُ بالأَصَافِرِ إِذَا هُوَ يُعَارِضُنِيْ فِي رَهْطٍ ، فأَوْضَعْتُ ، فَسَبَقْتُه ، فَلَمَّا رَآنِيْ جَاءَنِي ، فقالَ قدْ كانَتْ لِيْ إلى قَوْمِي حَاجَةٌ ، قُلْت أَجَلْ ، وَمَضَيْنا ، حَتَّى قَدِمْنَا مكةَ ، فَدفعتُ المالَ إلى أَبِي سُفْيَان .

١١٨ ـ ومِن ذلك ما رواه البخاريْ ومسلمٌ أَنَّ ابنَ مَسْعُودٍ سُئِلَ مَنْ آذَنَ النَّبِيَ صلى الله عليه وسلم بالجِنِّ لَيْلَةَ اسْتَمَعُوا القُرآنَ ، فقال آذَنْت بِهِمْ شَجَرَة .

١١٩ ـ ومنها مَا ذَكَرَهُ أَبَوُ رَجَاءَ ، قال دَخَلَ النبيُ صلى الله عليه وسلم حَائِطاً لِبَعْضِ الأَنصارِ ، فقال لَهُ « ما تَجْعلُ لِيْ إن أَروَيْتُ حائِطَكَ هَذَا ؟ » قال لَهُ إنِّي أَجْهدُ أَرْوِيه فلا أُطِيْقُ ، قال صلى الله عليه وسلم « تَجْعَلُ لِيْ مائةَ تَمْرَةٍ ، اخْتَارُهَا مِنْ تَمْرِكَ ؟ » قال : نَعَمْ . فأَخَذَ الغَرْبَ ، فَمَا لَبِثَ أَنْ أَرْوَاه ، حتى قال الرَّجُلُ غَرقْتَ عَلَيّ حَائِطِي ، فاخْتَارَ مائةَ تَمْرَةٍ ، فأَكَلَ هُوَ وأَصحابُهُ ، حتى شَبِعُوا .

ثُمَّ رَدَّ عليه مَائَةَ تَمْرَةٍ كَمَا أَخَذَها ، رواه الطبراني في الكبير .

والله أَعلم وصلى الله على محمد وآله وسلم .

١٢٠ ـ ومنها ما رَوَاهُ البزارُ مِنْ أَنَّ أَبَا ذَرٍّ تَبِعَ النبيَّ صلى الله عليه وسلم يَوْماً ، فَجلَسَ قال : فَجَلَسْتُ عِنْدَهُ ، فقال : « يَا أَبَا ذَر : مَا جَاءَ بِكَ ؟ » قُلْتُ الله وَرَسُوله ، فَجَاءَ أَبُوْ بَكْرٍ فَسَلَّمَ وجَلَسَ عن يَمِيْنِه صلى الله عليه وسلم ، فقال له « ما جاءَ بِكَ يا أَبا بَكْر ؟ » قال : الله ورسوله ،

فجَاءَ عُمَرُ ، فَجَلَسَ عن يَمِينِ أَبِي بَكر ، فقال « ياعُمَرُ ما جاءَ بِكَ ؟ ؛ » قال : الله ورسوله ، ثم جاءَ عثمانُ . فَجَلَسَ عن يَمِيْنِ عُمَر ، فقال « يَا عُثْمانُ مَا جَاءَ بِكَ ؟ » قال : الله ورسوله ، فَتَنَاوَلَ صلى الله عليه وسلم سَبْعَ حَصَيَاتٍ . أَوْ تِسْعَ حَصَيَاتٍ ، فَسَبَّحْنَ في يَدِهِ ، حَتَّى سَمِعْتُ لَهُنَّ حَنِيْناً كَحَنِيْنِ النَّحلِ .

ثُمَّ وَضَعَهُنَّ فَخَرِسْنَ ، ثُمَّ وَضَعَهُنَّ في يَدِ أَبِيْ بَكْرٍ فَسَبَّحْنَ في يَدِهِ حَتَّى سَمِعْتُ لَهُن حَنِيْناً كَحَنِيْنِ النَّحْلِ ، ثُمَّ وَضَعَهُنَّ فَخَرِسْنَ ، ثُمَّ تَنَاوَلَهُنَّ فَوَضَعَهُنَّ في يَدِ عُمرَ فَسَبَّحنَ في يَدِهِ ، حَتَّى سَمِعْتُ لَهُنَّ حَنِيْناً كَحنِينِ النَّحلِ . ثُمَّ وَضَعَهُنَّ فَخَرِسْنَ ، ثُمَّ تَنَاوَلَهُنَ فَوَضَعَهُنَ في يَدِ عُثْمانَ ، فَسَبَّحنَ في يَدِهِ ، حَتَّى سَمِعْتُ لَهُنَّ حَنِيْناً كَحَنِيْنِ النَّحلِ ، ثُمَّ وَضَعَهنَّ فَخَرَسْنَ . وقال الزُّهري يَعْنِي الخِلاَفَةَ .

١٢١ ـ ومنها قِصَّة المزادتيْنِ أَو السَّطِيحَتَيْنِ فَعَنْ عِمرانَ بن حصين أَن النبي صلى الله عليه وسلم في بعض أسفاره شكى إليه الناسُ مِنَ العَطَشِ فَدَعَا فُلاَناً ودَعَا عَلِيًّا ، فقال « اذْهَبَا فابْغِيَا الماءَ » فانْطَلَقَا ، فَلَقِيَا امْرَأَةً بَيْنَ مَزَادَتَيْنِ أَوْ سَطِيْحَتَيْنِ مِنْ مَاءٍ عَلَى بَعِيْرٍ لَهَا .

فقالاَ لَهَا أَيْنَ الماءَ ، فَقَالَتْ عَهْدِيْ بالماء أَمْسِ هَذِهِ الساعةُ ونَفَرُنَا خُلُوفٌ . قالا انْطَلِقِي إِذاً قَالَتْ إِلى أَيْنَ . قالا إِلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قالتْ . الذِي يُقَالُ لَهُ الصَّابيءُ قالا : هُوَ الذِيْ تَعْنِيْنَ ، فانْطَلِقِيْ ، فَجَاءَا بِهَا النَّبِيَّ صَلى اللهُ عليهِ وسلم وحَدَّثَاهُ الحديثَ ، فاسْتَنْزَلُوها عن بَعيرِهَا ، ودَعَا صَلَّى اللهُ عليه وَسَلَّم بإناء فَأَفْرَغَ فِيْهِ مِنْ أَفْوَاهِ المَزَادَتَين . أَوِ السَّطِيْحَتَيْنِ . وَأَوْكَأَ أَفْوَاهَهُما . واطْلَقَ العُزَالَى ،

فَنُودِيَ فِي النَّاسِ اسْقُوا ، واسْتَقُوا ، فَسَقَى مَنْ شاءَ ، واسْتَقَى مَن شَاءَ وكانَ آخرُ ذلكَ أَنْ أَعْطَى رَجُلاً أَصَابَتْهُ جَنَابةٌ إناءً مِنْ ماءٍ ، فقال « اذْهبْ فَأَفْرِغْهُ عَلَيْكَ » وهِيَ قَائِمَةٌ تَنْظُرُ مَا يُفْعَلُ بمَائِها .

وايْمُ اللهِ لَقَدْ أَقْلَعَ عَنْها وإنهُ لَيُخَيَّلُ إلَيْنَا أَنَّها أَشَدُّ مَلأَةً مِنْها حِيْنَ ابْتَدأَ فيها ، فقال صلى الله عليه وسلم « اجْمَعُوا لَهَا » فَجَمَعُوا لَهَا مِن بَيْنِ عَجْوةٍ ودَقِيْقَةٍ وَسَوِيْقَةٍ ، حَتَّى جَمَعُوا لَهَا طَعاماً فَجَعَلُوهُ فِي ثَوْبٍ ، وحَمَلُوهُ عَلَى بَعِيْرِهَا وَوَضَعُوْا الثَّوبَ بَيْنَ يَدَيْها ، وقال لَهَا : تَعلَمِينَ ما رَزَأْنا مِنْ ماءِكِ شَيْئاً .

ولَكِن اللهَ هُو الذِي أَسْقانا ، فأَتَتْ أَهْلَها وقَدْ احْتُبِسَتْ عنهم . وقالُوا ماحَبَسَكِ يا فُلانةُ ، قَالَتْ العَجَبُ ، لَقِيَنِي رَجُلانِ فَذَهَبَا بِيْ إلىهَذَا الصَّابِيْ فَفَعلَ كَذا وكَذا ، فَوَاللهِ إنَّهُ لأَسْحَرُ الناسِ من بَيْنِ هَذهِ وهَذِهِ ، تَعْنِي السماءَ إلى الأَرضِ ، أَوْ إنَّه لَرَسُوْلُ الله حقاً ، فكانَ المُسْلِمُونَ بَعْدُ يغِيْرُونَ على مَنْ حَوْلها مِنَ المُشْرِكِيْنَ ، ولايُصِيبُون القوم الذي هِيَ مِنْه .

فقالَتْ يَوْماً لِقَوْمِهَا ، ما أَرَى إلا أَنَّ هؤلاءِ القومُ يَدعُوْنكُمْ عَمْداً ، فَهَلْ لكمْ فِي الإِسْلاَمِ ، فَأَطَاعُوها ، فَدَخَلُوا في الاسْلامِ ، وفي رواية قَالَتْ لَهُما هَيْهات هَيْهَاتَ لا ماءَ لَكُم ، وفيه فَأَخْبَرَتْهُ صلى الله عليه وسلم أَنَّها مُؤْتَمَّة فأَمَرَ براوِيَتِهَا ، فأُنِيْخَتْ فَمَجَّ في العَزْلاَوَيْنِ العُلْيَاوَيْن .

ثُمَّ بَعَثَ براوِيَتِهَا فشَرِبْنَا ، ونَحْنُ أَرْبَعُوْنَ رَجُلاً ، عِطَاشاً ، حتَّى رَوِيْنا ، وَمَلأْنـا كلَّ قِرْبة مَعَنا ، وإدَاوَةٍ وغَسَّلْنَا صَاحِبَنَا ، غَيْرَ أَنَّا لَمْ نُسْقِ بَعِيْراً ؛ وهَيْ تَكَادُ تَتَضَرَّج بالمَاءِ ، يَعْنِيْ المزادتين ، رواه الشيخان مطولا .

١٢٢ — ومِنْ ذَلِكَ قِصَّةُ سَلَمَةَ بنِ الأَكْوَعِ ، قَالَ خَرَجْنَا مَعَ النبي

صلى الله عليه وسلم في غَزْوَةٍ ، فأَصَابَنا جَهْدٌ حَتَّى هَمَمْنَا أن نَنْحَرَ بَعْضَ ظَهْرِنَا ، فأَمَرَ النَّبِي صلَّى اللهُ عليه وسلم فَجَمَعْنا أَزْوَادَنا ، وبَسَط لَنا نَطْعاً فاجْتَمعَ زَادُ القَوْمِ عَلَى النِّطْعِ ، فَتطَاوَلتُ لأَحْزُرَهُ كَمْ هُوَ ، فإِذَا هُوَ كَرَبْضَةِ العَنْز ، ونَحْنُ أَربعَ عَشْرَةَ مِائَةً (١٤٠٠) فَأَكَلنَا حَتَّى شَبِعْنا جَمِيْعاً ، ثُمَّ حَشَوْنا جُرُبَنَا ، فقال صلى الله عليه وسلم ، « فَهَل مِنْ وُضُوءٍ ؟ » فَجَاءَ رَجُلٌ بإِدَاوَة فيهَا نُطْفَةٌ مِنْ مَاءٍ ، فأَفْرَغَها في قَدَحٍ ، فَتَوَضأْنَا كُلُّنا ، نُدَغْفِقُه دَغْفَقَةً . رواه الشيخان .

١٢٣ ـ ومِنْ ذَلِكَ مَا رَوَاهُ الترمذيُ عن أَبِي هُرَيْرَةَ ، قال أَتَيْتُ النبي صلى الله عليه وسلم يوماً بتَمَرَاتٍ ، فَقُلْتُ يا رَسُولَ الله ادْعُ فِيْهنَّ بالبَرَكَةِ ، فَضَمَّهُنَّ ، ثم دَعَا لِيْ فِيْهنَّ ، ثم قَالَ « خُذْهُنَّ ، فاجْعَلْهُنَّ في مِزْوَدِكَ هَذَا أَوْ في المِزْوَدِ ، فكُلَّمَا أَرَدْتَ أَن تأْخُذَ مِنهُ شَيْئاً أَدْخِلْ يَدَكَ فِيهِ ، وخُذْ وَلاَ تَنْثُرْهُ نَثْرا » فَفَعَلْتُ ، فَلَقَدْ حَمَلتُ مِنْ ذلكَ التَّمرِ كَذَا وَكَذَا مِنْ وَسَقٍ في سَبِيْلِ اللهِ ، فَكُنَّا نَأْكُلُ مِنْهُ ونُطْعِمُ ، وكانَ لايُفَارِقُ حَقْوِي ، حَتى كان يومُ قَتْلِ عُثْمَانَ انْقَطَعَ والله أَعلم .

١٢٤ ـ ومنها ما رواه الشيخان عن السائبِ بنِ يزيدَ ، قال ذَهَبتْ بِيْ خالَتِي إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فقالَتْ يارسول الله ، إنَّ ابنَ أُخْتِي وَجِعٌ : فَمَسَحَ رَأْسِيْ ، ودَعَا لِيْ بالبَرَكَةِ : فَتَوَضأَ ، فَشَرِبْتُ مِنْ وَضُوئِه ، ثُمَّ قُمْتُ خَلْفَ ظَهْرِهِ ، فَنَظَرْتُ إلى خاتَمِ النُّبُوَّةِ بَيْنَ كَتِفَيْه ، مِثْلَ زِرِّ الحَجَلَةِ ، وقال الجُعَيْدُ ، رأَيتُ السائِبَ بنَ يَزِيْدَ ، ابنَ أَربع وتِسْعِين ، جَلْداً مُعْتَدِلاً : فقالَ قَدْ عَلِمْتُ ما مُتِّعَتْ به سَمْعِيْ وبَصَرِي إلاَّ بِدُعَاءِ النبي صلى الله عليه وسلم .

١٢٥ ـ ومنها ما رواه الترمذي ، قال أَبُوْ زَيْدِ بن أَخْطَب ، مَسَحَ النبيُّ صلى الله عليه وسلم بِيَدِهِ عَلَىَ وَجْهِي ، ودَعَا لِيْ ، قال عَزْرَةُ : فَلَقَدْ رَأَيْتُهُ بَعْدَ مَا عَاشَ عِشْرِيْنَ ومِائَةَ سَنَةٍ ، وَلَيْسَ في لِحْيَتِهِ إلاَّ شُعَيْرات تُعدُّ بِيْض .

١٢٦ ـ ومنها ما رواه البخاري عن أنس رضي الله عنه قال : بَلَغَ عبد اللهِ بنُ سلام ، مَقْدَمُ النبي صلى الله عليه وسلم المَدِيْنَةَ فأتاهُ ، وقَالَ : إنِّيْ سَائِلُكَ عَن ثَلاَث ، لايَعْلَمُهن إلاَّ نَبيٌ ، مَا أولُ أَشْرَاطِ الساعة ، وَمَا أَوَّلُ طَعَام يأكُلُهُ أهلُ الجنة ، ومِنْ أَيِّ شَيءٍ يَنْزِعُ الولَدُ إلىَ أَبيْهِ ، ومِن أَيِّ شَيءٍ يَنْزِعُ إلىَ أَخْوَالِه ، فقال صلى الله عليه وسلم « أَخبرَنِيْ بِهنَّ آنِفاً جبْرِيْل » قال : عَبدُ اللهِ ذاكَ عَدُوُّ اليَهُوْدِ مِنالمَلاَئِكَةِ.

« أَمَّا أَوَّلُ أَشْراطِ السَّاعةِ ، فَنَارٌ تَحشرُ النَّاسَ مِن المَشْرِقِ إلى المَغْرِبِ ، وأَمَّا أَوَّلُ طَعَام يأكُلُه أَهْلُ الجَنَّةِ ، فزِيَادَةُ كَبِدِ الحُوْتِ ، وأمَّا الشَّبهُ في الوَلَدِ ، فَإِنَّ الرَّجُلَ إذَا غَشَى المَرْأَةَ فَسَبَقَها ماوُه ، كانَ الشَّبَهُ لَهُ ، وإذَا سَبَقَتْ كانَ الشَّبَهُ لَهَا » قال أَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللهِ ، الحديث .

١٢٧ ـ ومِن ذَلِكَ إخْبَارُهُ صلى اللهُ عليه وسلم إنَّ أُمَّتهُ تَحْذُوْ حَذْوَ بَنِيْ إسْرَائيلَ ، وحَذْوَ مَنْ كانَ قَبْلَهم مِن الأمَمِ ، حَذْوَ القُذَّةِ بالقذةِ ، والنَّعْلِ بالنَّعْلِ .

وَكَانَ الأَمْرُ كما أخبر حَذَتْ حَذْوَهُم في الاختِلاَفِ ، والتَّفَرُقِ ، وارْتِكاب المُحَرَّمَاتِ ، والإحْدَاثِ في الدِيْن ، والكَذِب ، على النبي صلى الله عليه وسلم حَذْوَ اليَهُودِ والنَّصَارَى .

١٢٨ ـ ومِنْ ذَلِكَ إخْبَاره صلَّى اللهُ عليه وسلم يَومَ هَوَازِنَ بقَتْلِ ذِي

الخُوَيْصِرَةِ ؛ حِرْقُوصِ بن زُهَيْرِ السَّعْدِي ، وَأَصْحَابِهِ مَارِقِيْنَ مِن الدِّيْنِ ، خَارِجِيْنَ عَلَى حِيْنِ فِرْقَةٍ مِن الناسِ .

وحديثهم مَذْكُوْرٌ فِي بَعْضِ السِّيَرِ ، وكُتُبِ الحَدِيْثِ ، ومَضْمُوْنُهُ أَنَّ ذَا الخُوَيْصِرَةِ قامَ إلى النبي صلى اللهِ عليه وسلم ، وهُوَ يَقْسِمُ غَنَائِمَ هوَازِنَ ، فقَالَ اعْدِلْ يا مُحَمَّدُ ، فَانَّكَ لَمْ تَعْدِلْ فقال لَهُ النبي صلى الله عليه وسلم « تَرِبَتْ يَدَاكَ فَمَنْ يعْدِلِ إذا لَمْ أَعْدِلْ أَنَا » فَقَامَ عُمَرُ بنُ الخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عنه ، فقال يارسولُ اللهِ إنه نَافَقَ فَمُرْنِي أَضْرِبُ عُنُقَه .

فقال النبي صلى الله عليه وسلم « دَعْهُ فإِنَّ لَهُ أَصْحَاباً يَحْقِرُ أَحدُكُم صلاتَهُ عِنْدَ صلاتِهِمْ وقِراءتَه عند قِرَاءَتِهِمْ ، يَمْرُقُون مِن الدِّيْنِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهمُ مِن الرَّمِيَّة ، يَخْرُجُونَ على حِيْنِ فِرْقَةٍ مِن الناسِ ، يَقْتُلُهُمْ أَوْلَى الطَّائِفَتَيْن بِالحَقِّ ، آيَتُهُمْ المُخَدَّجُ ، يَعْنِي ذَا الثديَّةِ ، فكانَ الأَمْرُ كَمَا أَخْبَرَ صلى اللهُ عليه وسلم ، فإِنَّ الرَّجُلَ المذكورَ وأَصْحابَهُ خَرَجُوا على أَمِيْرِ المُؤْمِنِيْنَ عَلِي بن أَبِي طالبٍ بَعْدَ حَرْبِ صِفِّيْنِ .

فَقَتَلَهم عَلِيٌّ رضيَ اللهُ عنه في النَّهرَوَان ، واسْتَخْرَجَ المُخَدَّجَ ذَا الثُدَيَّةِ ، مِن المَاء مَقْتُولاً ، حَتَّى نَظَرَ إليهِ الناسُ مِن عَسْكَرِهِ ، وكانُوا ما يَقْرُبُ مِن سِتِيْنَ أَلفاً ، فكَبَّر عليٌّ حِيْنَ وَجَدَهُ ، وَسَجَدَ سَجْدَةَ شُكْرٍ ، وكبَّر العَسْكرُ الذِي مَعَهُ فَرَحاً وسُرُوْراً بِمَا شَاهَدُوْهُ مِن خَبَرِ رسول اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم الذِيْ وَقَعَ طِبْقَ ما قال .

١٢٩ ـ ومِن ذلِكَ مَا أَخْبَرَ بهِ في حَيَاتِهِ صلى اللهُ عليه وسلم وذَلِكَ مأْخُوذٌ مِن القُرآنِ ، قال تعالى (تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَب وَتَبَّ ، ما أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وما كَسَبَ ، سَيَصْلَى نَاراً ذَاتَ لَهَبٍ ، وامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الحَطَبِ ، في جِيْدِهَا حَبْلٌ مِنْ مَسَد) .

فأَخْبَرَ أَنَّ عَمَّهُ أَبا لَهَبٍ سَيَدْخُلُ النَّارَ هُوَ وَامْرَأَتُهُ ، وعَاشَا مُدَّةً ، وقَدَّرَ اللهُ أَنَّهُمَا مَاتَا عَلَىَ شِرْكِهِمَا ، وَلَمْ يُسْلِمَا حتَّى ولا ظَاهِراً ، وهَذَا مِن دَلاَئِلِ النُّبُوَّةِ البَاهِرةِ .

١٣٠ ــ ومِن ذَلِكَ مَا أَتَى بِهِ فِي القُرآنِ قالَ تَعالى (قُلْ لَئِنْ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ والجِنُّ عَلَىَ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذا القُرآنِ لايأْتُونَ بِمِثْلِهِ ولو كان بَعْضُهم لِبَعْضٍ ظَهِيرًا) وتَحَدَّاهُمْ بعَشْرِ سُوَرٍ ، وبسُورَةٍ مِن مِثْلِهِ ، وَأَخْبَرَ أَنَّهُمْ لَنْ يَفْعَلُوا ذَلِكَ أَبَدًا ، ولَمْ يَقَعْ ، ولَنْ يَقَعَ : صدقَ اللهُ العَظِيم ، فهذا مِنْ المُعْجِزَاتِ البَاهِرَةِ .

١٣٠ ــ وقال تعالى (وَعَدَ اللهُ الذينَ آمنُوا مِنكُم وعملُوا الصالحاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم في الأَرض كَمَا اسْتَخْلَفَ الذينَ مِن قَبْلِهِم ولَيُمَكِّنن لَهُم دِيْنَهُمُ الذِيْ ارْتَضَى لَهُمْ ولَيُبَدِّلَنَّهُم مِن بَعْدِ خَوفِهِم أَمْناً) وهكذا وَقَعَ سَواءً بسَوَاءٍ ، مَكَّنَ اللهُ هَذَا الدِّيْنَ وأَظْهَرَهُ وأَعْلاَهُ ونَشَرَهُ في الآفاقِ وأَنْفَذَهُ وأَمْضَاهُ .

١٣١ ــ وقال تعالى (قل للمخلفينَ مِن الأَعْرَابِ ، سَتُدْعَوْنَ إلى قَوْمٍ أَولي بأْسٍ شَدِيدٍ ، تُقَاتِلوُنَهُم أَو يسلمون) ، قيل إنهم فارِسُ ، وَقِيلَ الرُوْمُ ، وقِيل هَوَازنُ ، وثَقِيْفُ ، وغَطَفَانُ ، يَوْمَ حُنَيْنٍ ، وَقِيْلَ بَنُو حَنِيْفَةَ ، قومُ مُسَيْلِمَةَ الكَذاب ، والمُهِمُّ أَنهُ وَقَعَ كَمَا أَخْبَرَ اللهُ .

١٣٢ ــ وقال تعالى (وَعَدَكُم اللهُ مَغَانِمَ كَثِيْرَةً تَأْخُذُوْنَهَا فَعَجَّلَ لَكُم هَذِهِ وَكَفَّ أَيْدِيَ الناسِ عنكم ــ إلى قولِهِ ــ وكَانَ اللهُ على كلِّ شَيْءٍ قَدِيراً) وسَواءٌ كان هَذا خَيْبَرَ ، أَوْ مَكَّةَ ، فَقَدْ فُتِحَتَ ، وأُخِذَتْ كَمَا وَقَعَ بِهِ الوَعْدُ سَواءً بِسَوَاءٍ .

١٣٣ - وقال تعالى (لَتَدْخُلُنَّ المَسْجِدَ الحَرَامَ إنْ شَاءَ اللهُ آمِنِينَ ، مُحَلِّقِينَ رُؤُوسَكُم ، وَمُقَصِّرِينَ ، لاتَخَافُونَ ، فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا ، فَجَعَلَ مِن دُوْنِ ذلكَ فَتحاً قريبا) فوقَعَ إنْجَازُ هَذا الوَعْدِ في سَنَةِ سَبْعٍ عامَ عُمْرَةِ القَضَاءِ .

١٣٤ - وقال تعالى (وإذ يَعِدكُم اللهُ إحْدَى الطائِفَتَينِ أنَّها لكُم ، وتَودُّوْنَ أنَّ غيرَ ذاتِ الشَّوْكَةِ تكونُ لَكم) فَوَقَعَ طِبْقَ ما أَخْبَرَ اللهُ .

١٣٥ - وقال تعالى (يا أَيها النبي قُلْ لِمَنْ في أَيدِيكُم مِن الأَسْرَى ، إنْ يَعْلَمِ اللهُ في قُلُوبِكُم خَيراً يُؤتِكُم خَيْراً ممَّا أُخِذَ مِنكم ويَغْفِرْ لكُمَ ، واللهُ غفورٌ رَحِيْمٌ) وهكذا وَقَعَ ، فإنَّ الله عَوَّضَ مَن أَسْلَمَ مِنْهُمْ بخَيْرَي الدنيا والآخرة .

١٣٦ - وقال تعالى (وإن خِفْتُم عَيْلَةً ، فَسَوفَ يُغنيكُم اللهُ مِن فضله إن شاءَ إن اللهَ عليمٌ حكيمٌ) وهكَذَا وَقَعَ عَوضَهُم اللهُ عمَّا كانَ يَغْدو إليهم مَعَ حُجَاجِ المُشْرِكِينَ بمَا شَرَعَه لَهُمْ مِن قِتَالِ أَهْلِ الكِتَابِ ، وضَربِ الجزيةِ عليهم ، وسَلْبِ أموالِ مَن قُتِلَ مِنهُم على كُفْرِهِ ، كما وَقَعَ بكفارِ أَهْلِ الشَامِ مِن الرُوْمِ ، ومَجُوسِ الفُرْسِ بالعِرَاقِ ، وغَيرِهَا مِن البُلْدَانِ ، التي انْتَشَرَ الاسلامُ على أَرجَائِها .

١٣٧ - وقال تعالى (سَيَحْلِفُونَ بالله لَكُم إذا انْقَلَبْتُمْ إليهم لِتُعْرِضُوا عنهم فأَعْرِضُوا عَنهُم إنَّهُمْ رِجْسٌ) الآية وهكذا وَقَعَ لَمَّا رَجع صلى اللهُ عليه وسَلم مِنْ غَزْوَةِ تَبُوْكَ كانَ قَدْ تَخَلَّفَ عَنْهُ طَائِفةٌ مِن المُنَافِقِيْنَ فَجَعَلوُا يَحْلِفُونَ باللهِ ، لَقَدْ كَانُوا مَعذوْرِيْنَ في تخلُّفِهِم ، وهُمْ في ذلكَ كَاذِبُونَ فأمرَ رَسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم أَنْ يُجْرِي أَحْوَالَهُمْ على ظَوَاهِرِهَا ، ولا يَفْضَحهُمْ عندَ الناسِ .

١٣٨ ـ وقال تَعالىَ (وإن كَادُوْا لَيَسْتَفِزُّوْنَكَ مِن الأَرْضِ لِيُخْرِجُوْكَ مِنْهَا وَإِذاً لايَلْبَثُونَ خِلاَفَكَ إلا قَلِيْلاً) وهكذا وَقَعَ لَمَّا اشْتَوَرُوا عليهِ لِيُثْبِتُوْهُ أَوْ يَقْتُلُوْهُ أَوْ يُخْرِجُوْهُ مِن بَيْنِ أَظْهُرِهِمْ ، المِهُمُّ أَنَّهُ وَقَعَ كَمَا أَخْبَرَ سَوَاءً بِسَوَاءٍ .

مــوعظة

عِبَادَ اللهِ لَقَدْ تَغَيَّرَ النَاسُ اليَوْمَ في أَحْوَالِهِمُ الدِيْنِيَّةِ تَغَيُّراً يُدْهِشُ النَّاظِرِيْنَ هَذِهِ الصلاةُ التِي هِيَ ثَانِيْ أَرْكَانِ الاسْلاَمِ وهيَ عَمُوْدُهُ أَعْرَضَ النَاسُ عَنْهَا غَيْرَ مُبَالِيْنَ وَلاَ نَادِمِيْنَ جَهِلُوْا مَاهِيَ الصَلاةُ وَأَيُّ قِيْمَةِ قِيْمَتُهَا وَمَا مَنْزِلَتُهَا مِن بَيْنِ سَائِرِ الطَاعاتِ وَمَا عَلِمُوْا أَنَّهَا الصِّلَةُ بَيْنَ العَبْدِ وَبَيْنَ رَبِّهِ فَهِيَ خَيْرُ مَوْضُوْعٍ وُضِعَ لِلتَّقَرُّبِ إِلىَ الرَّحْمٰنِ ولِذَلِكَ هِيَ تُطَهِّرُ المُصَلِي المُقِيْمَ لَهَا مِن ذُنُوبِهِ إذا اجْتَنَبَ الكَبَائِرَ فَعَلَيْكَ أَيُّهَا المُسْلِمُ أَنْ تَحْرِصَ عَلَيْهَا كُلَّ الحِرْصِ وأَنْ تَعْتَنِيَ بِهَا كُلَّ الاعْتِنَاء ولاتُضَيِّعَ هَذَا الوَاجِبَ العَظِيْمَ الذِيْ بِأَدَائِهِ تَكونُ مِن المُؤمِنِيْنَ المُوْعُودِيْن بالفَوزِ بالمَطْلُوبِ والنَّجَاةِ مِن المَرْهُوبِ ، وبِتَرْكِ هَذَا الوَاجِبِ تكونُ مِن الكافِرِيْنَ المَوْعُوْدِيْنَ في الجَحِيْمِ أَبدَ الآبِدِيْنَ فإِذَا حَانَ وَقْتُهَا فاهْتَمُوْا بِهَا تَهَيَّئُوْا لِمُناجَاةِ خَالِقِكُم العَزِيْزِ الحَكِيمِ وخُذُوْا زِيْنَتَكُم مُمْتَثِلينَ قوله تعالى : « يا بَنِيْ آدمَ خُذُوا زِيْنَتَكُم عندَ كلِّ مَسْجِد) واعْتَنُوا أولاً بالطَّهَارَةِ التِيْ هِيَ مِفْتَاحُهَا ثُمَّ أَدُّوْهَا بخُضُوعٍ وخُشُوعٍ واطْمِئْنَانٍ ولا تكونوا كالذِينَ يُصَلُّونَ بأَجْسَامِهِمْ ويُحَرِكُونَ أَلسِنَتَهُمْ وشِفَاهَهُمْ ويَرْفَعُونَ أَيْدِيَهُم مُكَبرِيْنَ ويَحْنُونَ ظُهُورَهُمْ رَاكِعِيْنَ وسَاجِدِيْنَ ولكِنَّ قُلُوبَهُمْ لم تَتَحَرَّكْ إلى اسْتِحْضَارِ عَظَمَةِ مَوْلاَهُمْ وَلم تَتَدَبَّر مَعَانِيَ مَاتَلْفِظُ به أَلْسِنَتُهُمْ لأَنَّها في أَوْدِيَةِ الدُنيا سَارِحَةٌ تُفَكِّرُ في العَقَارَاتِ والمُدَايَنَاتِ

والفِلَلِ والعَمَائِرِ التِيْ عَنْ قَرِيْب سَيُخَلِّفُونَهَا رَغْمَ أُنُوفِهِمْ إذا نَظَرْتَ إلى أَحدهمَ وهو يُصَلِيْ لاهِياً في تَفكِيْرِهِ يَعْبَثُ في ثَوبِهِ تَارَةً وفي سَاعتِهِ تَارةً وفي أَنْفِهِ تارةً ويُنَقِشُ سِنَّهُ تارَةً وبَعْضُهُمْ يَلْمَسُ مَكَانَ لِحْيَتِهِ أَوْ يُصَلِّحُ مَيَازِيْبَ غُتْرَتِهِ أَوْ يُقَلِّمُ أَظفَارَهُ بأَسْنَانِهِ . وَهكذا حَتَّى يَخْرُجَ مْنِهَا صِفْراً مَامَعَهُ مِنْهَاوالله أَعْلمُ إلاَّ العُشْرِ ولِهَذَا لَوْ تأَمَّلْتَ المُؤَدِيْ لَهَا هَكَذَا رَأَيْتَ أَنْ الصَّلاةَ هَذِهِ لَمْ تُؤَثِّر عَلَيْهِ لا في تَتْمِيْمِ الوَاجِبَاتِ ولا في تَرْكِ المُحَرَّمِاتِ والمَكْرُوْهَاتِ بَلْ ولا في تَخْفِيْفِها لأَنَّ الصَّلاةَ الصَحِيْحَةَ التِيْ أَقامَهَا صَاحِبُهَا مِن شَأْنِهَا أَنها تُهَذِّبُ النَّفْسَ وتُرَقِّقُ الخُلُقَ وَتَنهى عن الفَحْشَاءِ والمُنْكَرِ .

فاذَا رَأَيْنَا إِنْسَاناً يُصَلِّي لَكِنَّهُ يَأْكُلُ الرِّبَا وَيَحْضُرُ المَلاهِيْ والمُنْكَرَات أَوْ يَبِيعُهَا أَوْ يَشترِيْهَا أَوْ رَأَيْنَاهُ مَعَ السُفَلِ الذينَ يُلاَحِقُونَ النِسَاءَ في الأَسْوَاقِ أَوْرَأَيْنَاهُ يُجَاهِرُ بالمَعَاصِي مِن شُرْبِ دَخَّانٍ بَيْنَ النَاسِ أَوْ يَحْلِقُ لِحْيَتَهُ أَوْ يَخْلِقُ لِحَاءَ الناسِ أَوْ يَجْعَلُ خَنَافِسَ أَوْ يَتَشبَّهُ بأَعْدَاءِ اللهِ مِن اليَهُودِ والنَّصَارَى أَوْ يَغُشُّ المُسْلِمِيْنَ أَوْ يرْتَشِيْ أَوْ يَحْمِلُ النِسَاءَ بِدُوْن مَحْرَمٍ أَوْ يَخْلُوْ بهِنَّ بدُوْنِ مَحْرَمٍ أَوْ يُصَوِرُّ لِذَوَاتِ الأَرْوَاحِ أَوْ يَبِيْعُ الصُّوَرَ أَوْ يَسْخَرُ بالمُسْلِمِيْنَ أَوْ نَحْوُ ذَلِكَ مِن المَعَاصِيْ والمُنْكَرَاتِ عَلِمْنَا أَنَّ هَذِهِ الصَّلاةَ التِيْ يُصَلِّيْ أَنَّهَا لَمْ تَنْهَهُ صَلاتُهُ عَنَ الفَحَشَاءِ والمُنْكَرِ فَلَمْ يَزْدَدْ مِن الله إلا بُعْدَا وَرُبَّمَا كَانَ المُتَّصِفُ بِشَيْءٍ مِن الصِّفَاتِ السَّابِقَةِ مَعَ صَلاتِهِ أَنَّهُ يَكِيْدُ بِهَا الناسَ وَيَتخِذُهَا أُحْبُوْلَةً يَتَصَيَّدُ بها ثَنَاءَ النَاسِ عَلَيْهِ أَوْ لِلْحُصُول عَلى شَيْءٍ مِنَ الدُنْيَا قال بَعْضُهُمْ في مُصَلٍّ يَتَصَيَّدُ بِصَلاتِهِ .

ذِئبٌ رَأَيْتُ مُصَلِّيـاً فاذَا مَـرَرْتُ بِـهِ رَكَعْ

يَدْعُوْ وَجُـلُّ دُعَائِـهِ مَا لِلْفَرِيْسَة لاتَقَـع
عَجِّلْ بهَـا عَجِلْ بِهَا إِنَّ الفُؤادَ قدِ انْصَدَعْ

وَمَنْ كانَتْ هَذِهِ حَالُهُ فمَا أَبْعَدَهُ عن الدِّيْنِ وما أَقْرَبَهُ إلى الرِّياء والنِّفَاقِ نسأَلَ الله العصمةَ لَنَا ولإِخْوَانِنَا المُسْلِمِينَ عن مَا يُخِلُّ بالدِين إنه جَوَادٌ كَرِيْم . .

وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

١٣٩ ـ ومِنْ ذَلِكَ مَا وَرَدَ مِن أَنَّ سَبَبَ نُزُول قَولِ اللهِ تَعَالَى لِنَبِيِّهِ صَلى اللهُ عليه وسلم (قل يَا أَيُّهَا الكَافِرُوْنَ) إلى آخر السَورةِ ، هُوَ أَنَّ رَهْطاً مِن قُرَيْشٍ مِنهُمُ الحَارِثُ بنُ قَيْسٍ السَّهْمِيْ ، والعَاصُ بنُ وَائِلٍ ، والوليدُ ابنُ المُغِيْرَة ، والأَسْوَدُ بنُ عَبدِ يَغُوثَ ، والأسودُ بنُ المُطَّلِب بن أَسَد ، وأُمَيَّةُ بنُ خَلَف ، قالوا : يَا مُحَمَّدُ هَلُمَّ فاتَّبِعْ دِيْنَنَا ونَتَّبِعْ دِيْنَكَ ، ونُشْرِكُكَ في أَمْرِنَا كُلِّهِ تَعْبُدُ آلِهَتَنَا سَنَةً ونَعْبُدُ إِلَهكَ سَنَةً ، فإِنْ كَانَ الذِيْ جِئْتَ بِهِ خَيراً كُنَّا قَدْ شَرَكْنَاكَ فِيهِ ، وأَخَذْنَا حَظَّنَا مِنْهُ ، وإِنْ كَانَ الذِيْ بِأَيْدِيْنَا خَيْراً كُنْتَ قَدْ شَرَكْتَنَا فِيْهِ ، وأَخَذْتَ بَحظِّكَ مِنْهُ .

فَقَالَ « مَعَاذَ اللهِ أَنْ أُشْرِكَ بِهِ غَيْرَهُ » قَالُوا : فاسْتَلِمْ بَعْضَ آلِهَتِنَا ، نُصَدِّقُكَ ونَعْبُدُ إِلَهكَ . فقال لاَ حَتَّى أَنْظُرَ مَا يأْتِيْنِي مِنْ عِنْدِ رَبِيْ فأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ (قل يا أيها الكافرون) إلى آخر السَورة ، فكانَ كَمَا قال صلى اللهُ عليه وسلمَ فَلَمْ يَتْبَعْهُمْ ولم يَتْبَعُوْهُ في عِبَادَةِ اللهِ وَحْدَهُ لاَشَرِيْكَ لَهُ .

١٤٠ ـ وَمِنْ ذَلِكَ مَا وَعَدَ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وسَلَّمَ بِهِ أَصْحَابَهُ مِنَ المُهَاجِرِيْنَ والأَنْصَارِ في حَالِ ضَعْفِهِمْ ، مِن أَنَّ اللهَ سَيَنْصُرُهُمْ ويُمَكِّنُهُمْ ،

ويُقَوِّيْهِمْ ، ويُظْهِرُهُمْ ، فَيُقِيْمُونَ الصلاةَ ، ويُؤْتُونَ الزكَاةَ ، ويأمرونَ بِالمَعْرُوفِ ، ويَنْهَونَ عن المُنْكَرِ ، وتكونُ العُقبَى لَهُمْ ، وتَلاَ بِذَلِكَ القُرآنَ .

فقال عَزَّ مِن قائِلٍ « أُذِنَ لِلذِيْنَ يُقَاتَلُونَ بأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإنَّ اللهَ على نَصْرِهِم لَقَدِيْر » — إلى قوله — « الذينَ إنْ مَكَّنَّاهُمْ في الأَرض أقَامُوا الصَلاةَ وآتَوا الزكاةَ وأَمَرُوا بالمعروفِ ونَهَوْا عن المُنْكَرِ وَللهِ عاقبةُ الأُمُور » فَتَمَكَّنَ أَصْحَابُهُ وَخُلَفَاؤُهُ ، وأقامُوا الصلاةَ وآتوا الزكاةَ ، وأمروا بالمعروف ، ونَهوا عن المنكرِ ، وكانَتِ العُقْبَى لَهُمْ ، كَمَا أَخْبَرَ بذَلِكَ الصَّادِقُ الْمَصْدُوْقُ صَلواتُ اللهِ وسلامُه عَليهِ .

١٤١ — ومِن ذَلِكَ الْقَاءُ النُّعَاسِ عَلَى المُجَاهِدِيْنَ مَعَ رَسُوْلِ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسَلَّم أماناً أَمَّنَهُمُ اللهُ بِهِ مِن خَوْفِهِمْ الذِيْ حَصَلَ لَهُمْ مِن كَثْرَةِ عَدُوِّهِمْ ، وقِلَّةِ عَدَدِهِمْ ، وكذلكَ فَعَلَ بِهِمْ يَوْمَ أُحُد : قال تعالى (إذْ يُغَشِّيْكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً منْهُ . .) والآية الأخرى .

ومِنْ ذلِكَ تَقْلِيْلُ المُجَاهِدِيْنَ مَعَ النَّبِي صَلَّى اللهُ عَليه وَسَلَّمَ في أَعْيُنِ المُشْرِكِيْنَ وتَقْلِيْلِ المُشْرِكِيْنَ في أَعْيُنِ المُؤْمِنِيْنَ لِيُقْدِمَ المُؤْمِنُونَ وَيَتَجَرَّؤُا ويطمعوا فِيْهِمْ ولئَلاَّ يَهْرَبَ المُشْرِكُونَ ، قال تعالى (واذْ يُرِيكُمُوهُمْ إذِ التقيتُم في أَعْيُنِكُم قَلِيلاً ويُقَلِّلُكُم في أعينهم) .

١٤٢ — ومِنْ ذَلِكَ إِنْزَالُ المَطَرِ عَلَى المُجَاهِدِيْنَ مَعَ النبي صلى اللهُ عليه وسلم ، فأَطْفَأَ الغُبَارَ ، وتَلَبَّدَتْ بِهِ الأَرْضُ ، حَتى ثَبَتَتْ الأَقْدَامُ ، وتَوَضَأُوا مِنْهُ ، وَسَقَوا الرِّكَابَ ، ومَلَؤُا الأَسْقِيَةَ وزَالَتْ عَنْهُمْ وَسْوَسَةُ الشَّيْطَانِ ، وذَلِكَ أَنَّهُمْ نَزَلُوا يَوْمَ بَدْر عَلَى كَثِيبٍ أَعْفَرَ ، تسِيْخُ فِيْهِ الأَقْدَامُ ، وحَوَافِرُ الدَّوَابِ ، وقد سَبَقَهُمُ الكُفَّارُ إلى مَاء بَدْرٍ ، وَأَصْبحَ

المُسْلِمُونَ بَعْضُهُمْ مُحْدِثِيْنَ ، وبَعْضُهُمْ مُجْنِبِيْنَ . وَأَصَابَهُمْ الظَّمأُ ، وَوَسْوَسَ إليْهِمُ الشَّيْطَانُ ، وقالَ : تَزْعُمُونَ أَنَّكُمْ علىَ الحَقِّ ، وَفِيْكُمْ نَبِيُّ اللهِ ، وَأَنَّكُم أَوْلِيَاءُ اللهِ . وقَدْ غَلَبَكُم المُشْرِكُونَ عَلَى المَاء ، وأَنْتُم تُصَلُّوْنَ مُجْنِبِيْنَ ، ومُحْدِثِيْنَ ، فَكَيْفَ تَرْجُوْنَ أَنْ تَظْهَرُوْا عَلَيْهِمْ ، وَأَصَابَ المُشْرِكِيْنَ مِن ذَلِكَ المَطَرِ مَا لَمْ يَقْدِرُوْا عَلَى أَنْ يَرْحَلُوَا مَعَهُ .

١٤٣ ـ ومِنْ ذَلِك مَا نَزلَ في رِجَالٍ بِأَعْيَانِهِمْ ، مِن أَنَّهُمْ يُصِرُّوْنَ عَلَى كُفْرِهِمْ إلى أَنْ يَمُوْتُوْا ، مِنْ ذَلِكَ مَا نَزَلَ في أَبِيْ جَهْل (فلا صَدَّقَ ولاَ صَلَّى وَلَكِنْ كذَّبَ وتَولَّى ثُمَّ ذَهَبَ إلى أَهْلِهِ يتَمَطَّى أَوْلَى لَكَ فأَوْلَى ثُمَّ أَوْلَى لَكَ فأَوْلَى) فقال أَبُو جَهْلٍ : أَتُوْعِدُنِيْ يا مُحَمَّدُ ، واللهِ ما تَسْتَطِيْعُ أَنْتَ ولا رَبُّكَ أَنْ تَفْعلَ شَيْئاً وَإنِّي لأَعَزُّ مَنْ مَشَى بَيْنَ جَبَلَيْهَا فَلَمَا كَانَ يَوْمُ بَدْرٍ صَرَعَهُ اللهُ شَرَّ مَصْرَعٍ ، وَقَتَلَهُ أَسْوَأَ قَتْلَة ، وَكَانَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقُولُ : « إن لِكُلِّ أُمَّةٍ فِرْعَوْناً وَإنَّ فِرْعَونَ هَذِهِ الأُمَّةِ أَبوجَهْلٍ» ونَزَلَ في أَبِيْ جَهْل قولهُ تَعالى (إن شَجَرَةَ الزَّقُّوم طَعَامُ الأَثِيْمِ كالمُهْلِ يَغْلِيْ في البُطُونِ ، كَغَلْيِ الحَمِيْمِ) ذَكَرَ ذَلِكَ غيرُ وَاحِدٍ مِنَ المُفَسِّرِيْن .

١٤٤ ـ ومنها قِصَّةُ البَكَّاؤُوْنَ الذِينَ اسْتَحْمَلوُا رَسُولَ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم وكانُوا أَهْلَ حَاجَةٍ فقالَ لا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عليه فَتَوَلَّوْا يَبْكُونَ وأَعْيُنُهُمْ تَفِيْضُ مِن الدَّمْعِ حَزَناً أَلاَّ يَجِدُوْا ما يُنْفِقُون .

وقامَ عُلَيَّةُ بنُ يَزِيْدٍ فَصَلىَ مِن اللَّيْل وَبَكى وقال اللَّهُمَّ إنَّكَ قَدْ أَمَرْتَ بالجِهَادِ ورَغَّبْتَ فِيهِ ثُمَّ لَمْ تجْعَلْ عِنْدِي ما أَتَقوَّى بِهِ مَعَ رَسُولِكَ ولم تَجْعَلْ فِي يَدِ رَسُولِكَ مَا يَحْمِلُنِي عليه وَانِّي أَتصَدَّقُ على كُلِّ مُسْلِمٍ بِكُلِّ مَظْلَمَةٍ أَصَابَنِي فِيها مِن مَالٍ أَو جَسَدٍ أَوْ عِرْضٍ .

ثم أصْبَحَ مَعَ الناسِ فَقال النبيُ صلى اللهُ عليه وسلم : أيْنَ المُتَصَدِّقُ هَذِهِ الليلة فلَمْ يَقُمْ إليْهِ أحَدُ ثُمَّ قَالَ أيْنَ المُتَصَدِّقُ فَلْيَقُمْ فَقَامَ إليْهِ فأخْبَرَهُ فقال النَّبِيُ صَلى اللهُ عليه وسلم : أبْشِرْ فَوَالذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَقَدْ كُتِبت في الزَّكَاةِ المُتَقَبَّلَةِ ففِي هَذا مُعْجِزَةٌ مِن مُعْجِزَاتِهِ صلى اللهُ عليه وسلم لأنَّ هَذا غَيْبٌ أعْلَمَ اللهُ بِهِ نَبِيَّه صلى الله علـيه وسلم .

١٤٥ ـ ومنها ما رُوي أنَّهُ قِيْلَ لِعُمَر بنِ الخَطاب رضيَ اللهُ عنه حَدِّثْنَا عن شَأْنِ سَاعَةِ العُسْرَةِ فقال عُمَرُ خَرَجْنَا إلى تَبُوكَ في قَيْضٍ شَدِيْد فنزَلْنا مَنْزِلاً وأصَابنا فِيهِ عَطَشٌ حَتَّى ظَنَنَّا أنَّ رِقابَنَا سَتَنْقَطِعُ وحَتَّى إنَّ الرَّجُلَ لَيَنْحَرُ بَعِيْرَهُ فَيَعْصِرُ فَرْثَهُ فيَشْرَبَهُ ثُمَّ يَجْعَلُ مَا بَقِي عَلى كَبِدِهِ .

فقال أبُو بَكْرٍ الصِّدِّيْقُ يَا رَسُولَ الله إنَّ اللهَ قَدْ عَوَّدَكَ في الدُّعَاءِخَيْراً فادْعُ اللهَ لنَا فقالَ أوَ تُحِبُّ ذلكَ قَالَ نَعَمَ فَرَفَعَ رسولُ الله صلى اللهُ عليه وسلم يَدَيْهِ إلى السَّمَاء فَلَمْ يُرْجِعْهُمَا حتَّى قالت السَّماءُ ـ أيْ آذَنَتْ بِمَطَرٍ فأطَلَّتْ ثُم سَكَبَتْ فملَؤُا مامَعَهَم ثُم ذَهَبْنَا نَنْظُرُ فلَمْ نَرَهَا جاوَزَتْ العَسْكَرَ.

١٤٦ ـ ومنها حِيْنَمَا ضلَّتْ نَاقَةُ رَسُولِ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم بِبَعْضِ الطَّرِيْقِ فَخَرَجَ أصْحَابُهُ في طَلَبِهَا وعِنْدَ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم رَجُلٌ مِن بَعْضِ أصْحَابِهِ يُقَالُ لَهُ عَمَارَةُ ابنُ حَزْم الأنْصاري .

وكان في رَحْلِهِ زَيْدُ بنُ لُصَيْتٍ القَيْنُقَاعِي وكان مُنَافِقاً فقال زَيْدُ بنُ لُصَيْتٍ وهُوَ في رَحْلِ عَمَارَةُ عندَ رسول اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم : ألَيْسَ يَزْعُمُ مُحَمَّدٌ أنْ يُخْبِرَكُمْ مِنْ خبَرِ السَّمَاء وهُوَ لا يَدْرِيْ أيْنَ نَاقَته.

فقال رسولُ الله صلى اللهُ عليه وسلم وعَمَارَةُ عِنْدَهُ إنَّ رَجُلاً قال إنَّ مُحَمَّداً يُخْبِرُكُم أنَّهُ نَبِيٌ وهُوَ يَزْعُمُ أنْ يُخْبِرَكُمْ بِخَبَر السَّماءِ وهُوَ

لا يَدْرِيْ أَيْنَ نَاقَتُهُ وانِّي واللهِ ما أَعْلَمُ إلاَّ مَا أَعْلَمَنِي اللهُ وقدْ دَلَّنِي اللهُ عَلَيْهَا وهِيَ في الوَادِيْ في شِعْبِ كَذَا وكَذَا قَدْ حَبَسَتْهَا شَجَرَةٌ بِزِمَامِهَا فانْطَلِقُوا حَتَّى تأْتُوا بِهَا .

فَذَهَبُوا فَجَاؤُا بِهَا وقَدْ وَجَدَهَا الحَارِثُ بنُ خَزْمَةَ الأَشْهَلِي كَمَا قالَ رسولُ الله صلى اللهُ عليه وسلم فقال زَيْدٌ لكَأَنِّيْ لَمْ أُسْلِمْ إلاَّ اليَوْمَ فَقَدْ كُنْتُ شَاكّاً في مُحَمَّدٍ وقد أَصْبَحْتُ وأنا فِيهِ ذُوْ بَصِيْرةٍ أَشْهَدُ أَنَّهُ رَسُولُ الله .

١٤٧ ـ ومنها أنَّه لَمَّا مَضَى رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم سَائِراً فَجَعَلَ يَتَخَلَّفُ عنه الرَّجُلُ فَيَقُولُوْنَ يا رسولَ الله تَخَلَّفَ فُلانٌ فيقولُ دَعُوهُ فإن يَكُ فِيهِ خَيرٌ فَسَيُلْحِقُهُ اللهُ بِكُمْ وإنْ يَكُ غَيْرَ ذلِكَ فَقَدْ أَرَاحَكُمُ اللهُ منه حَتَّى قِيْلَ يارسولَ الله تَخَلَّفَ أَبُوْ ذرّ وأَبْطَأَ بِهِ بعِيرُهُ فَقَالَ دَعُوهُ فإنْ يَكُ فِيْهِ خَيْرٌ فَسَيُلْحِقُهُ اللهُ بِكِم وإنْ يَكُ غَيْرَ ذلكَ فَقَدْ أَرَاحَكُمُ اللهُ منه .

وتَلَوَّمَ أَبُو ذَرٍ عَلَىَ بَعِيْرِهِ فَلَمَّا أَبْطَأَ عَلَيهِ بَعِيْرُهُ ـ أَيْ انْقَطَعَ ـ أَخَذَ المَتَاعَ مِن عَليهِ فحَمَلَهُ على ظَهْرِهِ ثُمَّ خَرَجَ يَتْبَعُ أَثْرَ رَسُولِ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم مَاشِياً ونَزَلَ رَسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم مَنَازِلَهُ فَنَظَرَ ناظرٌ مِن المُسْلِمِيْنَ فَقَالَ يَارَسُولَ اللهِ إنَّ هَذا رَجُلٌ يَمْشِيْ عَلَىَ الطَّرِيْقِ وَحْدَهُ .

فقال رَسُولُ الله صلى اللهُ عليه وسلم كُنْ أَبَا ذرّ فَلَمَّا تَأَمَّلَهُ القومُ قالُوا يا رسُولَ اللهِ هُوَ ـ واللهِ أَبُو ذَرٍ فقالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم رَحمَ اللهُ أَبَا ذَرٍ يَمْشِيْ وَحْدَهُ ويَمُوتُ وَحْدَهُ ويُبْعَثُ وَحْدَهُ وقَدْ تَحَقَّقَ قولهُ صلى اللهُ عليه وسلم فإنَّ عُثْمَانَ رضيَ اللهُ عنه لَمَّا نَفَى أَبَا ذَرّ نَزَلَ أَبُو ذرّ الرَّبْذَةَ فأَصَابَهُ بِها قَدَرُهُ ولم يَكُنْ مَعَهُ أَحَدٌ إلاَّ امْرَأَتُهُ وغُلاَمُهُ فأَوْصَاهُمَا أَنْ غَسِّلاَنِي وكَفِّنانِي .

ثم ضَعَانِي عَلَىَ قَارِعَةِ الطَّرِيْقِ فَأَوَّلُ رَكْبٍ يَمُرُّ بِكُمْ فَقُولوُا لَهُ هَذَا أَبُو ذرٍ صَاحِبُ رَسُولِ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم فَأَعِيْنُونَا عَلَىَ دَفْنِهِ فَلَمَّا مَاتَ فَعَلاَ ذَلِكَ بِهِ ثُمَّ وَضَعَاهُ على قَارِعَةِ الطريق .

فأَقْبَلَ عَبدُ اللهِ بنُ مَسْعُود رضيَ اللهُ عَنهُ وَرَهْطٌ مَعَهُ مِن أَهْلِ العِرَاقِ عُمَّاراً فلَمْ يَرُعْهُمْ إلاَّجَنَازَةٌ عَلَىَ الطَّرِيْقِ قَدْ كَادَتِ الابلُ تَطَؤُهَا وَقَامَ الغُلاَمُ فقال هَذَا أَبُو ذَرٍ صَاحِبُ رَسولِ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم فأَعِيْنُوْنَا على دَفْنِهِ .

فاسْتَهَل عبدُ اللهِ بنُ مَسْعُودٍ يَبْكِيْ ويَقُولُ صَدَقَ رَسُولُ الله صلى اللهُ عليه وسلم « تَمْشِيْ وَحْدَكَ وتَمُوتُ وَحْدَكَ وتُبْعَثُ وَحْدَكَ » .

ثُمَّ نَزَلَ هُوَ وَأَصْحَابُهُ وَوَارَوْهُ ثُمَّ حَدَّثَهُمُ ابنُ مَسْعُود حَدِيْثَهُ وما قالَهُ لَهُ رَسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم في مَسِيْرِهِ إلى تَبُوكَ واسْمُ أَبِي ذَرٍ « جُنْدُبُ بنُ جُنَادَةَ » وماتَ في سَنَةِ ٣٢ هـ .

وذَكَرَ أَبُو حَاتِمٍ بنُ حِبَّانَ في صَحِيْحِهِ وغَيرُهُ في قِصَّةِ وَفَاتِهِ عن مُجَاهِدٍ عن إبراهيمَ بنِ الأَشْتَرِ عن أَبِيْهِ عن أمّ ذَرٍ قالَتْ لَمَّا حَضَرَتْ أَبَا ذَرٍ الوَفَاةُ بَكَيْتُ فقَالَ مَا يُبْكِيْكِ فَقُلْتُ مَا لِيْ لا أَبْكِيْ وأَنْتَ تَمُوْتُ بفَلاةٍ مِن الأَرْضِ ولَيْسَ عِنْدِيْ ثَوْبٌ يَسَعُكَ كَفَنَا ولا يَدَانِ لِيْ فيِ تَغْيِيْبِكَ .

قال أَبْشِرِيْ ولا تَبْكِي فانِّيْ سَمِعْتُ رسولَ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم يَقُولُ لِنَفَرٍ أَنا فِيْهِمْ لَيَمُوْتَنَّ رَجُلٌ مِنكُمْ بفَلاةٍ مِن الأَرْضِ يَشْهَدُهُ عِصَابَةٌ مِن المُسْلِمِيْنَ ولَيْسَ أَحَدَ مِن أُولئِكَ النَّفَرِ إلاَّ وَقَدْ مَاتَ في قَرْيَةٍ وَجمَاعَةٍ فأَنا ذَلِكَ الرَّجُلُ فَوَاللهِ ما كَذَبْتُ وَلاَ كُذِبْتُ فأَبْصِرِيْ الطَّرِيْقَ فَقُلْتُ أَنّى وقَدْ ذَهَبَ الحَاجُّ وتَقَطَّعَتِ الطُرُقُ .

فقال إذْهَبِيْ فَتَبَصَّرِيْ قَالَتْ فَكُنْتُ أَشْتَدُّ إلى الكَثِيْبِ أَتَبَصَّرُ ثم أَرْجعَ

فأُمَرِّضُهُ فَبَيْنَما أنا وَهو كَذَلِكَ إِذَا أَنَا بِرِجَال عَلى رِحَالِهِمْ كَأَنَّهُمُ الرَّخَمُ تَخِبُّ بِهِمْ رَوَاحِلُهُمْ قَالَتْ فَأَشَرْتُ إِلَيْهِمْ فَأَسْرَعُوْا إِلَيَّ حَتَّى وَقَفُوْا عَلَيَّ .

فقالوُا يا أَمَةَ اللهِ مَا لَكِ قُلْتُ امْرُؤٌ مِن المُسْلمين يَمُوْتُ قالوُا وَمَنْ هُوَ قُلْتُ أَبُو ذَرٍ قَالوُا صَاحِبُ رَسُولِ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم قُلْتُ نَعَمْ فَفَدَوْه بِآبائِهِمْ وأُمَّهاتِهِمْ وأَسْرَعُوْا إِلَيْهِ حَتَّي دَخَلُوا عَلَيهِ .

فقال لَهُمْ أَبْشِرُوْا فإِنِّيْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلىَّ اللهُ عليه وسلم يَقُولُ لِنَفَر أنا فِيْهِم لَيَمُوْتَنَّ رَجُلٌ مِنْكُمْ بفَلاَةٍ مِن الأَرْضِ يَشْهَدُهُ عِصَابَةٌ مِن المؤمِنِيْنَ ولَيْسَ مِن أُولئكَ النَّفَرِ رَجُلٌ إلاَّ وقد هَلَكَ في جَمَاعَة .

والله ما كَذَبْتُ ولا كُذِبْتُ وإِنَّهُ لَوْ كَانَ عِنْدِيْ ثَوْبٌ يَسَعُنِيْ كَفَناً لِي أَوْ لامْرَأَتِي لَمْ أُكَفَّنْ إلا فِي ثَوْبٍ لِيْ أَوْ لَهَا وَإِنِّيْ أَنْشُدُكمُ اللهَ أَنْ لا يُكَفِّنَنِيْ رَجُلٌ مِنكمْ كَانَ أَمِيْراً أَوْ عَرِيْفاً أو بَرِيْداً أَوْ نَقِيْباً وَلَيْسَ مِن أُولئكَ النَّفرِ أَحَدٌ إلا وقَدْ قارَفَ بَعْضَ مَا قالَ إلا فتًى مِن الأَنْصَارِ .

قالَ أَنَا أُكَفِّنُكَ يَا عَمُّ أُكَفِّنُكَ في رِدَائِي هَذَا وَفِي ثَوْبَيْنِ مِن عَيْبَتِي مِن غَزْلِ أُمِّيْ قالَ فأَنْتَ تُكَفِّنُني فَكفَّنهُ الأَنْصَارِيُ وَقَامُوْا عَلَيهِ ودَفَنُوهُ في نَفَرٍ كُل[1] يمان ففِيْ هَذِهِ مُعْجِزَةٌ .

١٤٨ ـ ومِنْهَا مَا ذَكرَهُ ابن اسْحَاقَ مِن أَنَّ أَبَا خَيْثَمَةَ رَجَعَ ـ بَعْدَ ما سَارَ رسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم أَيّاماً إلى أَهْلِهِ في يَوْمٍ حَارٍ فَوَجَدَ امْرَأَتَيْنِ لَهُ في عَرِيْشٍ لَهُمَا في حَائِطِهِ قَدْ رَشَّتْ كُلٌّ وَاحِدَة مِنْهُمَا عَرِيْشَهَا وَبَرَّدَتْ لَهُ فِيْهِ مَاءً وهَيَّأَتْ لَهُ فِيهِ طَعَاماً .

فلمَّا دَخَلَ قامَ عَلىَ بَابِ العَرِيْشِ فَنَظَر إلى امْرَأَتَيْهِ وَمَا صَنَعَتَا لَهُ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلىَّ الله عليه وسلم في الضَّحِّ ـ لَهَبِ الشَّمْسِ وَحَرَارَتِهَا ـ

(١) كذا في الأصل .

والرِّيحِ والحَرِّ وَأَبُو خَيْثَمَةَ فِي ظِلٍّ بَارِدٍ وطعامٍ مُهَيَّإٍ وامْرَأَةٍ حَسْنَاءَ فِي مَالِهِ مُقِيمٌ مَا هَذَا بالنَّصَفِ والعَدْلِ .

ثم قَالَ وَاللهِ لاَ أَدْخُلُ عَرِيْشَ واحِدَةٍ مِنْكُمَا حَتَّى أَلْحَقَ برسولِ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم فَهَيِّئَآ لِيْ زَاداً فَفَعَلَتَا ثُمَّ قَدَّمَ نَاضِحَهُ فارْتَحَلَهُ ـ أَيْ أَحْضَرَ جَمَلَهُ فَوَضَعَ عليهِ الرَّحْلَ وأَعَدَّهُ لِلسَّفَرِ .

ثم خَرَجَ في طَلَبِ رَسُولِ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم حَتَّى أَدْرَكَهُ حِيْنَ نَزَلَ تَبُوْكَ وكان عِنْدَمَا أَقبَلَ قالَ النَّاسُ هَذَا رَاكِبٌ على الطَّرِيقِ فقال رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم كُنْ أَبَا خَيْثَمَةَ .

فقالُوا يَا رسولَ اللهِ هُوَ واللهِ أَبُو خَيْثَمَةَ فَلَمَّا أَناخَ رَاحِلَتَهُ أَقْبَلَ فَسَلَّمَ على رسولِ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم وأَخْبَرَ خَبَرَهُ فقال لَهُ رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم خَيْراً ودَعَا لَهُ بخَيْرٍ وفي هذِهِ مُعْجِزَة .

١٤٩ ـ ومنها ما ذُكِرَ مِن أَنَّ جَمَاعَةً مِن المُنَافِقِيْنَ مِنْهُمْ وَدِيْعَةُ بنُ ثابِتٍ ومِنهُم مَخْشِيُ بنُ حِمْيَرٍ قال بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ أَتَحْسَبُونَ جِلادَ بَنِي الأَصْفَرِ كَقِتَالِ العَرَبِ بَعْضِهِمْ بَعْضَا واللهِ لَكَأَنَّكُمْ غَداً مُقَرَّنِيْنَ في الحِبَالِ إِرْجَافاً وارْهَاباً لِلْمُؤْمِنِيْنَ .

فقالَ مَخْشِيُ واللهِ لَوَدِدْتُ أَنِّي أُقَاضَى على أَنْ يُضْرَبَ كُلٌّ مِنَّا مِائَةَ جَلْدَةٍ وأَنَا نَنْقَلِبُ قَبْلَ أَن يَنْزِلَ فِيْنَا قُرْآنٌ لِمقَالَتِكُمْ هَذِهِ وقالَ رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم لِعَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ « أَدْرِكِ القَوْمَ فانَّهُمْ قَدِ احْتَرَقُوا فَسَلْهُمْ عَمَّا قَالُوا فإِنْ أَنْكَرُوْا فَقُلْ بَلَىَ قلْتُمْ كَذَا وكَذَا فانْطَلَقَ إِلَيْهِمْ عَمَّارٌ فقَالَ ذلِكَ لَهُمْ .

فأَتَوْا رَسُولَ اللهِ صَلى اللهُ عليه وسلم يَعْتَذِرُوْنَ إِلَيْهِ فَقَالَ وَدِيْعَةُ بنُ

ثَابِت كُنَّا نَخُوضُ ونَلْعَبُ فأَنْزَلَ اللهُ فِيْهِمْ « ولَئِنْ سَأَلْتَهُم لَيَقُولُنَّ إنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعب» فقالَ مَخْشِيُ بنُ حِمْيرٍ : يا رسولَ اللهِ قَعَدَ بِي اسْمِي واسْمُ أَبِيْ فَكَانَ الذِي عفِيَ عَنهُ في هذِهِ الآيَةِ وتَسَمَّى عبدُ الرحمنِ وسَأَلَ اللهَ أَنْ يُقْتَلَ شَهِيْداً لا يُعْلَمُ بمَكَانِهِ فَقُتِلَ يَومَ اليَمَامَةِ فَلَمْ يُوْجَدْ لَهُ أَثَرٌ ، فَفِي هَذِهِ القِصَّة مُعْجِزَةٌ أَيضاً .

١٥٠ ـ ومِنْهَا مَا ذَكَرَهُ ابنُ عَائِذ في مَغَازِيْهِ مِن أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم نَزَلَ تَبُوكَ في زَمَانٍ قَلَّ مَاؤُهَا فيهِ فاغْتَرَفَ رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم غُرْفَةً بِيَدِهِ مِن مَاءٍ فَمَضْمَضَ بِهَا فاهُ ثُمَّ بَصَقَهُ فِيْهَا فَفَارَتْ عَيْنُهَا حَتَّى امْتَلأَتْ فِهيَ كَذَلِكَ حَتى السَّاعَة .

قُلْتُ : في صحيحِ مُسْلمٍ : أَنَّهُ قَبْلَ وُصُولِهِ إليْهَا قَالَ إنَّكُمْ سَتَأْتُوْنَ غَداً إنْ شَاءَ اللهُ تعالى ـ عَيْنَ تَبُوْكَ وإنكُم لَنْ تَأْتُوْهَا حَتَّى يُضْحِيَ النهارُ فَمَنْ جَاءَهَا فلا يَمَسَّ مِن مَائِهَا شَيْئاً حَتَّى آتِيَ .

قال فَجِئْنَاهَا وقَدْ سَبَقَ إليْهَا رَجُلاَنِ والعَيْنُ مِثْلَ الشِّرَاكِ تَبُضُّ بشَيءٍ مِن مَائِهَا فَسَأَلَهُمَا رَسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم هَلْ مَسَسْتُمَا مِن مَائِهَا شَيْئاً قَالاَ نَعَمْ .

فَسَبَّهُمَا وقالَ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَقُولَ ثُمَّ غَرَفُوْا مِن العَيْنِ قَلِيْلاً قَلِيْلاً حَتَّى اجْتَمَعَ في شَيْءٍ ثُمَّ غَسَلَ رَسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسَلَّمَ وَجْهَهُ وَيَدَيْهِ ثم أَعَادَهُ فِيْهَا فَجَرَتِ العَيْنُ بِمَاءٍ كَثِيْر فاسْتَقَى الناسُ ففِيْ هَذِهِ مُعْجِزَةٌ واضحة .

١٥١ ـ ومِنْهَا قِصَّةُ أَبِي رِغَالَ لِمَا رَوَى أَبوُ دَاوُدَ أَن النبيَ صَلى اللهُ عليه وسلم قالَ هَذَا قَبْرُ أَبِي رِغَالٍ وآيَةُ ذلكَ أَنَّ مَعَهُ غُصْنا مِن ذَهَبٍ إنْ

رَأَيْتُم نَبَشْتُمْ عَنْهُ أَصَبْتُمُوهُ مَعَهُ فابْتَدَرَهُ الناسُ فاسْتَخْرَجُوْا الغُصْنَ وهَذِهِ مُعْجِزَة أيضاً .

١٥٢ ـ ومِن ذلكَ الوَعْدُ بإرْجَاعِ النبي صلى الله عليه وسلم إلى مَكَّةَ قال الله تعالى « إن الذي فرضَ عليكَ القرآنَ لَرَادُّكَ إلى مَعَادٍ » قال المُفَسرُوْنَ إلى مَكَّةَ وَوَقَعَ طِبْقَ ما أَخْبَرَ فيكونُ عَلَماً عَلى نُبُوتِهِ صلى الله عليه وسلم .

١٥٣ ـ ومِن ذلك قَوْلُهُ تعالى « لَقَدْ رَضيَ اللهُ عَن المُؤْمِنِيْنَ إِذْ يُبَايِعُوْنَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ . . . » إلى قَوْلِهِ « وكان اللهُ على كُلِّ شيْءٍ قَدِيْرا » .

فَفِي هَذِهِ الآياتِ إخبارٌ عن غُيُوْبٍ كَثِيرة منها تَزْكِيَةُ المُؤْمِنِيْن المُبَايِعِيْنَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ وإعْلانُ الرِّضَا عَنْهُمْ وهُم عَدَدٌ كَثِيْرٌ .

ولا شَكَّ أَنَّ الأَمْرَ كمَا قَالَ إذْ لَوْ كَانَ في إِيْمَانِ أحدهم دَخَلٌ لَشَكَّ وارْتَابَ وأَعْلَنَ ارْتِدَادَهُ وكُفْرَهُ ولَوْ كانَ القرآنُ مِن مُحَمَّدٍ لَمْ يُقْدِمْ عَلَى هَذا الاعلانِ الخَطِيْرِ إِذْ لا يَعْلَم مَا فِي بَوَاطِنِهم إلا اللهُ فدل ذَلكَ على صِحَّةِ هَذا الإخبار وأنها أعلام على نُبوَّته صلى الله عليه وسلم .

١٥٤ ـ ومِنْ ذَلِكَ الإِخْبَارُ بحَوَادِثَ خَاصَّة كَمَا في قَولِهِ تَعَالَى « وإِذْ أَسَرَّ النبيُ إلى بَعْضِ أزْوَاجِهِ حَدِيثاً فَلَّما نَبَّأَتْ بِهِ وأَظْهَرَهُ اللهُ عليهِ عَرَّفَ بَعضَه وأَعْرَضَ عن بَعْضٍ فلمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا قال نَبَّأَنِيَ العَلِيْمُ الخَبِيْر » ففِي هَذَا عَلَم عَلَى نُبُوَّتِهِ صلى الله عليه وسلم لأَنَّ هذِهِ أُمُوْرٌ غَيْبِيَّةٌ أَطْلَعَ اللهُ نبيَّهُ عَلَيْهَا .

١٥٥ ـ ومِنْ ذَلِكَ قولُه تَعَالى « ويُؤْثِرُوْنَ على أَنْفُسِهِم ولَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ » وذَلِكَ أَنَّ رَجُلاً جَاءَ إلى النبي صلى اللهُ عليه وسلم فقال إنِّيْ

مَجْهُوْدٌ فـأَرْسَلَ إلى بَعْضِ نِسَائِهِ فقالَتْ والذِي بَعَثَكَ بالحق ما عِنْدِي إلاَّ مَاءٌ ثم أَرْسَلَ إلى أُخْرَى فقالَتْ مِثْلَ ذَلِكَ حَتَّى قُلْنَ كُلُّهُنَّ مِثْلَ ذَلِكَ فقال صلى اللهُ عليه وسلم مَنْ يُضِيْفُ هَذَا الليلةَ رَحِمَهُ اللهُ .

فَقَامَ رَجُلٌ مِن الأَنْصَارِ فقالَ أَنَا يَا رَسُولَ اللهِ فانْطَلَقَ بِهِ إلى رَحْلِهِ فقال لامْرَأَتِهِ هَلْ عِنْدَكِ شيءٌ قالَتْ لاَ إلاَّ قُوْتُ صِبْيَانِي قالَ فَعَلِّلِيْهِم بشَيءٍ فاذا دَخَلَ ضَيْفُنَا فأَطْفِئِي السِّرَاجَ وأَرِيْهِ أنا نـأْكُلُ قالَ فَقَعَدُوا بِهِ وأَكَلَ الضَيْفُ .

فَلَمَّا أَصْبَحَ غَدَا على رسول الله صلى اللهُ عليه وسلم فقال : قَدْ عَجِبَ اللهُ من صَنِيْعِكُمَا بضَيْفِكُمَا اللَّيْلَةَ فَهَذَا غَيْبٌ مِن الغُيُوبِ أَعْلَمَ الله نَبِيَّهُ بِهِ فهُوَ مُعْجِزَةٌ واضِحَةٌ .

١٥٦ ـ ومِنْ ذَلِكَ قولُه تَعالى « إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الكِتَابَ بالحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ الناسِ بمَا أَرَاكَ اللهُ ولا تَكُنْ لِلْخَائِنِيْنَ خَصِيْمًا ولا تُجَادِلْ عَنِ الذِيْنَ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ إِنَّ اللهَ لاَ يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّانًا أَثِيْمًا » إلى قولِهِ تعالى : « وكان فَضْلُ اللهِ عليكَ عَظِيْمًا » .

أخرجَ الترمِذِيُ وابنُ المُنْذِرِ وابنُ أَبِي حَاتِمٍ وأَبُو الشيخِ والحَاكِمُ وصَحَّحَهُ عن قتادةَ بن النُعْمَانِ رضي اللهُ عنه ، قالَ كانَ أهلُ بَيْتٍ مِنَّا يُقَالُ لَهُم بَنُو أُبَيْرِقَ بِشر وبَشِير ومُبَشِّر ، وكان بِشر رَجُلاً مُنَافِقاً يَقُولُ الشِّعْر يَهْجُو بِهِ أَصْحَابَ رَسُولَ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم ثم يَنْحَلُه لِبَعْضِ العَرَبِ ثُمَّ يَقُولُ قال فلان كَذا وكَذَا فاذَا أَسَمَعَ أَصْحَابَ رَسُولِ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم قَالُوا واللهِ مَا يَقُولُ هَذَا الشِّعْرَ إلاَ هَذَا الرَّجُلُ الخَبِيْثُ أَوْكَمَا قالَ الرَّجُلُ وقَالُوا ابْنُ الأُبَيْرِقَ قالها قالَ وكانُوا أَهْلَ بَيْتٍ وَحَاجَةٍ وفاقَةٍ في الجَاهِلِيَّةِ والاسْلامِ .

وكانَ الناسُ إنَّمَا طَعَامُهُم بالمَدِيْنَةِ التَّمْرُ والشَّعِيْرُ وكان الرَّجُلُ إذا كَانَ لهُ يَسَارٌ فَقَدِمَت ضافِطةٌ مِن الشام مِن الدَّرْمَكِ ابْتَاعَ الرَّجُلُ مِنْهَا فَخَصَّ بِهَا نَفْسَه وأمَّا العِيَالُ فانَّمَا طَعَامُهُمْ التَّمْرُ والشَّعِيْرُ .

فَقَدِمَتْ ضَافِطَةٌ مِن الشام فابْتَاعَ عَمِي رِفَاعَةُ بنُ زَيْدٍ حِمْلاً مِن الدَّرْمَكِ فَجَعَلهُ في مَشْرَبةٍ لَهُ وفي المَشْرَبَةِ سِلاَحٌ ودِرْعٌ وَسَيْفٌ فَعُدِيَ عليهِ مِن تَحْتِ البَيْتِ فَنُقِبَتِ المَشْرَبَةُ وأُخِذَ الطَّعَامُ والسِلاحُ .

فَلَمَّا أصبحَ أتَانِي عَمِي رفَاعَةُ فَقَالَ يَا ابْنَ أخِيْ قَدْ عُدِيَ عَلَيْنَا في لَيْلَتِنَا هَذِهِ فنُقِبَتْ مَشرَبَتُنَا فَذُهِبَ بِطَعَامِنَا وسلاَحِنا قالَ فَتَحَسَّسْنَا في الدَّارِ وسَأَلْنَا فَقِيْلَ لَنَا قَدْ رَأَيْنَا بَنِيْ أبَيْرِق اسْتَوْقَدُوا في هَذِه اللَّيْلَةِ ولا نَرَى فِيْمَا نَرَى إلاَّ عَلى بَعْضِ طَعَامِكُمْ .

قال وكانَ بَنُو أبَيْرقَ قَالُوا وَنَحْنُ نَسْأَلُ في الدَّار واللهِ ما نَرَى صَاحِبَكُمُ إلا لَبِيْدُ بنَ سَهْل رَجُلاً مِنَّا لَهُ صَلاَحٌ واسْلاَمٌ . فَلَمَّا سَمِعَ لَبَيْدُ إخترَطَ سَيْفَهُ .

وقالَ : أنَا أسْرِقُ والله لَيُخَالِطَنَّكُم هَذَا السَّيْفُ أوْ لَتُبَيِّنُنَّ هَذِهِالسَّرقَةَ قالُوا إلَيْكَ عَنَّا أيُّها الرَّجُلُ فَمَا أنْتَ بِصَاحِبِهَا فسأَلنا في الدَّارِ حَتَّى لَمْ نَشُكَّ أنَّهم أصْحَابُهَا فَقَالَ لِي عَمِّيْ يا ابن أخِيْ لَوْ أتَيْتَ رَسُولَ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم فذكَرْتَ ذلكَ لَهُ .

قالَ قَتَادَةُ فأَتَيْتُ رسولَ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم فَقُلْتُ إنَّ أهْلَ بَيْتٍ أهْلَ جَفاءٍ عَمَدُوْا إلى عَمِّيْ رِفاعَةَ بن زَيْد فَنَقَبُوا مَشْرَبَةً لَهُ وأخَذُوْا سِلاَحَهُ وطَعَامَهُ ، فلْيَرُدُوْا عَلَيْنَا سِلاحَنَا ، فأَمَّا الطَّعَامُ فلا حَاجَةَ لَنَا فِيهِ فقالَ النبيُّ صلى اللهُ عليه وسَلَّمَ سَآمُرُ فِي ذَلِكَ .

فلَمَّا سَمِعَ بِذَلِكَ بَنُوْ الأُبَيْرِقِ أَتَوا رَجُلاً مِنْهُمْ يُقَالُ لَهُ أُسَيْدُ بنُ عُرْوَةَ فكلمُوهُ في ذلكَ فاجْتَمَعَ في ذلكَ أُناسٌ مِن أَهْلِ الدَّار فقالُوا يارَسُولَ اللهِ انَّ قَتَادَةَ بنَ النُعْمَانِ وَعَمَّهُ عَمَدَا إلى أَهْلَ بَيْتٍ مِنَّا أَهْلِ اسْلامٍ وصَلاَحٍ يَرْمُوْنَهُم بالسَّرِقَةِ مِن غَيْرِ بَينَةٍ ولاَ ثِبْتٍ .

فأَتَيْتُ النبيَ صَلى اللهُ عليه وسلم فكَلَّمْتُهُ فَقَالَ عَمَدْتَ إلى أَهْل بَيْتٍ ذُكِرَ مِنهُم اسْلامٌ وصَلاحٌ تَرْمِيْهِمْ بالسَّرِقَةِ عَلَىَ غَيرِ ثِبْتٍ ولا بِيِّنَةٍ .

قال فَرَجَعْتُ ولَوِدِدْتُ أَنِّي خَرَجْتُ مِن بَعْضِ مَالِيْ وَلَمْ أُكَلِّمْ رَسُولَ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم في ذَلِكَ فأَتَانِي عَمِّيْ رِفاعَةُ فقال يا ابْنَ أَخِيْ مَا صَنَعْتَ فأَخَبَرْتُهُ بمَا قالَ لِيْ رَسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم فقال الله المستعان .

فلَمْ نَلْبَثْ أَنْ نَزَلَ القُرآنُ « إنا أَنْزَلْنَا إليكَ الكِتَابَ بالحَقِّ لِتَحْكُمَ بَينَ الناسِ بما أَراكَ اللهُ ولا تَكُنْ لِلْخَائِنِيْنَ خَصِيْمًا » يَعْنِي بَنِيْ أُبَيْرِقَ واسْتَغْفِرِ اللهَ مِمَّا قُلْتَ لِقَتَادَةَ . . . فَلَمَّا نَزَلَ القُرآنُ أُتيَ رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم بالسلاحِ فَرَدَّهُ إلى رِفاعَةَ .

١٥٧ - ومِنْ ذَلِكَ مَا جَاءَ في تَبْرِئَةِ أُمِّ المُؤْمِنِيْنَ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عنها مِن الإِفْكِ قال تعـالى « إِنَّ الذينَ جَاؤُا بالإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُم لا تَحْسَبُوهُ شَراً لَكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ » الآية .

عَشْرُ آياتٍ كُلُّهَا نَزَلَتْ في شَأْنِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عنها حِيْنَ رَمَاهَا أَهْلُ الإِفْكِ والبُهْتَانِ مِن المُنَافِقِيْنَ بِمَا قالُوا مِن الكذبِ البَحْتِ والفِرْيَةِ التِّي غَارَ اللهُ لَهَا وَلِنَبِيِّهِ صلى اللهُ عليه وسلم .

فأَنْزَلَ اللهُ تعالى بَرَاءَتَها صِيَانَةً لِعِرْضِ الرَّسُولِ صلى اللهُ عليه وسلم بَعْدَ مَا بَقِيَتْ الأَلْسِنَةُ تَخُوْضُ في حَادِثَةِ الإِفْكِ قَرِيْباً مِنَ الشَّهْرِ والرسُولُ

صلى اللهُ عليه وسلم لا يُوْحَى إليهِ كَمَا جَاءَ في صَحِيْحَيْ البُخَارِي وَمُسْلِم- وهُوَ حَائِرٌ مُتَرَدِّدٌ في أَمْرِ عَائِشَةَ يَسْأَلُ ويَسْتَشِيْر .

والمُنَافِقُونَ يُشِيْعُونَ الفَاحِشَةَ حَتَّى وَقَعَ فِيْهَا مَنْ وَقَعَ مِن المُسْلِمين .

ثُمَّ جَاءَهَا الرسولُ صلى اللهُ عليه وسلم في بَيْتِ أَهْلِهَا ثُمَّ قالَ يَاعَائِشَةُ فإنَّهُ بَلَغَنِي عَنْكِ كَذَا وكَذَا فَانْ كُنْتِ بَرِيْئَةً فَسَيُبَرِئُكِ اللهُ وإنْ كُنْتِ أَلْمَمْتِ بِذَنْبٍ فاسْتَغْفِري اللهَ وتُوْبِي إليه فإنَّ العَبْدَ إذا اعْتَرَفَ بذَنْبِه ثُمَّ تابَ تَابَ اللهُ عليه .

فَوَاللهِ مَا رَامَ مَجْلِسَهُ ولا خَرَجَ أَحَدٌ مِن أَهْلِ البَيْتِ حَتَّى أَنْزَلَ عليهِ فأَخَذَهُ ما كانَ يَأْخُذُهُ مِن البُرَحَاء حَتَّى انَّهُ لَيَتَحَدَّرُ منه مِثْلُ الجُمَانِ مِن العَرَقِ في يَوْمٍ شَاتٍ .

فَلَمَّا سُرِيَ عن رَسُولِ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم وَهُو يَضْحك فكَانَ أولَّ كَلِمَةٍ تَكَلَّمَ بِهَا أَنْ قَالَ لِيْ يَا عَائِشَةُ احْمَدِي اللهَ فَقَدْ بَرَّأَكِ اللهُ فقالَتْ لِيْ أُمِّيْ قُوْمِي إلى رَسُول اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم فَقُلْتُ لاَ وَاللهِ لا أَقُوْمُ إليه ولاَ أَحْمَدُ إلا اللهَ .

فأَنْزَلَ اللهُ تعالى « إنَّ الذينَ جَاؤُا بالإفْك عُصْبَةٌ مِنكُم » الآياتِ ففِي هَذِهِ القِصَّةِ عَلَمٌ مِن أَعْلاَمِ نُبُوَّتِهِ صلى اللهُ عليه وسلم لِمَنْ تَدَبَّرَهُ وتَفَهَّمَهُ فقدْ كانَ مَوْقِفُهُ صلى اللهُ عليه وسلم مِن عَائِشَةَ بَعْدَ اشاعَةِ الفِرْيَةِ والبُهْتَانِ مَوْقِفَ التَّرَدُّدِ وَالحَيْرَةِ .

ثُمَّ تَحَوَّلَ بَعْدَ الوَحْيِ فُجْأَةً إلى مَوْقِفِ الثِّقَةِ والاطْمِئْنَانِ وهَذَا التَّحَوُّلُ لا يُمْكِنُهُ أَنْ يَكُونَ لَوْ لَمْ يَكُنْ وَاثِقاً بِبَرَائَتِهَا بإخْبَار مِن العَلِيْمِ الخَبِيْرِ جَلَّ وعَلاَ وتَنَزَّهَ وتَقَدَّس.

١٥٨ ـ ومِن ذلِكَ تَحَدِّيْ اليَهُودَ فِي تَمَنِي الْمَوْتَ مَرَّتَيْنِ فَقالَ « قُلْ يَا أَيُّها الذِيْنَ هَادُوا إنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُم أوْلِياءُ للهِ مِن دُوْنِ النَّاسِ فَتَمنَّوُا المَوتَ إنْ كُنْتُمْ صَادِقِيْن وَلاَ يَتَمَنَّوْنَــهُ أَبَداً بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيْهِمْ واللهُ عَلِيْمٌ بالظالمين » .

وَوَجْهُ الدَّلاَلةِ أنَّه طَلَبَ مِن اليَهُوْدِ أَنْ يَتَمَنَّوُا المَوْتَ ثُمَّ أَخْبَرَ أَنهُمْ لَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا فَمَا تَمَنَّا أَحَدٌ مِنْهُمْ مَعَ حِرْصِهِمْ عَلَىَ تَكْذِيْبِ الرسول صلى اللهُ عليه وسلم وَمُعَارَضَتِهِمْ لَهُ وكَيْدِهِمْ لَهُ فقامَ ذلك دليلاً صادقاً على نبوته ومعجزة عظيمة .

١٥٩ ـ قال شَيْخُ الاسلامِ فأَخْبَرَ عَن اليَهُودِ أَنَّهُمْ لَنْ يَتَمَنَّوْا المَوْتَ أَبَدًا وكَانَ كَمَا أَخْبَرَ فَلا يَتَمَنَّى اليَهُوْدُ المَوْتَ أَبَدًا وَهَذا دَلِيْلٌ مِنْ وَجْهَيْن مِن جِهَةِ إِخْبَارِهِ بأَنْ لا يَكونَ أَبَدًا ومِن جِهَةِ صَرْفِ اللهِ لِدَوَاعِي اليَهُودِ عِن تَمَنِّي الموتَ مَعَ أنَّ ذَلكَ مَقْدورٌ لَهُمْ وهَذَا مِن أَعْجَبِ الأُمُوْر الخَارِقَةِ لِلْعَادَةِ وَهُمْ مَعَ حِرْصِهِم عَلَىَ تكْذِيْبِهِ لَمْ تَنْبَعِثْ دَوَاعِيْهِم لإِظهَار تَكْذِيْبِه بـإظهار تَمَنِّي المَوْتَ أهـ .

١٦٠ ـ ومِن ذَلِكَ الوَعْدُ بِحِفْظِ القُرْآنِ قَالَ تَعالىَ « إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وإِنَّا لَهُ لَحَافِظُون » وَهَذَا الإِخْبَارُ إِنَّمَا هُوَ مِن الغَيْبِ وَوَقَعَ كَمَا جَاءَ فِي القُرآنِ فَحفِظَ وَتَمَّ وعْدُ اللهِ بِذَلِكَ .

ولَنْ يَأْتِيْهِ تَغْيِيْرٌ يَعُمُّ جَمِيْعَ المَصَاحِفِ المَوْجُوْدَةَ عَلَىَ وَجْهِ الأَرض قال تعالى « لا يَأْتيهِ الباطلُ مِن بين يديهِ ولا مِن خلفهِ تَنْزِيَلٌ مِن حكِيْمٍ حَمِيْدٍ » .

١٦١ ـ ومِن ذلكَ الوَعْدُ بعِصْمَةِ النبي صلى اللهُ عليه وسلم مِن الناسِ قال

تعالى « يَا أَيُّها الرسُولُ بَلِّغْ ما أُنْزِل اليكَ مِن رَبِّكَ وإن لم تفعل فما بلغت رسالته واللهُ يَعْصِمُكَ مِن النَّاسِ » وقَدْ حَقَّقَ اللهُ وَعْدَهُ فَحَفِظَ نَبِيَّهُ ولَمْ يَقْدرْ أَحَدٌ على قَتْلِهِ مَعَ كَثْرَةِ المُحَاوَلات مِن أَعْدَائِهِ فَفِي ذَلِكَ عَلَمٌ من أَعْلام نُبوته ومعجزة واضحة .

١٦٢ – ومِن ذلكَ قولُهُ تعالى « فَسَيَكْفِيْكَهُمُ اللهُ وهو السميعُ العليمُ » قال البغويُ أيْ يَكْفِيْكَ شَرَّ اليَهُودِ والنَّصَارَى وقَدْ كَفَى بإجْلاءِ بَنِي النَّظِيْر وقَتْلِ بَنِي قُرَيْظَةَ وضَرَب الجِزْيَة على اليَهُودِ والنصارَى.أهـ وهذا إخبار عن الغَيْبِ فَيَكونُ معجزاً دالاً عَلَىَ صِدْقِهِ حَيْثُ وَقَعَ طِبْقَ ما أَخْبرَ .

١٦٣ – ومِن ذَلِكَ المُبَاهَلَةُ قال الله تعالى « الحَقُّ مِن رَبِّكَ فَلاَ تَكُونَنَّ مِن المُمْتَرِيْنَ فَمَنْ حَاجَّكَ فِيْهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِن العِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوا نَدْعُوا أَبْنَاءَنَا وأَبْنَاءَكُم ونِسَاءَنَا ونِسَاءَكُم وأَنْفُسَنَا وأَنفُسَكُم ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَعْنَةَ اللهِ على الكاذبين » .

قِيْل إن سَبَبَ نُزُوْلِ هَذِهِ الآيَةِ هُوَ أَنَّ العَاقِبَ والسَّيِّدَ صَاحِبَي نَجْرَانَ جَاءَا إلى رَسُولِ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم وَجَادَلاَهُ في أَمْرِ عِيْسَى عليهِ السَلامُ فأَنْزَلَ اللهُ تَعَالى آيةَ المُبَاهَلَةِ والمُبَاهَلَةُ دُعَاءُ اللهِ والابْتِهَالُ إليه أَنْ يُنْزِلَ لَعْنَتَهُ على الكَاذِبِيْن فَوَاعَدَاهُ على أَنْ يُلاَعِنَاهُ الغَدَاةَ .

فَغَدا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وسَلم فأَخَذَ بِيَدِ عَلِّي وفَاطِمَةَ والحَسَنَ والحُسَيْنَ ثُمَّ أَرْسَلَ إليْهِمَا فأَبَيَا أَنْ يُجِيْبَاهُ وأَقَرَّا لَهُ بالخَرَاجِ قال فقالَ رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم « والذِي بَعَثَنِي بالحَقِّ لَوْ قَالا لأَمْطَر عَليهم الوَادِيْ نَاراً فَفِيْ هَذَا عَلَمٌ مِن أَعَلامِ نُبُوتِهِ فَلَوْلا أَنَّهُمْ عَرَفُوا مِنالتَّوْرَاةِ والإنْجِيْل ما يَدُلُ على نُبُوَّتِهِ لَمَا أَحْجَمُوْا عن المُبَاهَلةِ ثانياً وثُوْقَهُ صلى اللهُ عليه وسلم بِذلكَ .

١٦٤ ـ ومِنْ ذَلِكَ مَا قِيْلَ مِن أَنَّهُ نَزَلَ في الأَخْنَسِ بن شَرِيْقٍ (وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ ، الذِيْ جَمَعَ مَالاً وَعَدَّدَهُ ، يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَه ، كَلا لَيُنْبَذَنَّ في الحُطَمَةِ) فَمَاتَ عَلَى كُفْرِهِ ، وَقَالَ مُقَاتِلُ : نَزَلَتْ في الوَلِيْدِ بنِ المُغِيْرَةِ كانَ يَغْتَابُ النَّبِيَّ صَلىَّ اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ ، ويَطْعَنُ عليهِ في وَجْهِهِ ، ونَزَلَ فِيهِ قَولُهُ تَعالَى : (ذَرْنِي ومَن خَلَقْتُ وَحِيْدًا) إلى قَولِهِ تعالى (سَأُصْلِيْهِ سَقَرْ) فَلَمْ يَزِدْهُ اللهُ مَالاً وَلاَ وَلداً بَعْدَ هَذَا كمَا أَخْبَرَ ، وَصَارَ في نُقْصَانٍ مِن مَالِهِ وَوَلَدِهِ إلى أَنْ مَاتَ كافِرًا ، وقَدْ كَانَ عِنْدَ نُزُوْلِ ذَلِكَ حَيًّا سَلِيْمًا .

١٦٥ ـ ومِنْهُمُ النَّضْرُ بنُ الحَارِثِ بنِ كِلْدَةَ ، أَخُوْ بَنِيْ عَبْدِ الدارِ ، وكَانَ شَدِيْدَ الرَّدِّ عَلَى اللهِ وعلَى رَسُولِهِ ، شَدِيْدَ العَداوَةِ ، والارْصَادِ ، وقدْ كَانَ رَحَلَ في عَداوَةِ رَسُولِ اللهِ صَلىَّ اللهُ عليه وسلم ، إلى فَارِسَ، وطَلبَ مَا يَكِيْدُ بِهِ الاسلامَ ، فاشْتَرى أَخْبَارَ العَجَمِ ، وقَدِمَ بِهَا مَكَّةَ يُحَدِّثُ بِهَا قُرَيْشاً وَيقُولُ إنَّ مُحَمَّداً يُحَدِّثُكُمْ بَحدِيْثِ عَادٍ وَثَمُوْدَ وأَنَا أُحَدِّثُكُمْ بَحدِيْثِ رُسْتُمْ وَاسْفِنْدِيَار وأَخْبَارِ الأَكَاسِرَةِ ، فَيَسْتَمْلِحُونَ حَدِيْثَهُ ، ويَتْرُكُونَ اسْتِمَاعَ كَلاَمَ اللهِ .

فأَنْزَلَ اللهُ هَذِهِ الآيَةَ ، (ومِنَ النَاسِ مَنْ يَشْتَرِيْ لَهْوَ الحَدِيْثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيْلِ اللهِ) قَالَهُ مُقاتِلُ والكَلْبِي .

وقِيْلَ : نَزلَ فيهِ أَيْضَا غَيْرُهَا وقِيلَ : إنَّهُ يَوْمَ بَدْرٍ أَصَابَتْهُ جِراحَةٌ ذَهَبَتْ بقُحْفِ رَأْسِهِ وحَصَلَ في أَيْدِيْ المُسْلِمِيْنَ مِنْ جُمْلَةِ المأْسُوْرِيْنَ وقالَ لاَ أَذُوْقُ طَعَاماً ، ولا شَرَاباً ما دُمْتُ في أَيْدِيْهِمْ فَمَاتَ مِن الضَرْبَةِ وَصَارَ

إلى النَّارِ بَعْدَ أَنْ أَذَاقَهُ اللهُ العَذَابَ المُهِيْنَ في الدُّنيا كَمَا قالَ وكَمَا أَخْبَرَ عَزَّ وَجَلَّ .

والله أعلم وصلى الله على محمد وآله وسلم .

١٦٦ ــ ومِنْ ذَلِكَ قَولُهُ تَعَالَى : (آلَم غُلِبَتِ الرُّوْمُ في أَدْنَى الأَرضِ وهُمْ مِن بَعْد غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ، في بَضْعِ سِنِيْنَ ، لله الأَمرُ مِن قَبْلُ ، وَمِنْ بَعْدُ ويَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ المؤمنونَ بنَصْرِ اللهِ ، يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ ، وهُوَ العَزِيْزُ الرَّحِيْم ، وعْدَ اللهِ لايُخْلِفُ اللهُ وَعْدَهُ ، وَلَكِنَّ أَكثَرَ الناسِ لايَعْلَمُونَ) نَزَلَتْ هَذِهِ الآيَاتُ حِيْنَ غَلَبَ سَابُورُ مَلِكُ الفُرْسِ على بِلادِ الشام ، وَمَا وَالاَهَا مِن بِلادِ الجَزِيْرَةِ ، وأَقَاصِيْ بِلادِ الرُّوْمِ ، حَتَّى الْجَأَهُ إلى القُسْطَنْطِيْنيَّةِ ، وَحَاصَرَهُ مُدَّةً طَوِيْلَةً ، ثم عَادَتْ الدَّوْلَةُ إِلَىَ هِرَقْلَ ، كَمَا بَشَّرَ القُرآنُ قَبْلَ سَبْعِ سَنَوات ، مِن انْتِصَارِهِ على الفُرْسِ ، فَوَقَعَ طِبْقَ مَا أَخْبَرَ ، فهذِهِ مُعْجزَةٌ مِن القُرْآنِ على رِسَالَةِ الرَّسُوْلِ صلى اللهُ عليهوسلم.

١٦٧ ــ ومِن ذَلِكَ ما أَخْبَرَ بِهِ ، وهُوَ مَوْجُوْدٌ فِي القُرْآنِ ذِكْرُهُ مَاجَاءَ عَن آدَمَ ونَشْأَتِهِ ، وما وَسْوَسَ بِهِ إِليْهِ إبْلِيْسُ ، وما وَقَعَ لَهُ مِن الهُبُوطِ إلى الأَرضِ ، بَعْدَ أَنْ كانَ في الجَنَّةِ .

١٦٨ ــ وحَدَّثَنَا عن نُوحٍ أَوَّلِ المُرْسَلِينَ وَمَا لَقِيَه مِن قَوْمِهِ ، مِن أَذَى وسُخْرِيَّةِ ، ومُدَّةِ لَبْثِهِ فِيْهِمْ ، وَمَا أَرْشَدَهُ اللهُ إِليهِ مِن صُنْعِ الفُلْكِ ، ورُكُوبهِ ، وانْجَائِهِ ، ومَنْ مَعَ نُوْحٍ وَهُمْ أَصْحَابُ السَّفِيْنَةِ ، ودَعْوته لابْنِهِ ، وعِصْيَانِ ابْنِهِ لَهُ ، وجَوَابُ اللهِ لَهُ حِيْنَ ما قَال (إِنَّ ابْنِيْ مِن أَهْلِي) وانْهِمَارِ السَّمَاءِ بالمَاء ، وتَفَجُّرِ الأَرضِ عُيُوْناً ، وإغْرَاقِ الكَافِرِيْنَ وَنَجَاةِ المُؤْمِنِيْنَ .

١٦٩ ـ وأَخبَرَ القُرْآنُ عَنْ مُوْسي عليهِ السلامُ وَمَا تَمَّ لَهُ عِنْدَ وِلاَدَتِهِ، وَمَا وَقَعَ لَهُ في مِصْرَ، ومَا حَدَثَ لَهُ في مَدْيَنَ، ومارَآهُ في جَبَلِ الطُوْرِ، ومَا كُلِّفَ بِهِ مِنْ أَعْبَاءِ الرِّسَالَةِ، ومَادَارَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ فِرْعَوْنَ مِن حِوَارٍ، وما جَرَى مِن السَّحَرَةِ، وَمَا انْتَهَى إليهِ أَمْرُ فِرْعَونَ، ومَلَئِهِ، ومُوْسَى وقَوْمِهِ.

١٧٠ ـ وأَخْبَرَ القُرآنُ عَن عِيْسَى.

١٧١ ـ وأُمِّهِ عَلَيْهِمَا السَّلامُ، وَمَاوَقَعَ لَهُمَا مِن الخَوارِقِ، وَمَا صَنَعَهُ لَهُمَا بَنُوْا اسْرَائِيلَ مِن مَكَائِدَ.

١٧٢ ـ وأَخْبَرَ عن دَاوُدَ.

١٧٣ ـ وَسُلَيْمَانَ عَلَيْهِمَا السلامُ وذَكَرَ الإحْسَانَ إلَيْهِمَا وَمَا آتاهُمَا مِن العِلْمِ والفَهْمِ قال اللهُ تعالى (وكُلاً آتَيْنَا حُكْماً وعِلْمَا) فأَنْعَمَ اللهُ على دَاوُدَ بتَسْخِيْرِ الجِبَالِ والطيرِ لِلتَّسْبِيْحِ مَعَهُ وأَخْبَرَ أَنَّه جَلَّ وَعَلاَ عَلَّمَهُ صَنْعَةَ الدُّرُوْعِ وأَخْبَرَ أَنَّهُ أَنْعَمَ على سُلَيْمَانَ بتَسْخِيْرِ الرِّيْحِ العَاصِفَةِ التي تَجْرِيْ بأَمْرِهِ وَتَسْخِيْرِ الشيَاطِين تَغُوصُ في البِحَارِ وتَعْمَل لَهُ أَعْمَالاً أُخرَى.

١٧٤ ـ وأَخْبَرَ عن إبْراهِيْمَ خَلِيْلِ الرحمن، ومُحَاجَّتِهِ لِلْمَلِكِ الجَبَّارِ وهُوَ نُمْرُوْدُ، البَابِلِي، المُعَطِّلِ، المُنْكِرِ، لِرَبِّ العَالمَين، إلى أَنْ وَقَفَ وانْقَطَعَتْ حُجَتُهُ، واضْمَحَلَّتْ شُبْهَتُهُ، وأَخْبَرَ عَن طَلَبِهِ لِربِّهِ، أَنْ يُرِيَهُ كَيْفَ يُحْيِي الموتَى، وإجَابَةِ اللهِ دَعْوَتِهِ، وتَلْبِيَةِ طِلبَتِهِ، وعن ما ابْتَلاَهُ بِهِ مِن ذَبْحِ ابْنِهِ اسْمَاعِيْلَ وأَخْبَرَ عن مَا مَنَّ عَلَيْهِ بِهِ مِن العِلْمِ، والدَّعْوَةِ، والصَّبْرِ، وَمَا أَكْرَمَهُ بِهِ مِن الذُّرِّيَةِ الصَّالِحَةِ، والنَّسْلِ الطَّيِّبِ وأَنَّهُ جَعَلَ صَفْوَةَ الخَلَقِ مِن نَسْلِهِ.

١٧٥ ـ وأَخْبَرَ عَنَ يُوْسُفَ عَلَيهِ السْلامُ، ومَا جَرَى لَهُ مَعَ إخْوَتِهِ،

وَمِقْدَارِ لُبْثِهِ فِي السِّجْنِ ، ومُرَاوَدَةِ امْرَأَةِ العَزِيزِ لَهُ ، وظُهُورِ بَرَاءَتِهِ وَبَيَانِ صِدْقِهِ ، وإيْثَارِ اللهِ لهُ عَلَى إخْوَتِهِ ، وما جَرَى لأَبِيْهِ يَعْقُوبَ .

١٧٦ – وأخبَرَ عن لُوْطٍ ، ومَا قَالَهُ لِقَوْمِهِ ، تَوْبِيْخاً لَهُمْ ، وَجَوابِهِم السَّخِيْفِ لَهُ جَزَاءَ نُصْحِهِ ، وإنْجَاءِ اللهِ لَهُ ، وأَهَلِ بَيْتِهِ إلاَّ امْرَأَتَهُ ، وأَخْبَرَ عن مَجِيءِ الرُسُلِ إليْه ، وأنَه سَاءَهُ مَجِيئُهُمْ ، وذَلِكَ لِمَا يَتَوقَّعُهُ مِن اعْتِدَاءِ قَوْمِهِ عَلَيْهِم وفِعْلاً جَاؤُا يُهَرْوِلُونَ إليْهِ ، وأَخْبَرَ عَنْ مَا أَوْقَعَهُ اللهُ مِن العُقُوبَةِ العَظِيْمةِ ، جَزَاءَ فِعْلَتِهِمْ ، الشَّنِيْعَةِ ، التِي لَمْ يَسْبِقْهُمْ بِهَا أَحَدٌ .

١٧٧ – وأَخْبَرَ عَن زَكَرِيَا ، ونِدَائِهِ لِرَبِهِ ، وآثَارِهِ الصَّالِحَةِ وَمَنَاقِبِهِ الجَمِيْلَةِ ، وتَبْشِيْرِ اللهِ لَهُ بِغُلاَمٍ اسْمُهُ يَحْيَى ، وطَلَبِهِ مِن ربهِ أَنْ يَجْعَلَ لَهُ آيةً ، يَطْمَئِنُ بِهَا قَلْبُهُ ، ولَيْسَ شَكّاً في خَبَرِ الله ، وانَّمَا هُوَ كَمَا قالَ الخَلِيْلُ (رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيي الموتَى قَالَ : أَوَ لَمْ تُؤْمِنْ ؟ قَالَ : بَلَى ولكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِيْ) واجابَةِ اللهِ إلى طِلْبَتِهِ ، وَمَنْعِهِ مِن الكلامِ ، ثَلاثَ لَيَالٍ سَوِيَا .

١٧٨ – وأخبر عن يحيى عَلَيه السلام وأن اللهَ جعله براً بِوَالِدَيْهِ ، ولا يَتَعَالَى عَنِ قَبُولِ الحَقِ ، وَوَصَفَهُ بِصِفَاتٍ كَلُّهَا مَنَاهِجَ لِلْخَيْرِ ، وَوَسَائِلَ لِلطَّاعَةِ ، أَوَّلُهَا قَولُهُ تَعَالى (وآتيناهُ الحُكْمَ صَبِياً) إلى أَنْ ذَكَرَ سُبْحَانَهُ جَزَاءَهُ ، عَلَى مَا قَدَّمَ مِن عَمَلٍ صَالح ، وأَسْلَفَ مِن طَاعَة رَبِهِ .

١٧٩ – وأخبر عما أخبر اللهُ بِهِ جلَّ وَعَلاَ عن مَرْيَمَ ابْنَةِ عِمْرَانَ ، وأَنَّهُ أَنْجَبَ مِنْهَا وَلَداً مِن غيرِ أَبٍ ، وَتَقَدَّمَ الكلامُ حَوْلَهَا وَوَلَدِهَا عَلَيْهِمَا السلامُ ، وما لَقِيَا مِنَ الإبْتِلاءِ ، والإمْتِحَانِ ، وما قَابَلاَ بِهِ ذَلِكَ .

١٨٠ – وأَخْبَرَ عن يُوْنُس عليه السَّلامُ ، وإبَاقِهِ إلى الفُلْكِ ،

ومُسَاهَمَتِهِ لأَهْلِ الفُلْكِ ، والْتِقَامِ الحوتِ لَهُ ، وانَّهُ كانَ مِنْ المُسَبِّحِيْنَ ، الذينَ يَذْكُرُوْنَ اللهَ كَثِيْراً ، وعن نَبْذِهِ في مَكَان خَالٍ لا نَبَاتَ فِيهِ ، وأَخْبَرَ عَنِ لُطْفِهِ بِهِ وَرِعَايَتِهِ لَهُ ، وعِنَايَتِهِ بِهِ ، بانْبَاتِ شجَرَةِ اليَقْطِيْنَ وَأَنَّهُ أَرْسَلَهُ (إلى مِائَةِ أَلف أَوْ يَزِيْدُوْن) وأَنَّهُمْ آمَنُوْا ، ومَتَعَهُمُ اللهُ إلى حِيْن .

« موعظـــة »

عِبَادَ اللهِ لِلْعِلْمِ الدِيْنِيْ آثارٌ جَلِيْلَةٌ كَمْ جَلَّ بِهَا رَجُلٌ حَقِيْرٌ وكُلَّمَا كانَ الرَّجُلُ أَعْلَمَ بالعِلْمِ الدِيْنِي كَانَ عِنْدَ اللهِ وعندَ العُقَلاءِ جَلِيْلٌ مَضَى السَّلفُ الصَّالِحُ الذينَ يَطِيْبُ المَجْلِسُ بِذِكْرِهِمْ لِقَدْرِهم المُنْقَطِعِ النَّظِيْرِ كَانُوا رِجَالاً مِثْلَنَا ولَكِنْ بِبَرَكَاتِ مَا وَهَبَهُمْ مَوْلاَهُمْ مِن العِلْمِ الدِيْنِيْ وَآثَارِهِ الجَلِيْلةِ كانُوا خَيْرَ الناسِ بَعْدَ النَّبِيِّيْنَ كانُوْا أَغْنَى العَالَمِ لأَنَّهُمْ رَضُوْا بقِسْمَةِ مَوْلاَنَا الحَكِيمِ الخَبِيْرِ وكانُوا أَشْجَعَ الناسِ لأَنَّهُم عَلِمُوْا أَنَّ الأَجَلَ لايُطِيْلُهُ الجُبْنُ الذَّمِيْمُ فكَمْ مِن قَتْلَةٍ قُرِنَتْ بالجُبْنِ كَمَا قِيْلَ :

كَمْ مَخْلَص وَعُلاً في خَوْضِ مَهْلَكَةٍ   وقَتْلَةٍ قُرِنَتْ بالـذَّمِ في الجُبُنِ

وكَانُوْا في الحِلْمِ والعَقْلِ كالجِبَالِ الرَّوَاسِيْ وكانُوا مَحَطَّ رِحَالِ الجُوْدِ والكَرِمِ لأَنَّهُمْ يَعْلَمُونَ أَنَّ البَخِيْلَ بَعِيْدٌ مِن اللهِ بعيدٌ مِن النَّاسِ وأَنَّ الذِيْ يَرْضَى بالبُخْلِ وَيَحُثُّ عَلَيْهِ إبْلِيْس لَعَنَهُ اللهُ وكانُوا يَسْتَقْبلُوْنَ البَلاَيَا مَهْمَا قَسَتْ بالصَّبْرِ الجَمِيْلِ لِعِلْمِهِم أَنَّهَا تَصَرُّفُ الحَكِيْمِ الخَبِيْرِ وكانُوا يَسْتَقْبلُوْنَ النِعَمَ بالحَمْدِ والشُكْرِ لِجَزْمِهِمْ أَنها للهِ ومِن اللهِ وأَنَّهُ يَزِيْدُ الشَّاكِرِيْنَ ويَرْضَى عن الحَامِدِيْنَ وكانُوا أَبْعَدَ الناسِ عن الشَّرِ ولا يُحبُوْنَ أَهْلَهُ لِعِلْمِهِمْ أَنَّ ذَلَكَ يُغْضِبُ اللهَ وكانُوا يُحبُونَ الخَيْرَ لإِخْوَانِهِمْ

المُسْلِمِيْنَ وكانُوا لايُضْمِرُوْنَ حَسَداً وَلاَ شَرًّا لأحدٍ مِن إِخْوَانِهِمْ المُؤْمِنِيْنَ لِعِلْمِهِمْ أَنَّ اللهَ يُحِيْطُ عِلْماً بِمَا يُسِرُّوْنَ ومَا يُعْلِنُونَ وكانُوَ إذا قَالُوا أَوْ فَعَلُوا يَتَحَرَّوْنَ ما يُرْضِيْ اللهَ تَعالى فِيْمَا يَقُولُوْنَهُ ويَفْعَلُونَهُ وكَانُوالايَشْهَدُوْنَ المنكر والزُوْرَ بَلْ يُنْكِرُوْنَ عَلَى مَنْ يَحْضُرُوْنَ وَكَانُوْا يَحُنُّوْنَ إلى مَجَالِسِ الذِكْرِ حَنِيْنَ الإِلْفِ فارَقَهُ الإِلفُ وَهَكَذَا كانُوْا إِذَا أَرَادُوْا أَنْ يَتَحرَّكُوا أَوْ يَسْكنُوْا بِاسْتِشَارَةِ العِلْمِ الدِيْنِيْ يَتَحَرَّكُونَ ويَسْكُنُوْنَ لِهَذَاكَانُوا لِلْيَوْمِ مَوْضِعَ إِعْجَابِ الشَّرْقِ والغَرْبِ ونَالُوا فَوْقَ هَذَا رِضَى رَبِّ العَالَمِينِ هكَذا كَانُوْا بِبَرَكَاتِ مَا وَهَبَهُمُ اللهُ مِن العِلْمِ الدِيْنِيْ أَمَّا نَحْنُ فقَدْ كُنَّامَوْضِعَ إِعْجَابٍ مِن نَاحِيَةِ أَنَّ هَدَفَنَا في التَّعْلِيمِ هُوَ الحُطَامُ الفَانِي لاغَيْرُ لِهَذَا كانَ الوَاحِدُ مِنَّا إِذَا رَسَبَ يَكَادُ يَنْتَحِرُ وَيقُولُ فَاتَ عَلَيَّ سَنَةٌ مَحْصُولُ رَوَاتِبِهَا لاَ يَقِلُ عَن خَمْسَةِ آلافِ ولَوْ كَانَ قَصْدُهُ العِلْمَ بمَا جَهلَهُ وتَوْجِيْهُ عِبَادِ اللهِ عِنْدَمَا يَنْجَحُ كانَ عِنْدَهُ يَتَسَاوَى السُرْعَةُ والبُطْءُ لأَجْلِ أَنْ يَمْهَرَ في المَعْلُومَاتِ لِهَذَا القَصْدِ مَاتَتَ الفَضَائِلُ وانْتُزِعَتْ بَرَكَةُ العِلْمِ وفقدَتْ هَيْبَةُ العَالِمِ عِنْدَ كُلِّ أحدٍ وَصَارَ كُلُّ يُفْتِيْ وَكُلُّ يُرَشِّحُ نَفْسَهُ لِلْفُتْيَا فَوْراً وَلَكِنَّ الناسَ الوَرِعِيْنَ لايَطْمَئِنوْنَ إِلاَّ إلى النَّوَادِرِ مِمَّنْ يُوْثَقُ بدِيْنِهِمْ وأَمانَتِهِمِ وَيَتْرُكُونَ المُرَائِيْنَ والمُحِبِّيْنَ لِلظُّهُوْرِ والشُّهْرَةِ الذين ضاعوا وضيعوا عباد الله .

وخِتَاماً فَلَوْ أَنَّنَا أَحْيَيْنَا طَرِيْقَةَ سَلَفِنَا في العِلْمِ المُطَابِقِ لِلْعَمَلِ لأَصْبَحْنَا وقَدْ أَحْيَيْنَا عِزَّهُمْ وشَرَفَهُمْ الدَّفِيْنَ رَحْمَةُ اللهِ على تِلْكَ الأَرْوَاحِ العَامِلَةِ بِمَا عَلِمَتْ .

شِعرا :

إِذَا أَنْتَ لَمْ تَبْكِ العُلُومَ وأَهْلَهَا   وقَـدْ غَيَّبَتْهَـا في التُرَابِ لُحُوْدُ

فَأَنْت بَهِيْبِي الطِّبَـــاعِ وَإِنَّمَا قُصَــارَاكَ ثَوْبٌ نَاعِمٌ وثَرِيْدُ
سَتَبْكِيْ العُلاَ قَوْماً تَسَامَوْا لِنَيْلِهَا كأَنَّ لَهُمْ دَمْعَ العُيُــونِ هُجُودُ
يُعِيْدُوْنَ مِنْهَا مَا تَعفَّتْ رُسُوْمُهُ فَتُضْحِيْ عَلَيْهَــا لِلْفِخَــارِ بُرُوْدُ
كَفَى غُرْبَةً لِلدِّيْنِ هَذَا الذِيْ نَرَى فَلَيْسَ عَــلَى ذَا الاغْتِرَابِ مَزِيْدُ
أَلَـمْ تَبْقَ فِيْ أَهْــلِ الدِيَانَةِ هِمَّةٌ أَلَـمْ يَبْقَ شَخْصٌ لِلطُّغَــاةِ يَذُوْدُ

اللهم ثَبِّتْنَا على قَولِكَ الثابتِ في الحَيَاةِ الدنيا وفي الآخرةِ وَوَفِّقنَا لِمَا وَفَّقْت لَهُ عِبَادَكَ الصَالحِين مِن امْتِثَالِ أوامِرِكَ واجتناب نَوَاهِيْكَ واغفر لنــا ولوالدينا ولجميع المسلمين برحمتك يا أرحم الراحمين وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

١٨١ ــ وأَخْبَرَ عن صالحٍ عليه السلامُ ، وإِرْسَالِهِ إلى ثَمُودَ القَبِيْلَةِ المَعْرُوْفَةِ ، الذين يَسْكُنُونَ الحِجْرَ ، ومَا حَوْلَهُ ، وأَنَّهُ دَعَاهُمْ إلى التَّوْحِيْدِ ونَهَاهُمْ عن الشِّركِ ، وأَنَّهُ جَاءَهُم بِآيَةٍ ، خارقةٍ من خَوَارِقِ العَادَاتِ ، وهِيَ نَاقَةٌ ، شَرِيْفَةٌ ، فَاضِلَةٌ .

وأَخْبَرَ أَنَّه بَوَّأَهُمْ في الأَرضِ ، ومَكَّنَ لَهُمْ فِيْهَا ، وسَهَّلَ لَهُمُ الأَسْبَابَ ، المُوْصِلةَ إِلَى مَا يُرِيْدُوْنَ ، وأَمَدَّهُمْ بالْقُوةِ ، وأَنَّهُمْ قَابَلُوا إِخْلاَصَ صَالحٍ ونُصْحَهُ ، بَعقْرِ النَّاقَةِ ، والتَّحَدِيْ بالعَذَابِ ، وآخِرُ الأَمْرِ (أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ : فَأَصْبَحُوا في دَارِهِم جاثِمِيْنَ ، كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيْهَا) (ومَا ظَلَمَهُمُ اللهُ ولكن كانُوا أَنفُسَهم يَظْلِمُون) .

١٨٢ ــ وأَخْبَرَ عن هُوْدٍ عَليهِ السلامُ ، وإرسالِهِ إلى عادٍ الأُوْلَى ، في أَرْضِ اليَمَنِ ، يَدْعُوهُمْ إلى التَّوْحِيْدِ ، ويَنْهَاهُمْ عن الشِّرْك ، وأَنَّهُم قَابَلُوا دَعْوَتَهُ بِرَمْيِهِ بالسَّفَاهَةِ ، والكَذِبِ ، واسْتَنْكَرُوْا التَّوْحِيْدَ ،واحْتَجُّوا

عَلَيْهِ بِمَا لاَيَصْلَحُ عَقْلاً ولاشَرْعاً أَنْ يَكُونَ حُجَّةً ، مِنْ تَقْلِيْدِ الآبَاءِ ، والأَجْدَادِ ، وتَحَدَّوْهُ بِإِتْيَانِهِ بالوَعِيْدِ ، وأَجَابَهُمْ هُوْدٌ على مَقَالَتِهِم ، وآخِرُ الأَمْرِ أَنْجَى اللهُ هُودًا والذينَ آمنوا معه ، وقَطَعَ دَابرَ المكَذِّبِين بـآياتِ اللهِ .

١٨٣ – وأَخْبَرَ عن شُعَيْبٍ عليه السلامُ ، وإرسَالِهِ إلَى مَدْيَنَ ، وأَنْ لاَيَبْخَسُوا الناسَ أَشيَائَهُمْ ، وأَنْ لاَ يَعْثَوْا في الأَرْضِ مُفْسِدِين ، وأَنَّ أَشْرَافهُمْ والكُبَرَاءَ مِنْهُمْ قَابَلُوا ذَلِكَ بالتَّهْدِيْدِ باسْتِعْمَال القُوَّةِ السَّبُعِيَّةِ ، ولَمْ يُرَاعُوْا دِيْناً ، ولا ذِمَّةً ولا حَقاً ، بَلْ اتَّبعُوْا عُقُولَهُم السَّخِيْفَةِ ، وآخِرُ الأَمْرِ أَخَذَتْهُمْ الزَّلْزَلَةُ الشَّدِيْدَةُ ، فَأَصْبحَوُا في دَارِهِم جَاثِمِيْن .

١٨٤ – وأَخْبَرَ عن أَصْحَابِ الكَهْفِ ، وأَنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِم ، وأن الله لَطَفَ بِهِم حَيْثُ وَفَّقَهُمْ لِلإِيْمَانِ ، وأَنَّهُمْ اعْتَزَلُوا قومَهُم ، وآوَوْا إلى الكَهْفِ ، وبَيَّنَ حَالَهُمْ بَعْدَ أَنْ آوَوْا إِلى الكَهْفِ وَهُوَ أَنَّ الشَّمْسَ تَمِيْلُ عن كَهْفِهِمْ جِهَةَ اليَمِيْن ، وعِنْدَ الغُرُوْبِ تَقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِمَالِ ، فلاَ تُصِيْبُهُمُ الشَّمْسُ في طُلُوعِهَا ، ولا غُرُوْبِهَا ، وَبَينَ أَنَّ هِدَايَتَهُمْ ، كانَتْ بِعِنَايَةِ اللهِ إلى آخِرِ قِصَّتِهِمْ .

١٨٥ – وأَخْبَرَ عَن أَيُوْبَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ ، ومَا أَصَابَهُ الشيطانُ بهِ ، وَنِدَاءِهِ لِرَبِّهِ واسْتِجَابَةِ اللهِ لَهُ ، وكَشْفِ مَا بِهِ مِن ضُرٍ ، وإعطائِهِ أَهْلَهُ ، ومِثْلَهُمْ مَعَهُمْ .

١٨٦ – وأَخْبَرَ عَن إِسْمَاعِيْلَ عَلَيْهِ السلامُ ، وأَنَّهُ كَانَ صَادِقَ الوَعْدِ وأَنَّهُ مِن وَفَائِهِ بالوَعْدِ لَمَّا وَعَدَ مِن نَفْسِهِ الصَّبْرَ على ذَبْحِ أَبِيْهِ لَهُ ، قَالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللهُ من الصَابِرين وَوَفَّى بِذَلِكَ ، ومَكَّنَ أَبَاهُ مِن الذَّبْحِ ،

الذِيْ هُوَ أَعْظَمُ مُصِيْبَة تُصِيْبُ الانسَانَ، وأَنَّهُ كانَ يَـأْمُرُ أَهْلَهُ بالصَّلاةِ والزكاةِ . . . إلخ .

١٨٧ - وأَخْبَرَ عن إدْرِيْسَ عَليه السلامُ وأنَّ اللهَ وَصَفَهُ بِصِفَاتِ الكَمَالِ ، حَيْثُ جمَعَ لَهُ بَيْنَ الصِّدِيْقِيَّةِ وَبْينَ اصْطِفَائِهِ لِوَحْيِهِ وأَنَّهُ رَفَعَهُ مَكَاناً عَالِياً .

١٨٨ - وأَخْبَرَ عن إسْحَاقَ عَلَيهِ السلامُ ، وأَنَّهُ مِمَّنْ اخْتَارَهُمْ اللهُ واصْطَفَاهُمْ ، وشَرَّفَهُمْ بِطَاعَتِهِ ، وقَوَّاهُمْ عَلى العَمَلِ لِمَا يُرْضِيْهِ ، وآتاهُمُ البَصِيْرَةَ في الدِّيْنِ قال الله تعالى (واذْكُرْ عِبَادَنَا إبْرَاهِيْمَ وإسْحَاقَ ويَعقوبَ أُولي الأَيْدِي والأَبْصَارِ إنا أَخْلَصْنَاهُمْ بخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ ، وإنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ المُصْطَفَيْنَ الأَخْيَارِ) .

١٨٩ - وأَخْبَرَ عَن ذِيْ القَرْنَيْنِ ، وأَنَّه بَلَغَ المَشَارِقَ والمَغَارِبَ ، وأَنَّ اللهَ أَعْطَاهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَباً ، وأَخْبَرَ أَنَّهُ لَمَّا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ ، وَجَدَ مِن دُوْنِهِمَا قَوْماً لايَكَادُوْنَ يَفْهَمُوْنَ كَلامَ أَتبَاعِهِ ولا كَلاَمَ غَيْرِهِمْ ، وأَنَّهُمْ أَخْبَرُوْهُ ، عن إفْسَادِ يَأْجُوْجَ ومَأْجُوْجَ ، وأَنَّهم أَرَادُوْا أَنْ يَجْمَعُوْا لَهُ وَيَجْعَلُوا لَهُ خَرْجاً على أَنْ يَسُدَّ بيْنَهُمْ وبَيْنَ يَأْجُوْجَ ومأْجُوْجَ وأَنَّه قال مَا أَنَا فِيهِ خَيْرٌ مِمَّا تَبْذِلُونَهُ وأَجَابَهُم إلى طَلَبِهِمْ وَهُوَ السَّدُّ على يَأْجُوْجَ ومأْجُوْجَ بأَنْ يَجْعَلَ رَدْماً .

١٩٠ - وَأَخْبَرَ عَنِ لُقْمَانَ وَأَنَّ اللهَ آتاهُ الحِكْمَةَ ، وأَخْبَرَ عَنِ مَوْعِظَتِهِ لابْنِهِ ، المُتَضَمِّنَةِ لِلتَّحْذِيْرِ مِن الشِرْكِ ، وَالأَمْرِ بالإخلاصِ للهِ وَحْدَهُ وَذَكَرَ جَلَّ وَعَلاَ أَمْرَهُ لَهُ بالشُّكْرِ ، وأَنَّ شُكْرَ الشاكِرِ يَعُودُ نَفْعُهُ عَلَيهِ ، وَانَّ مَنْ كَفَرَ فاللهُ غَنِيٌ حَمِيْد فلا يَضُرُّ الكُفْرُ إلاَّ صَاحِبَهُ ، وأَنَّ مِن وَصَايَا

لُقْمَانُ القيِّمة لابْنِهِ الأَمْرُ بإقامةِ الصلاةِ ، والأَمرُ بالمعروفِ ، والصبرُ على ما يُصِيْبُهُ ، وأَنَّ تِلْكَ الوَصَايَا مِن الأُمُوْرِ المُهِمَّةِ التِي يُعْزَمُ عَلَيها ، وَيَتَحَتَّمُ على العِبَادِ فِعْلُهَا ، ولا مَحِيْصَ مِنْهَا ، ثُمَّ حَذَّرَهُ مِن أَشْيَاءَ أُخَر أَوَّلُهَا الكِبْرُ . . . إلخ .

١٩١ – وأَخْبَرَ عن الخَضِرِ ، وما اخْتُصَّ بِهِ مِن العِلْمِ ، وما جَرَى بَيْنَهُ وبَيْنَ مُوْسَى ، عِنْدَمَا اتَّصَلَ بِهِ ، وما جَرَى لِمُوْسَى وفَتَاهُ ، في سَفَرِهِ إلى الخَضِرِ ، ومَا تَزَوَّدَاهُ في السَّفَرِ ، إلى آخِرِ القِصَّةِ والله أعلم وصلى الله على محمد وآله وسلم .

١٩٢ – وأَخْبَرَ عَنْ أَهْلِ القَرْيَةِ ، إذ جَاءَهَا المُرْسَلُونَ ، وما جَرَى مِن أَهْلِ القَرْيَةِ ، مِن التَّكْذِيْبِ لِلرُّسُل ، ومَا قَالَهُ الرُّسُلُ ، وأَنَّ أَهْلَ القَرْيَةِ حِيْنَمَا تَوعَدُوْا الرُسُلَ وَهَمُّوْا بِقَتْلِهِمْ جَاءَ رَجُلٌ يسْعَى مِن أَطْرَافِ المَدِيْنَةِ ، لِيَنْصَحَ قَوْمَهُ ، وَيَحُضَّهُمْ على اتِّبَاعِ الرُسُل ، ويَذُبَّ عن الرسُل ، وأَنَّهُ أَبَان لَهُمْ أَنَّهُ ما اخْتَارَ لَهُمْ إلاَّ مَا اخْتَارَ لِنَفْسِهِ ، وَهَذَا يُشْبِهُ مُؤْمِنَ آل فِرْعَونَ الذِيْ دَافَعَ عن مُوْسَى عَلَيْهِ السَّلامُ ، وأَخْبَرَ عَن مَا حَلَّ بأَهْلِ القَريةِ ، مِن النَّكَالِ والعُقُوبَةِ .

١٩٣ – وأَخْبَرَ عَن سَبَأٍ ، ومَا أَمَدَّهُمْ بِهِ مِن البَسَاتِيْنِ ، والمِيَاهِ العَظِيْمَةِ ، والثِّمَارِ التِي بِهَا يَتَنَعَّمُونَ ، ويَحْصلُ لَهُمْ بِها الغِبْطَةُ ، والسُرُوْرُ وأَنَّهُمْ ظَلَمُوْا أَنْفُسَهُمْ ، وَكَفَرُوْا باللهِ ، وبِنِعْمَتِهِ ، فأَرْسَلَ اللهُ عَلَيْهِمْ سَيْلَ العَرِمِ ، وذَهَبَ بالبَسَاتِيْن ، وأَهْلَكَ الحَرْثَ والنَّسْلَ ، وَبُدِّلُوا بتِلْكَ الجنَان ، والبَسَاتِيْنَ الحَسَنَةِ ، بُسْتَانَيْنِ لَيْسَ فِيْهِمَا إلا أَشْجَارٌ تافِهَةٌ ، لاَيُؤْبَهُ لَهَا ، وما ظَلَمَهُمُ اللهُ ولكِنْ كانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُون .

١٩٤ - وأَخْبَرَ عن قَارُوْنَ ومَا أُوْتِيَهُ مِن كُنُوزٍ ، وأَنَّ مَفَاتِحَهُ تَنُوء بالعُصْبَةِ أُولي القُوَّةِ ، وأَنَّهُ بَغَى عَلَى مُوسَى وقَوْمِهِ ، وَأَنَّ قَومَهُ نَصَحُوْهُ ، بِعِدَّةِ نَصَائِحَ ، وَأَنهُ قَابَلَهَا بالإِبَاءِ ، وكُفْرانِ النِّعْمَةِ ، وأَنه خَرَجَ مَرةً عَلى قومِهِ فِي زِيْنَتِهِ ، وأَخْبَرَ عَن مَا قَالَ لَهُ مُرِيْدُوْا الحَيَاةَ الدُنْيَا ، وما قَالَ لَهُمْ أُولُوا العِلْمِ ، وذَكَرَ مآلَ بَطَرِهِ وأَشَرِهِ ، وما حَلَّ بِهِ مِن الوَبَالِ ، والنَّكالِ ، وهُوَ الخَسْفُ بِهِ وَبِدَارِهِ .

وقال اللهُ تَعالى لِنَبِيِّهِ وَرَسُولِهِ محمد صلى اللهُ عليه وسلم (وما كُنْتَ بجانبِ الطورِ اذ نادَيْنَا) وقال (وما كُنْتَ بجانب الغربِي إِذْ قضينا إلى مُوْسى الأَمرَ ، وما كُنْتَ مِن الشاهِدِين) وقال (ذَلكَ مِن أَنْبَاءِ الغَيبِ نُوحِيْهِ اليكَ وما كُنْتَ لَدَيْهِم إِذْ يُلْقُونَ أَقلامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفلُ مَرْيمَ) وقال تعالى (تِلكَ مِن أَنْبَاءِ الغيبِ نوحِيْهَا إِليكَ ما كُنْتَ تعلَمُهَا أَنْتَ ولا قومُكَ مِن قبلِ هذا ، فاصبرْ إِن العاقبةَ لِلْمُتَّقِين) .

وقال تعالى (كذلك نَقُصُّ عليكَ مِن أَنْبَاءِ ما قَدْ سَبقَ) الآية .

وقال تعالى (نحنُ نَقُصُّ عليكَ أَحْسَنَ القَصَصِ بما أَوْحَيْنَا اليكَ هذا القرآنَ وإن كُنْتَ مِن قبلِهِ لَمِنَ الغافِلين) وقال (ذلكَ مِن أَنباءِ الغَيبِ نُوحِيْهَا اليكَ وما كَنتَ لَدَيْهم إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُم وهمْ يَمكرون) .

فالنبي صلى الله عليه وسلم لم يَعْلَمْهَا عن مُشَاهَدَة ولكِنْ أَعْلَمَهُ إِيَّاهَا الذِيْ أَحاطَ بكُلِّ شَيءٍ عِلْماً الذي لاتَخْفَى عليه خَافِيَةٌ فِي الأَرضِ ولا في السماءِ وقال تعالى (فلنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بعِلْمٍ وما كُنَّا غَائِبِينَ) وأَخْبَرَ النبيُ صلى اللهُ عليه وسلم بأُمُوْرٍ غَيْبِيَّة غَيْرَ ما ذَكَرْنَا أَعْلَمَهُ اللهُ بِهَا وفي بَعْضِ ما ذَكَرنَا كِفَايَةٌ تَامَّةٌ لِمَنْ أَحَبَّ أَنْ يَقرأَهَا وَيتَأَمَّلَهَا لِيَقْوَى إِيمانُهُ باللهِ وبِرُسلِهِ وبمَا أَخْبَرُوْا بهِ صلواتُ اللهِ وسلامُه عليهم أَجْمَعِين .

(فصـــل)

وقال شيخُ الاسلام ابنُ تَيْمِيَّةَ رحمه اللهُ وسيرةُ النبي صلى الله عليه وسلم مِن آياتِهِ ، وأَخلاقُهُ وأَقْوَالُهُ وأَفعَالُهُ وشَرِيْعَتُه مِن آيَاتِهِ ، وأُمَّتُهُ مِن آياتِهِ ، وكَرَامَاتُ صَالِحِي أُمَّتِهِ مِن آياتِهِ .

وذَلِكَ بتَدَبُّر سِيْرَتِهِ مِن وُلِدَ إلى أَنْ بُعِثَ وَمِن حِيْنِ بُعِثَ إلى أَنْ مَاتَ وبتَدَبُّرِ نَسَبِهِ وَبَلَدِهِ وَأَصْلِهِ وفَضْلِهِ فإنهُ كَانَ مِن أَشْرَفِ أَهْلِ الأَرْضِ نَسَباً مِن صَمِيْمِ سُلاَلَةِ إبْرَاهِيْمَ الذي جَعَلَ اللهُ في ذُرِّيَّتِهِ النُبُوَّةَ والكِتَاب .

فَلَمْ يَأْت نَبِيٌّ مِن بَعْدِ إبْرَاهِيْمَ إلا مِن ذُرِّيَّتِهِ وَجَعَلَ لَهُ ابْنَيْنِ إسْمَاعِيْلَ وإسْحَاقَ وذُكِرَ في التَّوْرَاةِ هَذَا وهَذَا وبُشِّرَ في التَّوْرَاةِ بِمَا يَكُونُ مِن وَلَدِ إسْمَاعِيْل .

ولم يَكُنْ في وَلَدِ إسْمَاعِيْلَ مَن ظَهَرَ فِيْمَا بَشَّرَتْ بِهِ النُّبُوَّاتُ غَيْرَهُ ودَعَا إبراهيمُ لِذُرِّيَةِ إسْمَاعِيْل بأَنْ يَبْعَثَ فِيْهِمْ رَسُوْلاً مِنْهُمْ ثُمَّ هُوَ مِن قُرِيْشٍ صَفْوَةِ بَنِيْ إبْرَاهِيْمَ مِن بَنِيْ هَاشِمٍ صَفْوَةِ قُرَيْشٍ .

ومِنْ مَكَّةَ أُمِّ القُرَى وَبَلَدُهُ البَيْتُ الذيْ بَنَاهُ إبْرَاهِيْمُ وَدَعَا النَاسَ إلى حَجِّهِ ، ولَمْ يَزَلْ مَحْجُوْجاً مِن عَهْدِ إبْرَاهِيْمَ مَذكوراً في كُتُبِ الأَنْبِيَاء بأَحْسَنِ وَصْف ، وكانَ مِن أَكْمَلِ الناسِ تَرْبيَةً ونَشْأَةً لَمْ يَزَلْ مَعْرُوْفاً بالصِّدْقِ والبِرِّ والعَدْلِ وَمَكَارِمِ الأَخلاقِ وتَرْكِ الفَوَاحِشِ والظُلْمِ وكُلِّ وَصْفٍ مَذْمُوْمٍ .

مَشْهُوداً لَهُ بِذَلِكَ عندَ جَمِيْعِ مَنْ يَعْرِفُهُ قَبْلَ النُبُوَّةِ وَمِمَّنْ آمَنَ بِهِ

وَكَفرَ بَعْدَ النُبُوَّةِ ، لاَ يُعْرَفُ لَهُ شَيءٌ يُعَابُ بِهِ لا في أَقوالِهِ ولا فِي أفعالِهِ ولا في أَخلاقِهِ ولا جُرِّبَتْ عَليهِ كِذْبَةٌ قَطُ ولا ظُلْمٌ ولا فَاحِشَةٌ .

وكَانَ خُلُقُهُ وصُورَتُهُ مِن أَكْمَلِ الصُوَرِ وأَتَمِها وأَجْمَعِهَا لِلْمَحَاسِنِ الدَّالَةِ عَلَى كَمَالِهِ ، وكَانَ أُمّياً مِن قَوْمٍ أُمِّيِيْنَ لا يَعْرِفُ لا هُوَ ولاهُمْ مَا يَعْرِفُهُ أَهْلُ الكِتَابِ « التَّورَاةِ والإنجيلِ » .

ولم يَقْرَأْ شَيْئاً مِن عُلُومِ الناسِ ولا جَالَسَ أَهْلَهَا ولَمَ يَدَّعِ بِنُبُوَّةٍ إلى أَنْ أَكْمَلَ اللهُ لَهُ أَرْبَعِيْنَ سَنَةً فأَتَى بأَمْرٍ هُوَ أَعْجَبُ الأُمُورِ وأَعْظَمُهَا وبكَلاَمٍ لَمْ يَسْمَعِ الأَوَّلُونَ والآخَرونَ بنَظِيْرِهِ .

وأَخْبَرَ بأَمْرٍ لَمْ يَكُنْ في بَلَدِهِ ولا فِي قَوْمِهِ منْ يَعْرِفُ مِثْلَهُ ولَمْ يُعْرَفْ قَبْلَهُ ولا بَعْدَهُ ، لا فِي مِصْرٍ مِن الأَمصَارِ ولا في عَصْرٍ مِن الأَعْصَارِ مَن أَتَى بِمِثْلِ مَا أَتَى بِهِ ولا مَنْ ظَهَرَ كَظُهُوْرِهِ .

ولاَ مَنْ أَتَىَ مِن العَجَائِبِ والآياتِ بِمِثْلِ مَا أَتَى بهِ ولا مَن دَعَا إلى شَرِيْعَةٍ أَكْمَلَ مِن شَرِيْعَتِهِ ، ولا مَنْ ظَهَرَ دِيْنُهُ على الأَدْيَانِ كُلِّهَا بالعِلْمِ والحُجَّةِ وباليَدِ والقُوَّةِ كَظُهُوْرِهِ .

ثم إِنَّهُ اتَّبَعَهُ أَتْبَاعُ الأَنْبِيَاءِ وهُمُ الضُعَفَاءُ مِن الناسِ وَكَذَّبَهُ أَهْلُ الرِئَاسَةِ وعَادَوْهُ وسَعَوْا في هَلاَكِهِ وهَلاكِ مَن تَبِعَهُ بِكُلِّ طَرِيْقٍ ، كَمَا كَانَ الكُفَّارُ يَفْعَلُونَ مَعَ الأَنبِياءِ وأَتْبَاعِهِمْ .

والذينَ اتَّبَعُوهُ لَمْ يَتَّبِعُوْهُ لِرَغْبَةٍ ولاَ لِرَهْبَةٍ ، فَانَّهُ لَمْ يَكُنْ عِنْدَهُ مَالٌ يُعْطِيْهِم ولا جِهَاتٍ يُوَلِيْهِم إِيَّاهَا ولا كَانَ لَهُ سَيْفٌ بَلْ كَانَ السَّيْفُ والجَاهُ والمالُ مَعَ أَعدائِهِ ، وقَدْ آذَوْا أَتْبَاعَهُ بأَنْوَاعِ الأَذَى وهُمْ صَابِرُوْنَ مُحْتَسِبُونَ لا يَرْتَدُّوْنَ عن دِيْنِهِم لَمَّا خَالَطَ قُلُوْبَهُمْ حَلاَوَةُ الايمانِ والمعْرِفَةِ .

وكانَتْ مَكَّةُ يَحُجُّهَا العَرَبُ مِن عَهْدِ إبْرَاهِيْمَ فَتَجْتَمِعُ في المَوْسِمِ قَبَائِلُ العَرَبِ فَيَخْرُجُ إليهِمْ يُبَلِّغُهُمْ الرِّسَالَةَ وَيدْعُوْهُمْ إلى اللهِ صَابِراً على مَا يَلْقَاهُ مِنْ تَكْذِيْبِ المُكَذِّبِ وجَفَاءِ الجَافِي وإعْرَاضِ المُعْرِضِ إلى أَنْ اجْتَمَعَ بِأَهْلِ يَثْرِبَ وكانُوا جِيْرَانَ اليَهُودِ قَدْ سَمِعُوْا أَخْبَارَهُ مِنهُمْ وعَرَفُوْهُ.

فلَمَّا دَعَاهُمْ عَلِمُوْا أَنَّهُ النَّبِيُّ المُنْتَظَرُ الذِي تُخْبِرُهُمْ بِهِ اليَهودُ وكَانُوا قَدْ سَمِعُوْا مِن أَخْبَارِهِ مَا عَرَفُوا بِهِ مَكَانَتَهُ ، فإنَّ أَمْرَهُ كَانَ قَدْ انتَشَرَ وظَهَرَ في بِضْعِ عَشْرَةِ سَنَة فآمَنُوا بِهِ وتابَعُوْهُ على هِجْرَتِهِ وهِجْرَةِ أَصْحابِهِ إلى بَلَدِهِم وعَلى الجِهَادِ مَعَهُ .

فَهَاجَرَ هُوَ ومَن اتَّبَعَهُ إلى المَدِيْنَةِ وبها المُهَاجِرُوْن والأَنصارُ لَيْسَ فِيهم مَن آمنَ بِرَغْبَةٍ دُنْيَوِيَّةٍ ولا بِرَهْبَةٍ إلا قليلاً مِن الأَنْصَارِ أَسْلَمُوا في الظاهِرِ ثُمَّ حَسُنَ إسْلامُ بَعْضِهِم ثُمَّ أُذِنَ لَهُ في الجِهادِ ثُمَّ أُمِرَ بِهِ .

ولَمْ يَزَلْ قائماً بأَمْرِ اللهِ عَلى أَكْمَلِ طَرِيْقَة وأَتَمِّهَا مِن الصِّدْقِ والعَدْلِ والوَفَاءِ لا يُحْفَظُ عليهِ كِذْبَةٌ واحدَةٌ ولا ظُلْمٌ لأَحَدٍ ولا غَدْرٌ بأَحَدٍ ، بل كانَ أَصْدَقَ الناسِ وأَعْدَلَهُمْ وأَبَرَّهُمْ وأوفاهُمْ بالعَهْدِ مَعَ اخْتلافِ الأَحْوَالِ عليهِ مِن حَرْب وسِلْمٍ وأَمْنٍ وخَوْفٍ وغِنىً وفقْرٍ وقِلَّةٍ وكَثْرَةٍ وظُهُوْرِهِ على العَدُوِّ تارةً وظُهُورِ العدو عليه تارةً .

وَهُوَ عَلَى ذَلِكَ كُلِّهِ مُلازِمٌ لأَكْمَلِ الطُّرُقِ وَأَتَمِّهَا حَتَّى ظَهَرَتِ الدعوة في جَمِيْعِ أَرَضِ العَرَبِ التِي كانَتْ مَمْلُوءَةً مِن عِبَادَةِ الأَوْثانِ ومِن أَخْبار الكُهَّانِ وطَاعَةِ المَخْلُوق في الكُفْرِ بالخَالِقِ وسَفْكِ الدِّمَاءِ المُحَرَّمَةِ وقَطِيْعَةِ الأَرْحَامِ لا يَعْرِفُونَ آخِرَةً ولا مَعَاداً .

فَصَارُوْا أَعْلَمَ أَهْلِ الأَرْضِ وأَدْيَنَهُمْ وأَعْدَلَهُمْ وأَفْضَلَهُمْ وهَذِهِ آثارُ

عِلْمِهِم وعَمَلِهِم في الأَرْضِ وآثارُ غَيرِهِم يَعْرِفُ العُقَلاءُ فَرْقَ ما بَيْنَ الأَمْرَيْنِ وهو صَلَّى اللهُ عليه وسلم مَعَ ظُهورِ أَمْرِهِ وطَاعَةِ الخَلْقِ لَهُ وتَقْدِيْمِهِم لَهُ على الأَنْفُسِ والأَمْوَالِ مَاتَ ولَمْ يُخَلِّفْ دِرْهَماً ولا دِيْنَاراً ولا مَتَاعاً ولاَ دابَّةً إلا بَغْلَتَهُ وسلاَحَهُ ودِرْعُهُ مَرْهُوْنَةٌ عِندَ يَهُوْدِي عَلى ثَلاثِيْنَ وِسْقاً مِن شَعِيْرٍ ابْتَاعَهَا لأَهْلِهِ .

وكَانَ بيَدِهِ عَقَارٌ يُنْفِقُ مِنهُ عَلَىَ أَهْلِهِ والبَاقِي يَصْرِفُهُ في مَصَالِحِ المُسْلِمِينَ فَحَكَم بأَنهُ لا يُوْرَثُ ولا يأْخذُ وَرَثَتُهُ مِنهُ شَيْئاً وهُوَ في كُلِّ وَقْتٍ يَظْهَرُ عَلى يَدَيْهِ مِن الآياتِ وفُنُونِ الكَراماتِ ما يطول وصْفه .

ويُخْبِرُهُم بِمَا كَانَ ومَا يَكُونُ ويَأْمُرُهُم بالمَعْرُوْفِ ويَنْهَاهُمْ عن المنكَر ويُحِلُّ لَهُم الطَّيِّبَاتِ ويُحَرِّمُ عَلَيهِمُ الخَبَائِثَ ويَشْرَعُ الشَّرِيْعَةَ شَيْئاً بَعْدَ شَيءٍ .

أَكْمَلَ اللهُ دِيْنَهُ الذي بُعِثَ بِهِ وجَاءَت شريعته أَكْمَل شَرِيعَةٍ لمْ يبق مَعرُوفٌ تَعرِف العُقُول أنه مَعْرُوْف إلاَّ أَمَرَ بِهِ ولا مُنكَرٌ تَعْرِفُ العُقُولُ أنه مُنْكَرٌ إلاَّ نَهَى عنه .

لم يَأْمُرْ بِشَيءٍ فَقِيْلَ لَيْتَهُ لَمْ يأْمُرْ بِهِ ولا نَهَى عَن شَيءٍ فَقِيْلَ لَيْتَهُ لم يَنْهَ عَنهُ وأَحَلَّ الطيباتِ لم يُحَرِمْ شَيْئاً مِنها كَمَا حُرِّمَ في شَرْعِ غَيْرِهِ وحَرَّمَ الخَبَائِثَ لَمْ يُحِلَّ مِنها شَيْئاً كَمَا اسْتَحَلَّهُ غيرُهُ .

وجَمَعَ مَحَاسِنَ مَا عَلَيْهِ الأُمَمُ فلا يُذْكَرُ في التَّوراةِ والانجيلِ والزَّبُورِ نَوعٌ مِن الخَبرِ عن اللهِ وعن مَلائِكَتِهِ وعن اليومِ الآخرِ إلاَّ وقَدْ جَاءَ بِهِ على أَكمَلِ وجهٍ وأَخبَرَ بأَشْيَاءَ لَيْسَتْ في هَذِهِ الكُتُبِ .

وأُمَّتُهُ أَكْمَلُ الأُمَمِ في كُلِّ فَضِيلَةٍ فاذَا قِيْسَ عِلْمُهُمْ بِعِلْمِ سَائِرِ الأُمَمِ ظَهَرَ فَضْلُ عِلْمِهِمْ وإن قِيْسَ دِيْنُهُمْ وعِبَادَتُهُم وطاعَتُهُم للهِ بغَيرِهِم ظَهر

أنهم أَدْيَنُ مِن غيرِهِم وإذَا قِيْسَ شَجَاعَتُهُم وجِهَادُهُم وصَبْرُهُمْ عَلى المَكَارِهِ فِي ذاتِ اللهِ ظَهَرَ أَنهُم أَعْظَمُ جِهاداً وأَشْجَعُ قُلُوباً وهذِهِ الفَضَائِلُ بِهِ نالُوْهَا ومِنْهُ تَعَلَّمُوهَا وهُوَ الذِي أَمَرَهُم بِهَا أهـ .

وقال آخَرُ :

اعْلَمْ أَنَّ مَن شَاهَدَ أَحْوَالَهُ صَلى اللهُ عليه وسَلَّمَ وأَصْغَى إِلى سَمَاعِ أَخْبَارِهِ المُشْتَمِلَةِ على أَخْلاَقِهِ وأفعالِهِ وأَحْوَالِهِ وعَادَاتِهِ وسَجَايَاهُ وسِيَاسَتِه لأَصْنَافِ الخَلْقِ وهِدَايَتِه إِلى ضَبْطِهِمْ وتـأَلُّفه أَصْنَافَ الخَلْقِ وقَوْده إِيَّاهُمْ إِلى طاعَتِهِ .

مَعَ ما يُحْكَى مِن عَجَائِبِ أَجْوبَتِهِ فِي مَضَائِقِ الأَسْئِلَةِ وبَدَائِعِ تَدْبِيْرَاتِهِ فِي مَصَالِحِ الخَلْقِ ومَحَاسِنِ إِشَارَاتِهِ فِي تَفْصِيْلِ ظاهِرِ الشَّرْعِ التي يَعْجَزُ الفُقَهَاءُ والعُقَلاءُ عنَ إِدْرَاكِ أَوائِلِ دَقَائِقِهَا فِي طُولِ أَعْمَارِهِم لَمْ يَبْقَ لَهُ رَيْبٌ ولا شَكٌ فِي أَنَّ ذلكَ لم يَكُن مُكْتَسَباً بحِيْلَةٍ تَقُومُ بِهَا القُوَةُ البَشَرِيَّةُ .

بل لا يُتَصَوَّرُ ذَلِكَ إِلا بالاسْتِمْدَادِ مِن تَـأْيِيْدٍ سَمَاوِي وقُوَّةٍ إِلٰهِيَّةٍ وأَنَّ ذلكَ كُلَّهُ لا يُتَصَوَّرُ لِكَذَّابٍ ولا مُلَبِّسٍ بل كَانَتْ شَمَائِلُهُ وأَحْوَالُهُ شَوَاهِدَ قَاطِعَةً بصِدْقِهِ حَتَّى أَنَّ العَرَبِيَّ القُحَّ كان يَرَاهُ فَيَقُولُ : واللهِ مَا هَذَا وَجْهُ كَذابٍ .

فكانَ يَشْهَدُ لَهُ بالصِّدْقِ بمُجَرَّدِ رُؤْيَتِهِ لِشَمَائِلِهِ فَكَيْفَ مَنْ شَاهَدَ أَخْلاَقَهُ ومَارَسَ أَحْوَالَهُ فِي جَمِيْعِ مَصَادِرِهِ ومَوَارِدِهِ أهـ .

اللَّهمَّ أَلْهِمْنَا ذِكْرَكَ وشُكْرَكَ وارْزقنا حُبَّكَ وسَهِّلْ علينا طاعَتَكَ وفَرِغْنَا لِلَّتفكُّرِ فِي مَخْلُوقَاتِكَ واجْعَلْ لَنَا رِضَاكَ مَوْئِلاً وعاقِبَةً واغْفِرْ لَنَا

ولِوَالِدِيْنَا ولِجَمِيْعِ المسلمين الأَحياءِ مِنهم والمَيّتين برحمتك يا أرحم الراحمين وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

إلى اللهِ نشكُوا قَسْوةً وَتَوَحُّدَا ونَرْجُوْهُ غُفْرَاناً فَرَبُّكَ أَوْحَدُ
ودُوْنَكَ مِنّي النُّصْحَ يَاذَا المُوَحِّدُ قُمِ اللَّيْلَ يَا هَذَا لَعَلَّكَ تَرْشُدُ
إلى كَمْ تَنَامُ الليلَ والعُمْرُ يَنْفَدُ

تيقظ وَتُبْ فاللهُ لِلْخَلْقِ رَاحِمٌ وإنّي لِنَفْسِي نَاصِحٌ ومُلازِمٌ
فَقُمْ لاَ تَنَمْ فالشَّهْمُ باللَّيلْ قَائِمٌ أَرَاكَ بِطُوْلِ اللَّيلِ وَيْحَكَ نَائِمُ
وَغَيْرُكَ في مِحْرابِهِ يَتَهَجَّدُ

لَقَدْ فَازَ أَقْوَامٌ ونَحْنُ نُشَاهِدُ أما تَسْتَحِيْ أَوْ تَرْعَوِي أَوْتُجَاهِدُ
فَلَيْسَ سَواءٌ قَائِمٌ ذَا وَرَاقِدُ ولَوْ عَلِمَ البَطَّالُ مَا نَالَ زَاهِدُ
مِنَ الأَجْرِ والاحْسَانِ مَا كَانَ يَرْقُدُ

فَكَمْ قَدْ أَكَلْنَا والتَّقِيُّونَ صُوَّمُ ونُمْنَا وَهُمْ بِالْلَيْلِ يَبْكُونَ قُوَّمُ
وَلَوْ مُفْلِسٌ يَدْرِيْ وَهَلْ أَيْنَ خَيَّمُوْا لَصَامَ وقَامَ الليلَّ والناسُ نُوَّمُ
إذا مَا دَنَى مِنْ عَبْدِهِ المُتَفَرِّدُ

وأَسْبَلَ في الدَّاجِي دُمُوعاً بِعَبْرَةٍ وتابَ وأَبْدَى الخَوْفَ مِن كُلِّ هَيْبَةٍ
وقَامَ وصَلَّى خَائِفاً في مَحَبَّةِ بَحَزْمٍ وعَزْمٍ واجْتِهَادٍ وَرَغْبَةٍ
وَيَعْلَمُ أَنَّ اللهَ ذُوْ العَرْشِ يُعْبَدُ

فَحَاذِرْ مِن الدُّنْيَا ومِنْ لَدْغِ صِلِّهَا فَلَيْسَ لَهَا عَهْدٌ يَفِيْ لَوْ لِخِلِّهَا
فَسَافِرْ وطَلِّقْهَا ثَلاثاً وخَلِّهَا ولَوْ كَانَتِ الدُّنْيَا تَدُوْمُ لأَهْلِهَا
لَكَانَ رَسُولُ اللهِ فِيْهَا مُخَلَّدُ

أَلَمْ يَأْنِ أَنْ نَخْشَعْ وأَيْنَ التَّهَجُّدُ أَفِي سِنَةٍ كُنَّا أَمِ القَلْبُ جَلْمَدُ

تيقَّظْ أخِيْ وَاحْذَرْ وإيَّاكَ تَرْقُدُ   أتَرْقُدُ يَا مَغْرُوْرُ والنـــارُ تُوْقَـــدُ

فلا حَرُّهَا يَطْفَى ولا الجَمْرُ يَخْمُدُ

أمَا لَوْ عَلمْنَاهَا نَهضْنَا إذا شَظَى   نَعُجُّ وبَعْضُ القَوْمِ لِلبَعْضِ أيْقَظَا

وَلَمْ تَغْتَمِضْ عَيْناً بِتَذْكَارِنَااللَّظَى   ألاَ إنَّهَا نَــارٌ يُقَــالُ لَهَــا لَظَى

فَتَخْمُدُ أحْيَانــاً وأحْيَــانا تُوْقَدُ

على الخَمْسِ تَوْدِيعاً بوَقْتِ فَصَلِّهَا   وحَافِظْ عَلَى تِلْكَ النَّوافِلِ كُلِّهَا

وتُبْ عَن ذُنُوْبٍ لا تَذِلُّ بِذُلِّهَا   فيَا رَاكِبَ العِصْيَانِ وَيْحَكَ خَلِّهَا

سَتُحْشَرُ عَطْشَانَا وَوَجْهُكَ أسْودُ

ألاَ إنَّ أهْلَ العْلِمِ في عِلْمِ غَيْبِهِ   لَهُمْ كُلُّ خَيْرٍ مِن إلَهِيْ بقُرْبِهِ

سَمَوْ بالهُدَى والناسُ مِن فَوْقِ تُرْبِهِ   فكَمْ بَيْنَ مَسْرُورٍ بِطاعَــةِ رَبِّهِ

وآخَــرُ بالذَّنْبِ الثَّقِيْلِ مُقَيَّدُ

إذَا كُوِّرَتْ شَمْسُ العِبادِ وأنْجُمٌ   وقُرِّبَتِ النَّــارُ العَظِيْمَــةُ تُضْرَمُ

وَكُبْكِبَ هَــذَا ثُمَّ هَــذَا مُسَلَّمٌ

فهــذا سعيدٌ في الجنان منعــم   وهــذا شقي في الجحيم مخــلد

وقد كان هذا الحكم من ربنا مضى   ولابد هذا الحكم في الحشر يمتضي

إلهي انلني العفو منك مع الرضى   إذا نصب الميزان للفصل والقضى

وقــد قــام خير العالمين محمد

نبي الهدى المعصوم عن كل زلة   شفيع الورى أكرم بها من فضيلة

وملته يــا صــاحبي خير مــلة   عليه صــلاة الله في كل ليلة

مع الآل والأصحــاب ما دار فرقد(١)

---

(١) الفرقد : النجم الذي يهتدى به كما في القاموس ٤٨٢/٣ مادة (الفرقد) اهـ مصحح .

(فصـــل)

وقال الْمَاوَرْدِيْ رَحِمَهُ اللهُ في ذِكْرِ خَصَائِصِ الرَّسُوْلِ صَلىَّ اللهُ عليهِ وسلَّم وفَضَائِلِهِ وشَرَفِ أَخْلاَقِهِ وَشَمَائِلِهِ المُؤيدَةِ لِنُبُوَّتِهِ والمُبَرْهِنَةِ عَلَى عُمُوْمِ رِسَالَتِهِ :

فالكَمَالُ المُعْتَبَرُ في البَشَرِ يَكُونُ مِن أَرْبَعَةِ أَوْجُهٍ : كَمَالِ الخَلْقِ وكَمَالِ الخُلُقِ وفَضَائِلِ الأَقْوَالِ وفَضَائِلِ الأَعْمَالِ .

فأَمَّا الوَجْهُ الأَوَّلُ في كَمَالِ خَلْقِهِ بَعْدَ اعْتِدَالِ صُوْرَتِهِ فَيَكُونُ بِأَرْبَعَةِ أَوْصَافٍ أَحَدُهَا : السَّكِيْنَةُ البَاعِثَةُ عَلَى الهَيْبَةِ والتَّعْظِيْمِ الدَّاعِيَةُ إلى التَّقْدِيْمِ والتَّسْلِيْمِ .

وكَانَ أَعْظَمَ مَهِيْبٍ فِي النُفُوسِ حَتَى ارْتَاعَتْ رُسُلُ كِسْرَى مِنْ هَيْبَتِهِ حِيْنَ أَتَوْهُ مَعَ ارْتِيَاعِهِمْ بصَوْلَةِ الأَكَاسِرَةِ ومُكَاثَرَةِ المُلُوكِ الجَبَابِرَةِ .

فكان صلى اللهُ عليه وسلم في نُفُوسِهِم أَهْيَبَ وفي أَعْيُنِهِمْ أَعْظَمَ وإِنْ لَمْ يَتَعَاظَمَ بِأُهْبَةٍ ولَمْ يَتَطَاوَلْ بِسَطْوَةٍ بَلْ كانَ بالتَّوَاضُعِ مَوْصُوْفاً وبالْوَطْأَةِ ـ أَيْ السُّهُوْلَةِ ـ مَعْرُوفَا .

والثانِي : في الطَّلاَقَةِ المُوْجِبَةِ لِلإِخْلاَصِ والمَحَبَّةِ البَاعِثَةِ على المُصَافَاةِ والمَوَدَّةِ .

وقد كانَ صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْه مَحْبُوباً اسْتَحْكَمَتْ مَحَبَّةُ طَلاَقَتِهِ في النُّفُوسِ حَتَّى لَمْ يَقْلُهُ مُصَاحِبٌ ولم يَتَبَاعَدْ مِنْهُ مُقَارِبٌ وكانَ أَحَبَّ إلى أَصْحَابِهِ مِن الآبَاءِ والأَبْنَاءِ وشُرْبِ الماءِ البَارِدِ على الظَّمَأ .

والثالِثُ : حُسْنُ القَبُولِ الجَالِبِ لِمُمَايَلَةِ القُلُوب حَتَّى تُسْرِعَ إلى طَاعَتِهِ وتُذْعِنَ بِمُوافَقَتِهِ وقَدْ كَانَ قَبُوْلُ مَنْظرِهِ صلى اللهُ عليه وسلم

مُسْتَوْلِياً عَلَى القُلُوبِ ولِذَلِكَ اسْتَحْكَمَتْ مُصَاحَبَتُهُ في النُّفُوسِ حَتَّى لَمْ يَنْفِر مِنهُ مُعَانِدٌ ولا اسْتَوْحَشَ مِنْهُ مُبَاعِدٌ إلا مَنْ سَاقَهُ الحَسَدُ إلى شِقْوَتِهِ وقَادَهُ الحِرْمَانُ إلى مُخَالَفَتِهِ .

والرَّابِعُ : مَيْلُ النُفُوسِ إلى مُتَابَعَتِهِ وانْقِيَادهَا لِمُوَافَقَتِهِ وثَبَاتُهُ على شَدَائِدِهِ ومُصَابَرَتِهِ ، فمَا شَذَّ عَنْهُ مَعَهَا مَنْ أَخْلَصَ ولا نَدَّ عنه فِيْهَا مَنْ تَخَصَّصَ .

وهَذِهِ الأَرْبَعَةُ مِن دَوَاعِي السَّعَادَةِ وقَوَانِيْنِ الرِّسَالَةِ وَقَدْ تَكَامَلَتْ فِيْهِ فكَمَلَ لِمَا يُوَازِيْهَا واسْتَحَقَّ ما يَقْتَضِيْهَا .

وأَمَّا الوَجْهُ الثَّانِيْ في كَمَالِ أَخْلاَقِهِ فيَكُونُ بسِتِّ خِصَالٍ :

(إِحْدَاهُنَّ) : رَجَاحَةُ عَقْلِهِ وصِحَّةُ وَهْمِهِ وصِدْقُ فِرَاسَتِهِ وقَدْ دَلَّ على وُفُوْرِ ذلكَ فِيهِ صِحَّةُ رَأْيِهِ وصَوَابُ تَدْبِيْرِهِ وحُسْنُ تَأَلُّفِهِ .

وأَنَّهُ مَا اسْتُغْفِلَ في مَكِيْدَةٍ ولا اسْتُعْجِزَ في شَدِيْدَةٍ بَلْ كانَ يَلْحَظُ الأَعْجَازَ في المَبَادِيءِ فيَكْشِفُ عُيُوْبَهَا وَيحِلُ خُطُوبَهَا وهَذَا لا يَنْتَظِمُ إلا بأَصْدَقِ وَهْمٍ وأَوْضَحِ جَزْمٍ .

والخَصْلَةُ الثَّانِيَةُ : ثَبَاتُهُ في الشَّدَائِدِ وهُوَ مَطْلُوبٌ وصَبْرُهُ على البَأْسَاءِ والضَّراءِ وهُوَ مَكْرُوْبٌ وَمَحْرُوْبٌ ونَفْسُهُ في اخْتِلافِ الأَحْوَالِ سَاكِنَةٌ لا يَخُوْرُ في شَدِيْدَةٍ ولا يَسْتَكِيْنُ لِعَظِيْمَة وقد لَقِيَ بمَكَّةَ مِن قُرَيْشٍ ما يُشِيْبُ النَّوَاصِيْ وَيَهُدُّ الصَّيَاصِيْ وهو مَعَ الضَّعْفِ يُصَابِرُ صَبْرَ المُسْتَعْلي وَيَثْبُتُ ثَبَاتَ المُسْتَوْلِي .

والخَصْلَةُ الثَّالِثَةُ : زُهْدُهُ في الدُنْيَا وإِعْرَاضُهُ عَنْهَا وقَنَاعَتُهُ بالبَلاَغ

مِنها فَلَمْ يَمِلْ إلى غضَارَتِها ولَمْ يَلْهَ لِحَلاَوَتِها وقَدْ مَلَكَ مِن أقْصَى الحِجَازِ إلى عِذَارِ العِرَاقِ ومِن أقْصَى اليَمَنِ إلى شَحْرِ عُمَان .

وَهُوَ أزْهَدُ النَّاسِ فِيما يُقْتَنَى ويُدَّخَرُ وأعْرَضهُمْ عَمَّا يُسْتَفَادُ وَيُحْتَكَرُ لَمْ يُخَلِّفْ عَيْناً ولا دَيْنَا ولا حَفَرَ نَهْراً ولاَ شَيَّدَ قَصْراً ولَمْ يُوَرِّثْ وَلَدَهُ وأهْلَهُ مَتَاعاً ولا مَالاً لِيَصْرِفَهُمْ عَنِ الرَّغْبَةِ في الدُنْيَا كَمَا صَرَفَ نَفْسَهُ عَنْها فَيَكُونُوا عَلَىَ مِثْلِ حَالِهِ في الزُّهْدِ فِيْهَا .

وحَقِيْقٌ بِمَنْ كَانَ في الدُنْيَا بِهَذِهِ الزَّهَادَةِ حَتَّى اجْتَذَبَ أَصْحَابَهُ إلَيْهَا أنْ لاَ يُتَّهَمَ بِطَلَبِهَا وَيَكْذِبَ عَلَىَ اللهِ تَعَالَىَ في ادِّعَاءِ الآخِرَةِ ويَقْنَعَ في العَاجِلِ وقَدْ سُلِبَ الآجِلَ بالمَيْسُورِ النَّزْرِ ورَضِيَ بَالعَيْشِ الكَدِرِ .

والخَصْلَةُ الرَّابِعَةُ : تَوَاضُعُهُ لِلنَّاسِ وَهُمْ أتْبَاعٌ وخَفْضُ جَنَاحِهِ لَهُمْ وهُوَ مُطَاعٌ يَمْشِيْ في الأسْوَاقِ ويَجْلِسُ على التُرَابِ ويَمْتَزِجُ بأَصْحَابِهِ وجُلَسَائِهِ فَلاَ يَتَمَيَّزُ عَنْهُمْ إلاَّ بإطْرَاقِهِ وحَيَائِهِ ، فَصَارَ بالتَّوَاضُعِ مُتَمَيِّزاً وبالتَّذَلُّلِ مُتَعَزِّزاً .

ولَقَدْ دَخَلَ عَليهِ بَعْضُ الأعْرَابِ فَارْتَاعَ مِن هَيْبَتِهِ فَقَال خَفِّضْ عَلَيْكَ فإنَّمَا أنَا ابْنُ امْرَأةٍ كانَتْ تَأْكُلَ القَدِيْدَ بِمَكَّةَ وهَذَا مِن شَرفِ أخْلاَقِهِ وكَرِيْمِ شِيَمِهِ فَهِيَ غَرِيْزَةٌ فُطِرَ عَلَيْهَا وَجِبِلَّةٌ طُبِعَ بِهَا لَمْ تَنْدُرْ فَتُعَدَ وَلَمْ تحْصَرْ فَتُحَدْ .

والخَصْلَةُ الخَامِسَةُ : حِلْمُهُ وَوَقَارُهُ عن طَيْشٍ يَهُزُّهُ أوْ خَرقٍ يَسْتَفِزُّهُ فَقَدْ كَانَ أحْلَمَ في النِّفَارِ مِن كُلِّ حَلِيْمٍ وأسْلَمَ في الخِصَامِ مِن كُلِّ سَلِيْمٍ.

وقَدْ مُنِيَ بجَفْوَةِ الأعْرَابِ فَلَمْ يُوْجَدْ مِنْهُ نَادِرَةٌ ولَمْ يُحْفَظْ عَليهِ بَادِرَةٌ ولا حَلِيْمَ غَيْرُهُ إلا ذُوْ عَثْرَةٍ ولا وَقُوْرَ سِوَاهُ إلا ذُوْ هَفْوَةٍ فإنَّ اللهَ

تَعَالَى عَصَمَهُ مِن نَزْعِ الهوَى وطَيْشِ القُدْرَةِ لِهفْوَةٍ أَوْ عَثْرَةٍ لِيَكُونَ بِأُمَّتِهِ رَؤُوْفاً وعلى الخَلْقِ عَطُوْفاً قَدْ تَنَاوَلَتْهُ قُرَيْشٌ بِكُلِّ كَبِيْرَة وقَصَدَتْهُ بِكُلِّ جَرِيْرَةٍ وَهُوَ صَبُورٌ عَلَيْهِمْ وَمُعْرِضٌ عَنْهُم .

وما تَفَرَّدَ بِذَلِكَ سُفَهَاؤُهُمْ عن حُلَمَائِهِم ولا أَرَاذِلُهُمْ دُوْنَ عُظَمَائِهِم بَلْ تَمَالأَ عَلَيْهِ الجُلَّةُ والدُوْنُ ، فَكُلَّمَا كَانُوْا عَلَيْه مِن الأَمْرِ أَلَحَّ ـ كَانَ عَنْهُم أَعْرَضَ وأَصْفَح حَتَّى قَهَرَ فَعفَا ، وقَدِرَ فَغَفَرَ .

(وقالَ لَهُمْ) حِيْنَ ظَفِرَ بِهِمْ عَامَ الفَتْحِ وقَدْ اجْتَمَعُوْا إِلَيْهِ ما ظَنُّكُمْ بِي قالُوا ابْنَ عَمٍّ كَرِيْمٍ فإِنْ تَعْفُ فَذَاكَ الظَّنُ بِكَ وإِنْ تَنْتَقِمْ فقدَ أَسَأْنَا فقال بَلْ أَقولُ كَمَا قَالَ يُوْسُفُ لإِخْوَتِهِ « لا تَثْرِيْبَ عَلَيْكُم اليَوْمَ يَغْفِرُ اللهُ لَكُم وهُوَ أَرْحَمُ الراحمين » .

وقال : اللَّهُمَّ قَدْ أَذَقتَ أَوَّلَ قُرَيْشٍ نَكَالاً فأَذِقْ آخِرَهُمْ نَوَالاً وأَتَتْهُ هِنْدُ بِنْتُ عُتْبَةَ وقَدْ بَقَرَتْ بَطْنَ عَمِّهِ حَمْزَةَ ولاكَتْ كَبْدَهُ فصَفحَ عَنها وأَعْطَاهَا يَدَهُ لِبَيْعَتِهَا .

فإِنْ قِيْلَ فَقَدْ ضَرَبَ رِقَابَ بَنِي قُرَيْظَةَ صَبْراً في يَوْمٍ وَاحِدٍ وَهُمْ نَحْوُ سَبْعُمائَةٍ فأَيْنَ مَوْضِعُ العَفْوِ والصَّفْحِ قِيْلَ إِنَّمَا فَعَلَ ذلكَ في حُقُوْقِ اللهِ تعالى

وقدْ كانَتَ بَنُو قُرَيْظَةَ رَضُوا بتَحْكِيْمِ سَعْدِ بْنِ مُعَاذ عَلَيْهِم فَحَكَمَ أَنَّ مَن جَرَتْ عَلَيه المُوْسَى قُتِلَ وَمَنْ لَمْ تَجْرِ عَلَيْهِ اسْتُرِقَّ فقالَ رسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم : هَذَا حُكْمُ اللهِ مِن فَوْقِ سَبْعَةِ أَرْقِعَةٍ ، فَلَمْ يَجُزْ أَنْ يَعْفُو عن حَقٍ وَجَبَ للهِ تعالى عَلَيْهِمَ وانَّما يَخْتَصُ عَفْوُهُ بحَقِ نَفْسِهِ .

والخَصْلَةُ السَّادِسَةُ : حِفْظُهُ لِلْعَهْدِ وَوَفَاؤُهُ بالوَعْد فَانَّهُ ما نَقَضَ لمُحَافِظِ عَهْداً ولا أَخْلَفَ لِمُرَاقِبٍ وَعْداً يَرَى الغَدْرَ مِن كَبَائِرِ الذُنُوبِ

والإِخْلاَفَ مِن مَسَاوِيءِ الشِّيَمِ فَيَلْتَزِمُ فِيهِمَا الأَغْلَظَ وَيَرْتَكِبُ فِيهِمَا الأَصْعَبَ حِفْظاً لِعَهْدِهِ وَوَفَاءً بوَعْدِهِ حَتَّى يَبْتَدِيءَ مُعَاهِدُوْهُ بنَقْضِهِ فَيَجْعَلِ اللهُ تَعَالَىٰ لَهُ مَخْرَجَا كَفِعْلِ اليَهُودِ مِن بَنِي قُرَيْظَةَ وبَنِي النَّضِيْرِ وكَفِعْلِ قُرَيْشٍ بِصُلْحِ الحُدَيْبِيَةِ فَيَجْعَلُ اللهُ تَعالَىٰ لَهُ في نَكْثِهِمْ الخِيَرَةَ .

فَهَذِهِ سِتُّ خِصَالٍ تَكَامَلَتْ في خُلُقِهِ ، فَضَّلَهُ اللهُ تَعالَىٰ على جَمِيْعِ خَلْقِهِ

وأَما الوَجْهُ الثالِثُ في فَضَائِلِ أَقْوَالِهِ فَمُعْتَبَرٌ بثَمَانِ خِصَال :

(إِحْدَاهُنَّ) : مَا أُوْتِيَ مِن الحِكْمَةِ البَالِغَةِ ، وأُعْطِيَ مِن العُلُومِ الجَمَّةِ البَاهِرَةِ ، وهُوَ أُمِّي مِن أُمَّةٍ أُمِّيَةٍ لَمْ يَقْرأْ كِتَاباً وَلاَ دَرَسَ عِلْماً ولا صَحِبَ عَالِماً ولا مُعَلِّماً فَأَتَى بمَا بَهَرَ العُقُولَ وأَذْهَلَ الفِطَنَ مِن إِتْقَانِ مَا أَبَانَ وإِحْكَامِ ما أَظْهَرَ فلمْ يَعْثُرْ فِيه بِزَلَلٍ في قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ .

وقد شَرَعَ مَنْ تَقَدَّمَ مِنْ حُكَمَاءِ الفَلاَسِفَةِ سُنَناً حَمَلُوْا النَاسَ على التَّدَيُّنِ بِهَا حِيْنَ عَلِمُوْا أَنَّهُ « لا صَلاَحَ لِلْعَالَمِ إلا بِدِيْنٍ يَنْقَادُوْنَ لَهُ ويَعْمَلُونَ بِهِ » فمَا رَاقَ لَهَا أَثَرٌ ولا فَاقَ لَهَا خَبَرٌ .

والخَصْلَةُ الثَّانِيَةُ : حِفْظُهُ لِمَا أَطْلَعَهُ اللهُ تعالى عَلَيْهِ مِن قِصَصِ الأَنْبِيَاءِ مَعَ الأُمَمِ وأَخْبَارِ العَالَمِ في الزَّمَنِ الأَقْدَمِ حَتَّى لَمْ يَعْزُبُ عَنْهُ مِنْهَا صَغِيرٌ ولا كَبِيْرٌ ولا شَذَّ عَنْهُ مِنْهَا قَلِيْلٌ ولا كَثِيْر .

وهُوَ لا يَضْبِطُهَا بكِتَابٍ يَدْرُسُهُ ولا يَحْفَظُهَا بعَيْنٍ تَحْرِسُهُ وما ذَاكَ إلاَّ مِن ذهْنٍ صَحِيْحٍ وصَدْرٍ فَسِيْحٍ وقَلْبٍ شَرِيْحٍ وهذِهِ الثلاثَةُ آلَةُ مَا اسْتُودِعَ مِن الرِّسَالَةِ وحُمِّلَ مِن أَعْبَاءِ النُبُوَّةِ فَجَدِيْرٌ أَنْ يَكُونَ بِهَا مَبْعُوثاً وعلى القِيَامِ بِهَا مَحْثُوْثاً .

والخَصْلَةُ الثَّالِثَةُ : إحْكَامُهُ لِما شَرَعَ بأَظْهَرِ دَلِيْل وَبَيَانُهُ بأَوْضَحِ تَعْلِيْلٍ حَتَّى لَمْ يَخْرُجْ مِنْهُ مَا يُوْجِبُهُ مَعْقُولٌ ولا دَخَلَ فِيهِ ما تَدْفَعُهُ العُقُولُ.

ولِذَلِكَ قال صلى اللهُ عليه وسلم « أُوْتِيْتُ جَوَامِعَ الكَلِمِ واخْتُصِرَتْ لِي الحِكْمَةُ اخْتِصَاراً » لأَنَّهُ نَبَّهَ بالقَلِيْلِ عَلى الكَثِيْرِ فكَفَّ عن الاطالةِ وكَشَفَ عن الجَهَالَةِ وما تَيَسَّرَ ذَلِكَ إلا وَهُوَ عَلَيْه مُعَانٌ وإليه مُقَادٌ .

والخَصْلَةُ الرابعةُ : مَا أَمَر بِهِ مِن مَحَاسِنِ الأَخْلاَقِ وَدَعَا إليه مِن مُسْتَحْسَنِ الآدَابِ وَحَثَّ عَلَيْهِ مِن صِلَةِ الأَرْحَامِ ونَدَبَ إليه مِن التَّعَطُّفِ على الضُعَفاءِ والأَيْتَامِ .

ثُمَّ مَا نَهَى عَنَهُ مِن التَّبَاغُضِ والتَّحَاسُدِ وكَفَّ عَنْهُ مِن التَّقَاطُعِ والتَّبَاعُدِ لِتَكُونَ الفَضَائِلُ فِيْهِم أَكْثَرَ ومَحَاسِنُ الأَخْلاقِ بَيْنَهُم أَنْشَرَ ، ومُسْتَحْسَنُ الآدَابِ عَلَيْهِم أَظْهَرَ وتكونُ إلى الخَيْرِ أَسْرَعَ ومِن الشَّرِ أَمْنَعَ .

فَيَتَحقَّقُ فِيْهِم قَوْلُ اللهِ تَعَالَى « كُنْتُم خَيْرَ أمةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُوْنَ بالمَعْرُوْفِ وتَنْهَوْنَ عن المُنْكَرِ » فَلَزِمُوْا أَمْرَهُ واتَّقَوْا زَوَاجِرَهُ فَتَكَامَلَ بِهِم صَلاحُ دِيْنِهِم وَدُنْيَاهُمْ حَتَّى عَزَّ بِهم الاسلامُ بَعْدَ ضَعْفِهِ وَذَلَّ بِهِمُ الشِرْكُ بَعْدَ عِزِّهِ فَصَارُوْا أئمةً أَبْرَاراً وَقَادَةً أَخْيَاراً .

والخَصْلَةُ الخَامِسَةُ : وُضُوحُ جَوَابِهِ إذَا سُئِلَ وظُهُوْرُ حِجَاجِهِ إذَا جَادَلَ لا يَحْصُرُهُ عَيٌ ولا يَقْطَعُهُ عَجْزٌ ولا يُعَارِضُهُ خَصْمٌ في جِدَالٍ إلا كَانَ جَوَابُهُ أَوْضَحَ وحِجَاجُهُ أَرْجَحَ .

والخَصْلَةُ السادِسَةُ : أَنَّهُ مَحْفُوظُ اللسانِ مِن تَحْرِيْفٍ في قولٍ واسْتِرْسَال في خَبَرٍ يَكُونُ إلى الكَذِبِ مَنْسُوبًا ولِلصِّدْقِ مُجَانِبًا فإنَّهُ لَمْ يَزَلْ مَشْهُوراً

بالصِّدْق في خَبَرِهِ فَاشِياً وكَثِيراً حَتَّى صَارَ بالصِّدْق مَرْقُوْماً وبالأَمَانَةِ مَرْسُوماً .

وكانَتْ قُرَيْش بأَسْرِهَا تَتَيَقَّنُ صِدْقَهُ قَبْـلَ الإسلامِ فَجَهَرُوا بتَكْذِيْبِهِ في اسْتِدْعائِهِم إليه فمِنْهُم مَنْ كَذَّبَهُ حَسَداً ومِنهُم مَنْ كَذَّبَهُ عِناداً ومِنْهُمْ مَنْ كَذَّبَهُ اسْتِبْعَاداً أَنْ يَكُونَ نَبِياً أَوْ رَسُوْلاً .

ولَوْ حَفِظُوا عَلَيْهِ كِذْبَةً نَادِرَةً في غَيْرِ الرِّسَالَةِ لَجَعَلُوهَا دَلِيْلاً على تَكْذِيْبِهِ في الرِّسَالَةِ ، ومَنْ لَزِمَ الصِّدْقَ في صِغَرِهِ كانَ لَهُ في الكِبَرِ أَلْزَمَ ومَنْ عُصِمَ مِنْهُ في حَقِّ نَفْسِهِ كانَ في حُقُوقِ اللهِ تعالى أَعْصَمُ وحَسْبُكَ بِهَذَا دَفْعاً لِجَاحِدٍ ورَداً لِمُعَانِدٍ .

والخَصْلَةُ السابِعَةُ : تَحْرِيْرُ كَلاَمِهِ في التَّوَخِّي بهِ إبَانَ حَاجَتِهِ والاقْتِصَارِ مِنْهُ عَلَى قَدْرِ كِفَايَتِهِ فلا يَسْتَرْسِلُ فيهِ هَذْراً ولا يُحْجِمُ عَنْهُ حُصْراً وهُوَ فِيْمَا عَدَا . حَالَتَيْ الحَاجَةِ والكِفَايَةِ أَجْمَل الناسِ صَمْتاً وأَحْسَنَهُمْ سَمْتاً .

ولِذَلِكَ حُفِظَ كَلاَمُهُ حَتَّى لَمْ يَخْتَلْ وظَهَرَ رَوْنَقُهُ حَتَّى لم يَعْتَلْ واسْتَعْذَبَتْهُ الأَفْوَاهُ حَتَّى بَقِيَ مَحْفُوظَا في القُلُوب مُدَوَّناً في الكُتُبِ فَلَنْ يَسْلَمِ الإِكْثَارُ مِن الزَّلَلِ ولا الْهَذْرُ مِن المَلَلِ .

والخَصْلَةُ الثَّامِنَةُ : أَنَّهُ أَفْصَح الناسِ لِسَاناً وأَوْضَحهُمْ بَيَاناً وأَوْجزهُمْ كَلاَماً وأَجْزلهُمْ أَلْفَاظاً وأَصَحَّهُمْ مَعَانِي لا يَظْهَرُ فِيهِ هُجْنَةُ التَّكَلُّفِ ولا يَتَخَلَّلُهُ فَيْهَقَةُ التَّعَسُّفِ .

وقَدْ دُوِّنَ كَثِيْرٌ مِن جَوَامِعِ كَلِمِهِ ومِن كَلاَمِهِ الذي لايُشَاكَلُ في فَصَاحَتِهِ وبَلاَغَتِهِ وَمَعَ ذلكَ فَلاَ يَأْتِي عَلَيْهِ إِحْصَاءٌ ولا يَبْلُغُهُ اسْتِقْصَاءٌ .

وَلَوْ مُزِجَ كَلامُهُ بِغَيْرِهِ لَتَمَيَّزَ بِأُسْلُوبِهِ ولَظَهَرَ فِيه آثارُ التَّنافُرِ فَلَمْ يَلْتَبِسْ حَقُّهُ مِنْ بَاطِلِهِ ولَبَانَ صِدْقُهُ مِنْ كَذِبِهِ هَذَا ولَمْ يَكُنْ مُتَعَاطِياً لِلْبَلاَغَةِ ولا مُخَالِطاً لأَهْلِهَا مِنْ خُطَبَاءَ أَوْ شعراءَ أَوْ فُصَحَاءَ وَإِنَّمَا هُوَ مِنْ غَرَائِزِ طَبْعِهِ وَبِدَايَةِ جِبِلَّتِهِ ومَاذَاكَ إلاَّ لِغَايَةِ تُرَادُ وحَادِثَةٍ تُشَادُ .

وأَمَّا الوَجْهُ الرَّابِعُ في فَضَائِلِ أَفْعَالِهِ فَمُخْتَبَرٌ بِثَمَانِ خِصَال :

(احْدَاهُنَّ) حُسْنُ سِيْرَتِهِ وَصِحَّةُ سِيَاسَتِهِ في دِيْنٍ نَقَلَ بِهِ الأُمَّةَ عن مَأْلُوفٍ وَصَرَفَهُمْ بِهِ عن مَعْرُوْفٍ إلى غيرِ مَعْرُوْفٍ فَأَذْعَنَتْ بِهِ النُفُوسُ طَوْعاً وانْقَادَتْ خَوْفاً وطَمَعاً وشَدِيْدِ عَادَةٍ مُنْتَزَعَةٍ إلا لِمَنْ كانَ مَعَ التَّأْيِيْدِ الإلَهِي مُعَاناً بِحَزْمٍ صَائِبٍ وعَزْمٍ ثَاقِبٍ .

وحَسْبُكَ بِمَا اسْتَقَرَّتْ قَوَاعِدُهُ عَلَى الأَبَدِ حَتَّى انْتَقَلَ عن سَلَفٍ إلى خَلَفٍ يَزْدَادُ فِيْهِمِ حَلاَوَتُهُ ويَشْتَدُّ فِيهِمِ جِدَّتُهُ وَيَرَوْنَهُ نِظاماً لأَعْصَارٍ تَنْقَلِبُ صُرُوْفُهَا ويَخْتَلِفُ مَأْلُوفُهَا أَنْ يكُونَ لِمَنَ قَامَ بِهِ برُهَاناً ولِمَنْ ارْتَابَ بِهِ بَيَانَا .

والخَصْلَةُ الثَّانِيَةُ : أَنَّه جَمَعَ بَيْنَ رَغْبَةِ مَنْ استمال وَرَهْبَةِ مَنْ اسْتَطاعَ حَتَّى اجْتَمَعَ الفَرِيْقَانِ على نُصْرَتِهِ وقَامُوْا بحُقُوقِ دَعْوَتِهِ رَغْباً في عَاجِلٍ وَآجِلٍ وَرَهَباً مِن زَائِلٍ ونَازِلٍ ، لاخْتِلافِ الشِّيَمِ والطِّبَاعِ في الانقِيَادِ الذِي لا يَنْتَظِم بِأَحَدِهِمَا ولا يَسْتَدِيْمُ إلاَّ بِهِمَا فَلِذَلِكَ صَارَ الدِّيْنُ بِهِمَا مُسْتَقِراً والصَّلاحُ بِهِمَا مُسْتَمِراً .

والخَصْلَةُ الثَّالِثَةُ : أَنَّهُ عَدَلَ فِيْمَا شَرَعَهُ مِن الدِّيْن عن الغُلُوِّ والتَّقْصِيْرِ إلى التَّوَسُّطِ وَخَيْرُ الأُمُوْرِ أَوْسَاطُهَا ولَيْسَ لِمَا جَاوَزَ العَدْلَ حَظٌ مِن رُشْد ولا نَصِيْبٌ مِن سَدَادٍ .

والْخَصْلَةُ الرَّابِعَةُ : أَنَّهُ لَمْ يَمِلْ بأَصْحَابِهِ إلى الدُّنْيَا وَلاَ إِلىَ رَفْضِهَا وَأَمدَّهُمْ فِيهَا بالاعْتِدَالِ ، وقال : « خَيْرُكُمْ مِنْ لَمْ يَتْرُكْ دُنْيَاهُ لآخِرَتِهِ ولا آخِرَتهُ لِدُنْيَاهُ ولَكِنْ خَيْرُكُم مَنْ أَخَذَ مِن هَذِهِ وَهَذِهِ » وهَذَا صَحِيْحٌ لأَنَّ الانْقِطَاعَ إلى أَحَدِهِمَا اخْتِلاَلٌ والجَمْعَ بَيْنَهُمَا اعْتِدَالٌ .

وقال صَلَّى اللهُ عليه وسلم « نِعْمَ المَطِيَّةُ الدُّنْيَا فارْتَحِلُوْهَا تُبَلِّغُكُمُ الآخِرَةَ » وإِنَّما كَانَ كَذَلِكَ لأَنَّ مِنْهَا يَتَزَوَّدُ لآخِرَتِهِ . ويَسْتَكْثِرُ فِيْهَا مِن طَاعَتِهِ وأَنَّهُ لا يَخْلُو تَارِكُهَا مِن أَنْ يَكُونَ مَحْرُوْماً مُضَاعاً أَوْ مَرْحُوْماً مُرَاعَى وهُوَ فِي الأَوَّلِ كَلٌّ وفي الثَّانِي مُسْتَذَلٌّ .

والخَصْلَةُ الخَامِسَةُ : تَصَدِّيْهِ لِمَعَالِمِ الدِّيْنِ ونَوَازِلِ الأَحْكَامِ حَتَّى أَوْضَحَ لِلأُمَّةِ ما كُلِّفُوْهُ مِن العِبَادَاتِ وَبَيَّنَ لَهُمْ مَا يَحِلُّ وَمَا يَحْرُمُ مِن مُبَاحَاتٍ ومَحْظُوْرَاتٍ وفَصَّلَ لَهُمْ مَا يَجُوز ويَمْتَنِعُ مِن عُقُودٍ ومَنَاكِحَ ومُعَامَلاَتٍ .

حَتَّى احْتَاجَ أَهْلُ الكِتَابِ فِيْ كَثِيْرٍ مِن مُعَامَلاتِهِمْ وَمَوَارِيْثِهِمْ لِشَرْعِهِ ولَمْ يَحْتَجْ شَرْعُهُ إلى شَرْعِ غيرِهِ ثُمَّ مَهَّدَ لِشَرْعِهِ أُصُولاً تَدُلُّ على الحَوَادِثِ المُغْفَلَةِ وَيُسْتَنْبَطُ لهَا الأَحْكَامُ المعَلَّلَةُ فأَغْنَى عن نَصٍّ بَعْدَ ارْتِفَاعِهِ وَعَنِ التِبَاسٍ بَعْدَ اغْفَالِهِ ثُمَّ أَمَرَ الشَّاهِدَ أَنْ يُبَلِّغَ الغَائِبَ لِيَعْلَمَ بإِنْذَارِهِ وَيَحْتَجَّ بإِظْهَارِهِ فقال صلى اللهُ عليه وسلم « بَلِّغُوْا عَنِّيْ ولا تَكْذِبُوْا عليَّ فَرُبَّ مُبَلَّغٍ أَوْعَى مِن سَامِعٍ وَرُبَّ حَامِلِ فِقْه إلى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ » .

فأَحْكَمَ مَا شَرَعَ مِن نَصٍّ أَوْ تَنْبِيْهٍ وَعَمَّ بِمَا أَمَرَ مِن حَاضِرٍ وبَعِيْدٍ حَتَّى صَارَ لِمَا تَحَمَّلَهُ مِن الشَّرْعِ مُؤَدِّياً ولِمَا تَقَلَّدَهُ مِن حُقُوقِ الأُمَّةِ مُوفِياً لِئَلاَ يَكُونَ في حُقُوقِ اللهِ زَلَلٌ وذَلِكَ في بُرْهَةٍ مِنْ زَمَانِهِ لَمْ يَسْتَوْفِ تَطَاوُلَ الاسْتِيْعَابِ حَتَّى أَوْجَزَ وَأَنْجَزَ وَمَا ذاكَ إلا بَدِيْعٌ مُعْجِز .

والخَصْلَةُ السَّادِسَةُ : انتِصَابُهُ لِجِهَادِ الأَعْدَاءِ وَقَدْ أَحَاطُوْا بِجِهَاتِهِ وَأَحْدَقُوْا بِجَنَبَاتِهِ وهُوَ في قُطْبٍ مَهْجُوْرٍ . وَعَدَدٍ مَحْقُورٍ فَزَادَ بِهِ مَنْ قَلَّ وعَزَّ بِهِ مَنْ ذَلَّ وَصَارَ بِإِثْخَانِهِ في الأَعْدَاءِ مَحْذُوْراً وبالرُّعْبِ مِنْهُ مَنْصُوْراً فَجَمَعَ بَيْنَ التَّصَدِيْ لِشَرْعِ الدِّيْنِ حَتَّى ظَهَرَ وانْتَشَرَ وَبَيْنَ الانْتِصَابِ لِجِهَادِ العَدُوِّ حَتَّى قَهَرَ وانْتَصَرَ والجَمْعُ بَيْنَهُمَا مُعْوِزٌ إلاَّ لِمَنْ أَمَدَّهُ اللهُ بِمَعُوْنَتِهِ وأَيَّدَهُ بِلُطْفِهِ والمُعْوِزُ مُعْجِزٌ .

والخَصْلَةُ السَّابِعَةُ : مَا خُصَّ بِهِ مِن الشَّجَاعَةِ فِي حُرُوْبِهِ والنُّجْدَةِ في مُصَابَرَةِ عَدُوِّهِ فإِنَّهُ لَمْ يَشْهَدْ حَرْباً في فِزَاعٍ إلا صَابِرٌ حَتَّى انْجَلَتْ عن ظَفَرٍ أَوْ دِفَاعٍ وهُوَ في مَوْقفه لم يزل عنه هربا ولا حاز فيه رغبا .

بَلْ ثَبَتَ بِقَلْبٍ آمِنٍ وَجَأْشٍ سَاكِنٍ قَدْ وَلَّى عَنْهُ أَصْحَابُهُ يَوْمَ حُنَيْنٍ حَتَّى بَقِيَ بِإِزَاءِ جَمْعٍ كَثِيْرٍ وَجَمٍ غَفِيْرٍ في تِسْعَةٍ مِن أَهْلِ بَيْتِهِ وأَصْحَابِهِ على بَغْلَةٍ مَسْبُوْقَةٍ إنْ طُلِبَتْ غيرَ مُسْتَعِدَّةٍ لِهَرَبٍ ولا طَلَبٍ وهُوَ يُنَادِيْ أَصْحَابَهُ وَيُظْهِرُ نَفْسَهُ وَيقُولُ إِليَّ عِبَادَ اللهِ « أَنَا النَّبِيُّ لا كَذِبْ أَنَا ابْنُ عَبْدِ المُطَلِبْ » فَعَادُوْا أَشْذَاذاً وَأَرْسَالاً وهَوَازِنُ تَرَاهُ وتُحْجِمُ عَنْهُ فَمَا هَابَ حَرْبَ مِنْ كَاثِرَةٍ ولا انْكفأَ عن مصاولة من صابره .

وقَدْ عَضَدَهُ اللهُ تَعَالَى بِأَنْجَادٍ وأَنْجَادٍ فانْحَازُوْا وَصَبَرَ حَتَّى أَمَدَّهُ اللهُ بِنَصْرِهِ وَمَا لِهَذِهِ الشَجَاعَةِ مِن عَدِيْلٍ ولَقَدْ طَرَقَ المَدِيْنَةَ فَزَعٌ فانْطَلَقَ النَّاسُ فتَلَقَوْهُ نَحْوَ الصَّوْتِ فوَجَدُوْا رَسُولَ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم قَدْ سَبَقَهُمْ إِلَيْهِ فَتَلَقَوْهُ عَائِداً على فَرَسٍ عُرِيٍ لأَبِي طَلْحَةَ الأَنْصَارِي وعَلَيهِ السَّيْفُ فَجَعَلَ يَقُولُ أَيُّهَا النَّاسُ لَمْ تُرَاعُوْا لَمْ تُرَاعُوا ثُمَّ قالَ لِأَبِي طَلْحَةَ إِنَّا وَجَدْنَا بَحْراً وكانَ الفَرَسُ يُبْطِيءُ فَمَا سَبَقَهُ فَرَسٌ بَعْدَ ذَلِكَ .

وما ذَاكَ إلا عَنْ ثِقَةٍ مِن أَنَّ اللهَ تَعَالَى سَيَنْصُرُهُ وأَنَّ دِيْنَهُ سَيُظْهِرهُ تَحْقِيْقاً لِقَوْلِهِ تعالى « لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِيْنِ كُلِّهِ » وتَصْدَيْقاً لِقَولِ رَسُولِهِ صلى اللهُ عليه وسلم « زُويَتْ لِي الأَرْضُ فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا ومَغَارِبَهَا وسَيَبْلُغُ مُلْكُ أُمَّتِيْ مَا زُوِيَ لِيْ مِنْهَا » وكَفَى بَهَذَا قِيَاماً بِحَقِّهِ وشاهِداً على صِدْقِهِ .

والخَصْلَةُ الثَامِنَةُ : ما مُنِحَ مِنَ السَّخَاء والجُوْدِ حَتَّى جَادَ بكُلِّ مَوْجُود وآثَرَ بِكُلِّ مَطْلُوبٍ ومَحْبُوبٍ ومَاتَ وَدِرْعُهُ مَرْهُوْنَةٌ عِنْدَ يَهُوْدِي على آصُعٍ مِن شَعِيْرٍ لِطَعَامِ أَهْلِهِ .

وقدْ مَلكَ جَزِيْرَةَ العَرَبِ وكانَ فِيْهَا مُلُوكٌ وأَقْيَالٌ لَهُمْ خَزَائِنٌ وأَمْوَالٌ يَقْتَنُوْنَهَا ذُخراً ويَتَبَاهَوْنَ بِهَا فَخَرَاً ويَسْتَمْتِعُوْنَ بِهَا أَشَرَاً وبَطَراً وقَدْ حَازَ مُلْكَ جَمِيْعِهِمْ فَمَا اقْتَنَى دِيْنَاراً ولا دِرْهَماً لاَيَأْكُلُ إلا الخَشِنَ ولا يَلْبَسُ إلا الخَشِنَ .

ويُعْطِيْ الجَزْلَ الخَطِيْرَ وَيَصِلُ الجَمَّ الغَفِيرَ ويَتَجَرَّعُ مَرَارَةَ الإقْلاَلِ ويَصْبِرُ عَلَى سَغَبِ الإخْتِلاَلِ وكانَ يَقُولُ « أَنَا أَوْلَى بِالمُؤْمِنِيْنَ مِنْأَنْفسِهِم فَمَنْ تَرَكَ دَيْناً أَوْ ضَيَاعاً فَعَلَيَّ وَمَنْ تَرَكَ مَالاً فلورَثَتِهِ » فَهَلْ مِثْلَ هَذَا الكَرَمِ والجُوْدِ كَرَمٌ وَجُوْدٌ أَمْ هَلْ لِمِثْلِ هَذَا الإعْرَاضِ والزَّهَادَةِ إعْرَاضٌ وزُهْدٌ هَيْهَاتَ .

هَلْ يُدْرَكُ شَأْوُ مَنْ هَذِهِ شُذُوْرٌ مِن فَضَائِلِهِ وَيَسِيْرٌ مِن مَحَاسِنِهِ التِي لا يُحْصَى لَهَا عَدَداً ولا يُدْرَكُ لَهَا أَمَدَاً لَمْ تكْمُلْ فِي غيرهِ فيُسَاوِيْهِ ولا كَذَّبَ بِهَا ضِدٌ يُنَاوِيْهِ وَلَقَدْ جَهِدَ كلُ مُنَافِقٍ ومُعَانِدٍ وكَلُ زِنْدِيْقٍ وَمُلْحِدٍ أَنْ يُزْرِيَ عَلَيْهِ فِي قَوْلٍ أَوْ فِعْلٍ .

أَوْ يَظْفَرُ بهَفْوةٍ في جِدٍ أَوْ هَزلٍ فَلَمْ يَجِدْ إليْهِ سَبِيْلاً وَقَدْ جَهِدَ جُهْدَهُ وَجَمعَ كَيْدَهُ .

فأَيُّ فَضْلٍ أَعْظَمُ مِن فَضْلٍ شَاهَدَه الحَسَدَةُ والاعْدَاءُ فَلَمْ يَجِدُوْا فِيْهِ مَغْمَزاً لِثَالِبٍ أَوْ قَادِحٍ ولاَ مَطْعَناً لِجَارِحٍ أَوْ فَاضِحٍ فهُوَ كَمَا قال الشَّاعِر :

شَهِدَ الأَنَامُ بِفَضْلِهِ حَتَّى العِدَا   والفَضْلُ مَا شَهِدَتْ بِهِ الأَعْدَاءُ

وبالجُمْلَةِ فآيَةُ أَخْلاَقِهِ صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيهِ آيةٌ كُبْرَى وَعَلَمٌ مِنْ أَعْلاَمِ نُبُوَّتِهِ العُظْمَى وقَدْ أَجْمَلَهَا بَعْضُهُمْ بقَوْلِهِ وَآيةٌ أُخْرَى لا يَعْرِفُهَا إلا الخَاصَّةُ وَمَتَى ذُكِرَتْ الخَاصَّةُ فالعَامَةِ في ذلكَ مِثْلُ الخاصَةِ .

وهِيَ الأَخْلاقُ والأَفْعَالُ التي لَمْ تَجْتَمِعْ لِبَشَرٍ قطُّ قَبْلَهُ ولا تَجْتَمِعُ لِبَشَرٍ بَعْدَهُ وَذَلِكَ أَنَّا لَمْ نَرَ وَلَمْ نَسْمَعْ لأَحَدٍ قطُّ كَصَبْرِهِ ولا كَحِلْمِهِ ولا كَوَفَائِهِ ولا كَزُهْدِهِ ولا كَجُوْدِهِ ولا كَنُجْدَتِهِ ولا كَصِدْقِ لَهْجَتِهِ ولا كَكَرَمِ عِشْرَتِهِ ولا كَتَوَاضُعِهِ ولا كَحِفْظِهِ ولا كَصَمْتِهِ أيْ إذا صَمَتَ ولا كَقولِهِ إذا قَالَ ولا كَعَجِيْبِ مَنْشَئِهِ ولا كَعَفْوِهِ ولا كَدَوَامِ طَرِيْقَتِهِ وقِلَّةِ امْتِنَانِهِ .

وَلَمْ تَجِدْ شُجَاعاً قَطُّ إلاَّ وَقَدْ جَالَ جَوْلَةً وَفَرَّ فَرَّةً وانْحَازَ مَرَّةً ولا يَسْتَطِيْعُ مُنَافِقٌ ولا زِنْدِيْقٌ ولا دَهْرِيٌّ أَنْ يُحَدِّثَ أَنَّهُ صَلى اللهُ عليه وسلم جَالَ جَوْلةً قطُّ ولا فَرَّ فَرَّةً قطُّ ولا حَامَ عَنْ غَزْوَةٍ ولا هَابَ حَرْباً مِنْ مُكَاثَرَة.

وذَلِكَ مِن أَعْجَبَ مَا آتَاهُ اللهُ نَبِياً قَطُّ مَعَ سَائِرِ مَا جَاءَ بِهِ مِنَ الآياتِ ومِن ضُرُوْبِ البُرْهَانَاتِ إذْ أَعْدَاؤُهُ جَمٌّ غَفِيْرٌ وجَمْعُهُمْ كَثِيْرٌ فخَصَمَهُمْ حِيْنَ جَادَلُوهُ وصَابَرَهُمْ حِيْنَ عَانَدُوْهُ وكابَدَ مِنَ الشَّدائِدِ مَا لَمْ يَثْبُتْ عَلَيْهَا إلا كُلُّ مَعْصُومٍ ولَمْ يَسْلَمْ مِنْهَا إلا مَنْصُوْرٌ إلى أَنْ عَلَتْ كَلِمَتُهُ وظَهَرَتْ دَعْوَتُهُ .

وكُلُّ هَذِهِ آيَاتٌ تُنْذِرُ بالحَقِّ وتُلاَئِمُ الصِّدْقَ . لأَنَّ اللهَ لاَيَهْدِيْ كَيْدَ الخَائِنِيْن ولا يُصْلِحُ عَمَلَ المُفسِدِيْن ، انتهى كلامه .

اللّهُمَّ اسلُكْ بنا مَنَاهِجَ السّلامةِ وعَافِنَا مِن مُوْجِبَاتِ الحَسْرَةِ والنَّدَامَةِ وَوَفِّقْنَا للاستِعْدَادِ لِمَا وَعَدْتَنَا وأدِمْ لَنَا إحْسَانَكَ ولُطْفَكَ كَمَا عَوَّدْتَنَا واتْمِمْ عَلَيْنَا مَا بِهِ أكْرَمْتَنَا بَرَحْمَتِكَ يَا أرْحَمَ الراحِمين وصلى اللهُ على محمد وعلى آلِهِ وصحبه أجمعين .

« قصيدة في غربة الاسلام واهمال نصره »
« ممن ينتسب اليـــه »

لَهْفِي عَلَى الْإِسْلامِ مِنْ أشْيَاعِهِ ... لَهْفِي عَلَى القُرآنِ والإيْمَـــانِ

لَهْفِي عَلَيْـــهِ تَنكَّرَتْ أعْلامُـــهُ ... إلا عَلَى الخِرِّيْتِ فِي ذَا الشَّـــانِ

لَهْفِي عَلَيْـــهِ أصْبَحَتْ أنْـــوَارُهُ ... مَحْجُـــوْبَةً عَن سَـــالِكٍ حَـــيْرَانِ

لَهَفِي عَلَيْه أصْبَحَتْ أنْصَارُهُ ... فِي قِـــلَّةٍ فِي هَـــذِهِ الأزْمَـــانِ

لَهَفِيْ عَليهِ أهْـــلُهُ فِي غُرْبَةٍ ... أضْحَوْا وَهُمْ فِي الأهْـــلِ والأوْطَانِ

لَهَفِيْ عَلَيْهِمْ أصْبَحُوا في ضَيْعَةٍ ... أنْوَارُهُمْ تَخْفَى عَـــلى العُمْيَـــانِ

لَهَفِيْ عَلَيْهِمْ كَمْ لَنَا قَدْ أخْلَصُوْا ... في النُّصْحِ لَوْ كَانَتْ لَنَـــا أذْنَانِ

لَهَفِيْ عَلَى مَنْ يَجْلِبُونَ عَلَيْهِمُوْا ... بالنُّصْحِ كُلَّ أذىً وَكُلَّ هَـــوَانِ

لَهَفِي عَلَى مَنْ هُمْ مَصَابِيْحُ الهُدَى ... مَا بَيْنَنَا لَـــوْ تُبْصِـــرُ العَيْنَـــانِ

لَهَفِيْ عَلَيْهِم أوْجِـــدُوْا فِي أُمَّةٍ ... قَنِعَتْ مِن الْإِسْلَامِ بالعُنْوَانِ

لاَ يُعْرَفُ الْمَعْرُوْفُ فِيْمَا بَيْنَنَـــا ... والنُّكْرُ مَـــأْلُوفٌ بِلاَ نُكْرَانِ

خَذَلَتْ ذَوِيْ النُّصْحِ الصَّحِيْحِ وَأصْبَحَتْ ... عَـــوْناً لِكُلِّ مُضَـــلِّلٍ فَتَّـــانِ

يَا وَيْحَ قَـــوْمٍ لاَ يُمَيِّزُ جُلُّهُمْ ... ذَا الْحَقِّ مِن ذِيْ دَعْوَةِ البُطْـــلانِ

فَتَصَدَّرَ الجُهَّـــالُ والضُّلَّالُ فِيْـ ... ـهِمْ بادِعَـــاءِ العِلْمِ والْعِرْفَانِ

مِنْ كُلِّ مَنْ يَخْتَالُ فِي فَضَاضِهِ ... فَـــدْمٌ ثَقِيْلٌ وَاسِـــعُ الأرْدَانِ

مُتَقَمِّشٌ مِن هَذِهِ الأَوْضَاعِ والـ ... آرَاء إمَّعَـةٌ بـلاَ فُـرْقَـان

يُبْدِيْ التَّمَشْدُقَ في المَحَافِلِ كَيْ يُرَى ... لِلْنَاسِ ذَا عِـلْمٍ وَذَا إِتْقَان

تَباً لَهُ مِن جَاهِـلٍ مُتَعَالِمٍ ... مُتَسَلِّطٍ بِوِلاَيَةِ السُّــلْطَان

رَفَعَتْ خَسِيْسَتَهُ الْمَنَاصِبُ فازْدَرَى ... أَهْـلَ الهُـدَى والعِلْمِ والإِيْمَان

لَيْسَ التَّرَفُّعُ بالْمَنَاصِبِ رِفْعَـةً ... بِالعِلْمِ والتَّقْـوَى عُلُوُّ الشَّان

تَرَكَ الْمَنَابِرَ مَنْ يَقُوْمُ بِحَقِّهَـا ... مِنْ كُلِّ ذِي لَسْنٍ وَذِيْ عِرْفَـان

وَنَزَا عَلَيْهَـا سَفْلَةٌ يَـا لَيْتَهُمْ ... قَدْ أُدْرِجُوْا مِنْ قَبْلُ فِي الأَكْفَـان

خَطَبُوْا التَّفَرُّقَ فَوْقَهَـا ولَطَالَمَا ... خُطِبَتْ عَلَيْهَـا إِلْفَـةُ الإِخْـوَان

كَمْ يـأْمُرُوْنَ بِمُحْدَثَات فَوْقَهَـا ... تَقْضِيْ عَـلى سُنَنٍ سُنِنَّ حِسَان

تَبْكِيْ الْمَنَابِرُ مِنْهُمُوْا وَتَوَدُّ لَـوْ ... تَنْـدَكُّ تَحْتَهُمُـوْا إلى الأَرْكَان

مَا عِنْدَهُمْ بالأَمْـرِ الأَوَّلِ خِبْرَةٌ ... بَلْ نَقْـلُ آرَاءٍ أَوْ اسْتِحْسَان

ثَكِلَتْهُمُ الأَبْـاءُ إِنَّ حَيَاتَهُمْ ... مَـوْتٌ لِسُنَّةِ خَـاتَمِ الأَدْيَان

جَهِلُوْا كِتَابَ اللهِ وَهْوَ نَجَاتُهُمْ ... وَهُـدَى النَّبِيِ مُبَيِّنِ القُرْآنِ

وَجَفَوْا مَنَاهِجَ خَيْرِ أَسْلاَفٍ لَهُمْ ... فِي العِلْمِ والتَّقْوَى وَفِي الإِتْقَان

لاَ يَرْجِعُـوْنَ لآيَـةٍ أَوْ سُنَّـةٍ ... أَوْ سِيْرَةِ المَاضِيْنَ بالإِحْسَان

بَلْ يَرْجِعُونَ لِرَأْيِ مَنْ أَلْقَوْا لَهُمْ ... بِأَزِمَّةِ التَّقْلِيْـدِ والأَرْسَـان

وَكَذاكَ يَرْجِعُ مَنْ تَصَوَّفَ فِيْهِمُوْا ... لِلْـذَّوْقِ أَوْ لِتَخَيُّلٍ شَيْطَـانِي

فَالأَوَّلُونَ أَتَوْا بِأَحْكَامٍ لَنَـا ... فِيْهَـا مُخَـالِفُ سُنَّةٍ وَقُـرَان

وَالآخِرُوْنَ أَتَـوْا لَنَـا بِطَرَائِـق ... غَيْرِ الطَّرِيْقِ الأَقْـوَمِ القُرْآنِي

وَمُحَصَّلُ الطُّرقِ الَّتِي جَاءُوْا بِهَا ... أَوْضَاعُ سُوْءٍ رَدَّهَـا الـوَحْيَان

وكَذَا رُؤُسُهُمُ الطَّغَـاةُ فَانَّهُمْ ... لَمْ يَرْفَعُوْا رَأْساً بِـذَا الفُرْقَـان

مَا حَكَّمُوْا فِيْهِمْ شَرَائِعَ دِيْنِهِمْ ... والعَـدْلُ فِيْهَا قَـائِمُ الأَرْكَـان

بَلْ حَكَّمُوْا في النَّاسِ آراءً لَهُمْ ... مِنْ وَحْيِ شَيْطَانٍ أَخِيْ طُغْيَانِ

وَيْحَ الشَّرِيعَةِ مِنْ مَشَايِخِ جُبَّةٍ ... واللَّابِسِيْنَ لَنَا مُسُوْكَ الضَّانِ

غَرُّوا الوَرَى بالزِّيِّ وَالسَّمْتِ الذِي ... يُخْفِيْ مَخَازِيْ الجَهْلِ والعِصْيَانِ

وَرُؤُسِ سُوْءٍ لاَ اهْتِمامَ بِهِمْ بِدِيْـ ... ـنٍ قَامَ أَوْ قَدْ خَرَّ لِلأَذْقَانِ

وَلَرُبَّمَا أَبْدَوْا عِنَايَتَهُمْ بِهِ ... بِسِيَاسَةٍ تَخْفَى على الإِنْسَانِ

تَعْساً لِمَنْ أَضْحَى يُتَابِعُ قَوْلَ مَنْ ... بَخَسَ الهُدَى وَمَزِيَّةَ الأَذْهَانِ

تَرَكُوْا هِدَايَةَ رَبِّهِمْ وَرَسُوْلِهِمْ ... هَذَا وَرَبِّكَ غَايَةُ الخِذْلاَنِ

حُرِمُوْا هِدَايَةَ دِيْنِهِمْ وَعُقُوْلِهِمْ ... هَذَا وَرَبِّكَ غَايَةُ الخُسْرَانِ

تَرَكُوْا هِدَايَةَ رَبِّهِمْ فإِذَا بِهِمْ ... غَرْقَى مِن الآرَاءِ فِي طُوْفَانِ

وَتَفَرَّقُوْا شِيَعاً بِهَا عَنْ نَهْجِهِ ... مِنْ أَجْلِهَا صَارُوا إِلى شَنَآنِ

كُلٌّ يَرَى رَأْياً وَيَنْصُرُ قَوْلَهُ ... وَلَهُ يُعَادِي سَائِرَ الإِخْوَانِ

وَلَوَ أَنَّهُمْ عِنْدَ التَّنَازُعِ وُفِّقُوا ... لَتَحَاكَمُوْا لِلِهِ دُوْنَ تَوَانِ

وَلأَصْبَحُوْا بَعْدَ الخِصَامِ أَحِبَّةً ... غَيْظَ العِدَا ومَذَلَّةَ الشَّيْطَانِ

لَكِنَّهُمْ إِذْ آثَرُوْا وَادِي تَخَيُّـ ... ـبٍ أَصْبَحُوْا أَعْدَاءَ هَذَا الشَّانِ

فالمُقْتَدِيْ بالوَحْيِ فِي أَعْمَالِهِ ... يَلْقَى الأَذَى مِنْهُمْ وَكُلَّ هَوَانِ

لِعُدُوْلِهِ عَنْ أَخْذِهِ بِمَذَاهِب ... في الرَّأْيِ مَا قَامَتْ عَلَى بُرْهَانِ

جَعَلُوا مَذَاهِبَهُمْ مُسَيْطِرَةً عَلَىَ ... فَهْمِ الحَدِيْثِ وَمَنْزِلِ القُرْآنِ

ذَادُوْا ذَوِيْ الأَلْبَابِ عن فِقْهِ الكِتَا ... بِ وَفِقْهِ سُنَّةِ صَاحِبِ التِّبْيَانِ

وَغَدَتْ شَرِيْعَتُنَا بِمُوْجَبِ قَوْلِهِم ... مَنسُوْخَةً فِي هَذِهِ الأَزْمَانِ

حَجَبُوْا مَحَاسِنَهَا بِتَأْوِيْلاَتِهِم ... فَغَدَتْ مِن الآرَاءِ فِي خُلْقَانِ

وَلَوَ أَنَّهَا بَرَزَتْ مُجَرَّدَةً لَهَا ... مَ الأَذْكِيَاءُ بِحُسْنِهَا الفَتَّانِ

لَكِنَّهُمْ قَامُوْا حَوَائِلَ دُوْنَهَا ... كَالأَوْصِيَاءِ لِقَاصِرِ الصِّبْيَانِ

ما عِنْدَهُمْ عِنْدَ التَّنَاظُرِ حُجَّةٌ ... أنَّى بِهَا لِمُقَلِّدٍ حَيْرانِ

لا يَفْزَعُوْنَ إلى الدَّلِيْلِ وإنَّمَا ... فِي العَجْزِ مَفْزَعُهُمْ إلى السُّلْطَانِ

لاَ عُجْبَ إذْ ضَلُّوا هِدَايَةَ دِيْنِهِمْ ... أنْ يَرْجِعُوْا لِلْجَهْلِ والعِصْيَانِ

هَا قَدْ غَلَوْا في الأَوْلِيَا وقُبُوْرهمْ ... أضْحَتْ يُحَجُّ لَهَا مِن البُلْدَانِ

وَبَنَوْا عَلَى تِلْكَ القُبُوْرِ مَسَاجِداً ... وَالنَّصُّ جَاءَ لَهُمْ بِلَعْنِ البَانِي

وكَذَا عَلَيْهَا أسْرَجُوْا واللَّعْنُ جَا ... فِي الفِعْلِ ذَا أيْضَاً مَعَ البُنْيَانِ

وكَذَاكَ قَدْ صَنَعُوْا لَهَا الأَقْفَاصَ تُوْ ... ضَعُ فَوقَهَا فِي غَايَةِ الاتْقَانِ

يَكْسُوْنَهَا بِمَطَارِفٍ مَنْقُوْشَةٍ ... قَدْ كَلَّفَتْهُمْ باهِظَ الأَثْمَانِ

بَلْ عِنْدَ رَأْسِ الْقَبْرِ تَلْقَى نَصْبَةً ... قَدْ عَمَّمُوْهَا عِمَّةَ الشَّيْخَانِ

ولَسَوفَ إنْ طَالَ الزَّمَانُ بِهِمْ تَرَى ... وَلَهَا يَدَانِ تَلِيْهِمَا الرِّجْلانِ

ودَعَوْهُمُوْا شُفَعَاءَهُمْ أيْضاً كَمَا ... قَدْ كَانَ يَزْعُمُ عَابِدُوْ الأَوْثَانِ

وتَقَرَّبُوْا لَهُمُوْا بِتَشْيِيْبِ السَّوَا ... ئِبِ والنُّذُوْرِ وَسَائِرِ القُرْبَانِ

وتَمَسَّحُوْا بِقُبُورِهِمْ وَسُتُوْرِهِمْ ... وَكَذَاكَ بالأَقْفَاصِ والجُدْرَانِ

وإذَا رَأَيْتَهُمُوْ هُنَاكَ تَرَاهُمُوْا ... مُتَخَشِّعِيْنَ كَأَخْبَتِ العُبْدَانِ

مَا عِنْدَهُمْ هَذَا الخُشُوعُ إذَا هُمُوْا ... صَلَّوْا لِرَبِّهِمُ العَظِيْمَ الشَّانِ

واسْتَنْجَدُوْا بِهِمُوْا لِمَا قَدْ نَابَهُمْ ... نَاسِيْنَ فَاطِرَ هَذِهِ الأَكْوَانِ

وَدَعَوْهُمُوْا بَرّاً وَبَحْراً لاَ كَمَنْ ... خَصُّوْا الدُّعَاءَ بِرَبِّهِمْ في الثَّانِي

فَهُمُوْا بِهَذَا الوَجْه قَدْ زَادُوْا عَلَى ... مَنْ أشْرَكُوْا في غَابِرِ الأزْمَانِ

تَرَكُوْا دُعَاءَ الحَيِّ جَلَّ جَلاَلُهُ ... لِدُعَاءِ أمْوَاتٍ بِلاَ حُسْبَانِ

وإلَيْهِمُوْا جَعَلُوا التَّصَرُّفَ فِي الوَرَى ... فَهُمُوْا مُغِيْثُ السَّائِلِ الحَيْرَانِ

فَكَأَنَّهُم أرْجَى لَهُمْ مِنْ رَبِّهِمْ ... وعَلَيْهِمُوْا أحْنَى مِنَ الرَّحْمنِ

وكَأَنَّهُم وُكَلاَؤُهُ فى خَلْقِهِ ... سُبْحَانَهُ عَن إفْكِ ذِيْ بُهْتَانِ

وكَأَنَّهُمْ حُجَّابُ رَحْمَةِ رَبِّهِمْ ... هُمْ قَاسَمُوْهَا بَيْنَهُمْ بِوِزَانِ

يَا قَوْمُ لا غَـوْثٌ يَكُونُ مُغِيْثُكُمْ ... إِنَّ المُغِيْثَ اللهُ لِلإِنْسَانِ

يَاقَوْمُ فادْعُوْ اللهَ لَا تَدْعُوْا الوَرَى ... أَنْتُمْ وَهُمْ بِالْفَقْرِ مَوْسُوْمَانِ

مَا بالُكُمْ لَمْ تُخلِصُوْا تَوْحِيْدَكُمْ ... تَوحَيدُكُمْ وَالشِّرْكُ مُقْتَرِنَانِ

هَا أَنْتُمُوْا أَشْبَهْتُمُوْا مَنْ قَبْلَكُمْ ... فِي شِرْكِهِمْ بِعِبَادَةِ الدَّيَّانِ

إِنْ كَانَ هَـذَا الفِعْلُ لا يُسْمُوْنَهُ ... بِعِبَادَةٍ فَهِيَ اسْمُهُ القُرْآنِي

مَعْنَى العِبَادَةِ ثَابِتٌ مُتَحَقِّقٌ ... فِي فِعْلِكُمْ شَرْعاً وَعُرْفُ لِسَانِ

إِنَّ الدُّعَاءَ عِبَادَةٌ بَلْ مُخُّهَا ... قَدْ قَالَ ذَا مَنْ جَاءَ بِالفُرْقَانِ

فَإِذَا زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ شُفَعَاؤُكُمْ ... تَتَوَسَّلُونَ بِهِمْ إِلى الرَّحْمنِ

فالجاهِلِيَّةُ كَانَ هَـذَا زَعْمُهُمْ ... أَيضاً وقد نُسِبُوْا إِلى الكُفْرَانِ

مَا كَانَ أَهْلُ الشِّرْكِ يَعْتَقِدُوْنَهُمْ ... خَلَقُوْهُمُوْا يَا جَاهِلَ القُرْآنِ

واللهُ مَا شَرَعَ التَّوَسُّلَ لِلْوَرَى ... إلا بِطَاعَتِهِ مَعَ الإِيْمَانِ

والفِعْلُ لَيْسَ بِطَاعَةٍ حَتَّى يَجِي ... أَمْرٌ بِهِ شَرْعاً إِلى الإِنْسَانِ

والعَامِلُونَ عَلَى وِفَاقِ الأَمْرِ لاَ ... يَعْدُوْنَهُ بالزَّيْدِ والنُّقْصَانِ

والعَامِلُونَ بِمُقْتَضَى أَهْوَائِهِم ... هُمْ مُؤْثِرُوْنَ لِطَاعَةِ الشَّيْطَانِ

هَلْ مَا فَعَلْتُمْ جَاءَكُمْ أَمْرٌ بِهِ ... مِنْ رَبِّكُمْ عن صَاحِبِ التِّبيَانِ

أَوْ هَلْ أَتَى مِنْ قُدْوَةٍ فِي الدِّيْنِ مِنْ ... صَحْبِ النَّبِي وتَابِعِ الاحْسَانِ

وَهُنَا لَكُمْ عِنْدِيْ نَصِيْحَةُ مُخْلِصٍ ... لاَ يَمْتَرِيْ فِيْمَا يَقُولُ اثْنَانِ

أَنْ تَأْخُذُوْا بالاحْتِيَاطِ لأَمْرِكُمْ ... قَبْلَ الخُلُوْدِ بِمَوْقِدِ النِّيْرَانِ

إن كَانَ مَا تَأْتُونَ لَيْسَ بِوَاجِبٍ ... وَالشِّرْكُ مَخْشِيٌّ لَدَى الإِتْيَانِ

فالابْتِعَادُ عَنِ المَخُوْفِ مُقَدَّمٌ ... عَقْلاً عَلَى الأَقْدَامِ لِلإِنْسَانِ

خاتمة ونــداء للعلماء

يا مَعْشَرَ العُلَمَآءِ لَبُّوا دَعْــوَةً … تُعْــلِي مَقَــامَكُمْ عَلَى كِيْوَانِ

يا مَعْشَرَ العُلَماءِ هُبُّواْ هَبَّــةً … قَــدْ طَالَ نَوْمَــكُو إلى ذَا الآنِ

يا مَعْشَرَ العُلَمَآء قُومُوا قَوْمَــةً … للهِ تُعْلِي كِلْمَــةَ الإِيْمَــانِ

يا مَعْشَرَ العُلَمَآءِ عَزْمَــةَ صَادقٍ … مُتَجَــرِّدٍ للهِ غَيْــرَ جَبَــانِ

يا مَعْشَر العُلَمَــآءِ أَنْتُمْ مُلْتَجَا … لِلدِّيْنَ عِنْدَ تَفَــاقُمِ الحَــدَثَانِ

يا مَعْشَرَ العُلَمَــاءِ كونوا قدوة … للناس في الاســلام والإحسان

يا مَعْشَرَ العُلَمَــآءِ أَنْتُمْ حُجَّةٌ … لِلنَّاسِ فادْعُــوْهُمْ إلى القُرْآنِ

يا مَعْشَرَ العُلَمَآءِ إنَّ سُكُوْتَكُمْ … مِن حُجَّــةِ الجُهَّــالِ كُلَّ زَمَــانِ

يا مَعْشَرَ العُلَمَآءِ لا تَتَخَــاذَلُوْا … وتَعَاوَنُوا في الحَقِّ لا العُــدْوَانِ

وَتَجَرَّدُوْا للهِ مِنْ أَهْــوَائِكُمْ … ودَعُوْا التَّنَافُسَ في الحُطَامِ الفَانِي

وتَعاقَدُوْا وتَعَاهَدُوْا إنْ تَنْصُرُوْا … مُتَعَاضِدِيْنَ شَرِيعَــةَ الرَّحْمٰنِ

كُوْنُوا بحَيْثُ يَكُونُ نَصْبَ عُيُوْنِكُمْ … نَصْرُ الكتابِ وسُنَّةُ الإِيْمَــانِ

قَــدْ فَرَّقَتْنَــا كَثْرَةُ الآرَاءِ إِذْ … صِرْنَا نُشَايِعُهَــا بِلاَ بُــرْهَــانِ

وَمِن أَجْلِهَا صِرْنَا يُعَادِيْ بَعْضُنَا … بَعْضاً بلاَ حَــقٍّ ولاَ مِيْزَانِ

وغَدَتْ أُخُوَّةُ دِيْنِنَا مَقْطُــوْعَــةً … والظُّلْمُ مَعْــرُوْفٌ عن الإِنْسَانِ

واللهُ أَلَّفَ بَيْنَنَا فِي دِيْنِــهِ … وَعَلَى التَّفَرُّقِ عَــابَ في القُرْآنِ

عُوْدُوْا بِنَا لِسَمَاحَةِ الدِّيْنِ الــذِيْ … كُنَّــا بِهِ في عِــزَّةٍ وَصِيَانِ

عُوْدُوْا لِمَا كَانَتْ عَلَيْهِ مِن الهُدَى … أَسْلاَفُكُمْ في سَالِفِ الأَزْمَــــانِ

فإِلَيْكُمُــوا تَتَطَلَّعُ الأَنْظَارُ فِي … تَوْحِيْدِ كلْمَتِنَــا عَلَى الإِيْمَــانِ

فاللهُ يَنْصُرُ مَنْ يَقُــوْمُ بِنَصْرِهِ … واللهُ يَخْذُلُ نَاصِرَ الشيطــان

(فصل)

وقال الإمامُ ابنُ حَزْمٍ : وبُرْهَانٌ ضَرُوْرِيٌ لِمَنْ تَدَبَّرَهُ حِسِيٌ لاَمَحِيْدَ عَنْهُ وَهُوَ أَنَّ النبيَّ صلى اللهُ عليه وسلم أَتَى إلى قَوْمٍ لِقاحٍ لاَيُطِيْعُونَ لأَحَد ولا يَنْقادُوْنَ لِرَئِيْسٍ نَشَأَ عَلى هَذَا آبَاؤُهُمْ وأَجْدَادُهُمْ وأَسْلاَفُهُمْ مُنْذُ أُلُوفٍ مِنَ الأَعْوَامِ قدْ سَرَى الفَخْرُ والعِزُّ والنَّخْوَةُ والكِبْرُ والظُّلْمُ والأَنَفَةُ فِي طِبَاعِهِمْ وهُمْ أَعْدَادٌ عَظِيْمَةٌ مَلأُواْ جَزِيْرَةَ العَرَبِ وهِيَ نَحْوُ شَهْرَيْن في شَهْرَيْنِ قَدْ صَارَتْ طِبَاعُهُمْ طِبَاعَ السِّبَاعِ وهُمْ أُلُوفُ الأُلُوفِ قَبَائِلُ وعَشَائِرُ يَتَعَصَّبُ بعضُهم لِبَعْضٍ أَبَدَاً فَدَعَاهُمْ بِلاَ مَـالٍ ولا أَتْبَاعٍ - بَلْ خَذَلَهُ قَوْمُهُ - إلى أَنْ يَنْحَطُّوْا مِن ذَلِكَ العِزِّ إلى غُرْمِ الزَّكَاةِ .

ومِن الحُرِّيَةِ والظُّلْمِ إلى جَرْيِ الأَحْكَامِ عَلَيْهِمْ ومِنْ طُوْلِ الأَيْدِيْ بقَتْلِ مَنْ أَحَبُّوْا وَأَخْذِ مَالِ مَنْ أَحَبُّوْا إلى القِصَاصِ مِن النَّفْسِ ومِن قَطْعِ الأَعْضَاءِ ومِنْ اللَّطْمَةِ مِن أَجَلِّ مَنْ فِيْهِم لأَقَلِّ عِلْجٍ غَرِيْبٍ دَخَلَ فِيْهِمْ وَالى اسْقَاطِ الأَنَفَةِ والفَخْرِ إلى ضَرْبِ الظُّهُوْرِ بِالسِّيَاطِ وبالنِّعَالِ إنْ شَرِبُوْا خَمْراً أَوْ قَذَفُوْا إِنْسَاناً .

وإلى الضَّرْبِ بالسَّوْطِ والرَّجْمِ بالحجَارَةِ إلى أَنْ يَمُوتُوْا إنْ زَنَوا فانْقَادَ أَكْثَرُهُمْ لِكُلِّ ذَلِكَ طَوْعاً بلاَ طَمَعٍ ولاَ غَلَبَةٍ ولا خَوْف مَا مِنْهُمْ أَحَدٌ أُخِذَ بِغَلَبَةٍ إلا مَكَّةَ وخَيْبَرَ فَقَطْ وَمَا غَزَا قَطُ غَزْوَةً يُقَاتِلُ فِيْهَا إلا تِسْعَ غَزَوَات بَعْضُهَا عَلَيْهِ وبَعْضُهَا لَهُ ، فَصَحَّ ضَرُوْرَةً أَنَّهُم إنَّمَا آمَنُوْا طَوْعاً لاَ كُرْهاً .

وتَبَدَّلَتْ طَبَائِعُهُمْ بِقُدْرَةِ اللهِ تَعَالَى مِن الظُّلْمِ إلَى العَدْلِ ومِنْ الجَهْلِ إلى العِلْمِ ومِن الفِسْقِ والقَسْوَةِ إلى العَدْلِ العَظِيْمِ الذي لَمْ يَبْلُغْهُ أَكَابِرُ الفَلاسِفَةِ وأَسْقَطُوا كُلُّهُمْ أَوَّلُهُمْ عَنَ آخِرِهِمْ طَلَبَ الثَّأْرِ وصَحِبَ الرَّجُلُ

مِنْهَمْ قَاتِلَ ابْنِهِ وأَبِيْهِ وأَعْدَى النَاسِ لَهُ صُحْبَةَ الأُخْوَةِ المُتَحَابِيْنَ دُوْنَ خَوْف يَجْمَعُهُمْ ولا رِيَاسَةٍ يَنْفَرِدُوْنَ بِهَا دُوْنَ مَنْ أَسْلَمَ مِن غَيْرِهِمْ ولا مَالِ يَتَعَجَّلُوْنَهُ فقدْ عَلِّمَ الناسَ كَيْفَ كانَتْ سِيْرَةُ أَبِيْ بَكْر وعُمَرَ رضي الله عَنْهُمَا وكَيْفَ كَانَتْ طَاعَةُ العَرَبِ لَهُمَا بلا رِزْقٍ ولا عَطَاءٍ ولا غَلَبَةٍ .

فَهَلْ هَذَا إلاَّ بِغَلَبَةٍ مِن اللهِ تَعالى على نُفُوْسِهِمْ كَمَا قال تعالى « لَوْ أَنْفَقْتَ ما في الأَرْضِ جَمِيْعاً ما أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ولَكِنَّ اللهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ » ثُمَّ بَقِيَ عليه الصلاةُ والسلامُ كذلكَ بينَ أَظْهُرِهِمْ بلا حَارِسٍ ولا دِيوَانِ جُنْدٍ ولاَ بَيْتِ مَالٍ مَحْرُوْساً مَعْصُوْماً .

وقالَ ابنُ حَزْمٍ رَحِمَهُ اللهُ أَيْضَا قَبْلَ ذَلكَ : كَانَتِ العَرَبُ بلا خِلاَفٍ قَوْماً لِقاحاً لا يَمْلِكُهُمْ أَحَدٌ كَمُضَرَ وَرَبِيْعَةَ وإياد وقُضَاعَةَ أَوْ مُلُوكاً في بِلاَدِهِمِ يَتَوَارَثُونَ المُلْكَ كَابِراً عَنْ كَابِرٍ كَمُلُوكِ الْيَمَنِ وعُمَانٍ وشَهْرِ ابنِ بَارَامٍ مَلِكِ صَنْعَا والمُنْذِرِ بْنِ سَاوَى مَلِكِ البَحْرَيْن والنَّجَاشِيْ مَلِكِ الحَبَشَةَ وجَيْفَرٍ وعِيَاذِ ابْنَيْ الجَلَنْدِي ومَلِكَيْ عُمَان فانْقَادُوْا كُلُّهُمْ لِظُهُورِ الحَقِّ وبُهُوْرِهِ وآمنُوا بِهِ صلى اللهُ عليه وسلم طَوْعاً وهُمْ آلافُ آلافٍ وَصَارُوْا إِخْوةً كَبَنِيْ أَبٍ وَأُمٍّ وانْحَلَّ كُلُّ مَنْ أَمْكَنَهُ الانْحِلاَلُ عن مُلْكِهِ مِنْهُمْ إلى رُسُلِهِ طَوْعاً بلا خَوْفِ غَزْوٍ ولاإعْطَاءِ مَالٍ ولاطَمَعٍ في عِزٍّ بَلْ كُلُّهُمْ أَقْوَى جَيْشاً مِنْ جَيْشِهِ وأَكْثَرَ مَالاً وسِلاَحاً مِنهُ وأَوْسَعَ بَلَداً مِن بَلَدِهِ كَذِي الكُلاَعِ وكَانَ مَلِكاً مُتَوجاً ابْنَ مُلُوكٍ مُتَوَّجِيْنَ تَسْجُدُ لَهُ جَمِيْعُ رَعِيَّتِهِ يَرْكَبُ أَمَامَهُ أَلفُ عَبْدٍ مِنْ عَبِيْدِهِ سِوَى بَنِيْ عَمِّهِ مِن حِمْيَرَ وذي ظَلِيْمٍ وذِي زَوْدٍ وذِي مُرانَ وذِي عَمْروٍ وغيرِهِمْ كُلُّهُمْ مُلُوكٌ مُتَوَّجُوْنَ في بِلادِهِم.

هَذَا كُلُّهُ أَمْرٌ لاَ يَجْهَلُهُ أَحَدٌ مِن حَمَلَةِ الأَخْبَارِ بَلْ هُوَ مَنْقُولٌ كَنَقْل

كَون بِلادِهِم في مَوَاضِعِهَا وهكَذَا كانَ إسلامُ جَمِيعِ العَرَبِ أولاَهُمْ كالأوْسِ والخَزْرَجِ ثُمَّ سَائِرِهِم قَبِيْلَةً قَبِيْلَةً لِمَا ثَبتَ عَنْدَهُمْ مِن آياتِهِ وبَهرَهُمْ مِن مُعْجِزاتِهِ ومَا اتَّبَعَهُ الأوْسُ والخَزْرَجُ إلا وهُوَ فَرِيْدٌ نَابَذَهُ قَوْمُهُ حَسَداً لَهُ.

إذْ كَانَ فَقِيْراً يَتِيْماً أمِياً لا يَقْرَأُ ولاَ يَكْتُبُ نَشَأَ في بِلاَدِ الجَهْلِ والجَاهِلِيَّةِ يَرْعَى غَنمَ قَوْمِهِ يَتَقَوَّتُ بِهَا فعَلَّمَهُ اللهُ تَعالى الحكْمَةَ دُوْنَ مُعَلِّمٍ وعَصَمَهُ مِن كل مَنْ أرَادَهُ بلاَحَرَسٍ وبلاَ حَاجِبٍ ولا بَوَّابٍ ولاقَصْرٍ يَمْتَنِعُ فِيه عَلَى كَثْرَةِ مَنْ أرادَ قَتْلَهُ مِنْ شُجْعَانِ العَرَبِ وَفُتَّاكِهِمْ كَعَامِرِ بْنِ الطُّفَيْلِ وأرْبَدَ بن جُزْءٍ وغُوْرَثِ بن الحَارِثِ وغَيْرِهِمْ مَعَ اقْرَارِ أعْدَائِهِ بِنُبُوَّتِهِ كَمُسَيْلِمَةَ وسَجَاحٍ وطُلَيْحَةَ والأسْوَدَ وهَوَ مُكَذِّبٌ لَهُمْ فَهَلْ بَعْدَ هَذَا بُرْهَانٌ أوْ بَعْدَ هَذِهِ الكِفَايَةِ مِن الله تعالى كِفَايَةٌ وهُوَ لا يَبْغِيْ دُنْياً ولا يُمَنِّيْ بِهَا مَن اتَّبَعَهُ بَلْ أنْذَرَ الأنصارَ بالأثَرَةِ عَلَيْهِم بَعْدَهُ وتابَعُوْهُ عَلى الصَّبْرِ على ذلكَ .

قَامَ لَهُ أصْحَابُهُ عَلى قَدَمٍ فَمَنَعَهُمْ وأنْكر ذَلِكَ عَلَيْهِمْ وَأعْلَمَهُمْ أنَّ القِيَامَ للهِ تَعالىَ لا لِخَلْقِهِ وَرَضُوا بالسُّجُوْدِ لَهُ فاسْتَعْظَمَ ذلكَ وأنكَرَهُ إلا للهِ وَحْدَهُ .

ولا شَكَّ في أنَّ هَذِهِ لَيْسَتْ صِفَةَ طَالِبِ دُنْياً قَطُ أصْلاً ولا صِفَةَ رَاغِبٍ في غَلَبَةٍ ولاَ بُعْدَ صَوْتٍ بَلْ هَذِهِ حَقِيْقَةُ النُّبُوَّةِ الخَالِصَةِ لِمَنْ كانَ لَهُ أدْنَى فَهْمٍ .

ثُمَّ قَالَ الامامُ ابْنُ حَزْمٍ وأيْضَا فإنَّ سِيْرَةَ مُحَمَّد صلى اللهُ عليه وسلم لِمَنْ تَدَبَّرَهَا تَقْتَضِيْ تَصْدِيْقَهُ ضَرُوْرَةً وتَشْهَدُ لَهُ بِأنَّهُ رَسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم حَقَّا فلَوْ لَمْ تَكُنْ لَهُ مُعْجِزَةٌ غَيْرُ سِيْرَتِهِ صلى اللهُ عليه وسلم

لَكَفَى وَذَلِكَ أَنَّهُ عَلَيهِ الصَلاةُ والسلامُ نَشَأَ كَمَا قُلْنَا في بِلادِ الجَهْل لا يَقْرَأُ ولا يَكْتُبُ ولا خَرَجَ عَن تِلْكَ البِلَادِ قَطُّ إلا خَرْجَتَيْن .

إحْدَاهُمَا إلى الشَّام وَهُوَ صَبِيٌّ مَعَ عَمِّهِ إلى أَوَّلِ أَرْضِ الشَّام وَرَجَعَ والأُخْرَى أيضاً إلى أَوَّلِ الشَّام ولَمْ يُطِلْ بِهَا البَقَاء ولا فَارَقَ قَوْمَهُ قَطُّ ثُمَّ أَوْطَأَهُ اللهُ تعالى رِقَابَ العَرَبِ كُلَّها فَلَمْ تَتَغيَّرْ نَفْسُهُ ولا حَالَتْ سِيرَتُه إلى أنْ مَاتَ وَدِرْعُهُ مَرْهُونَةٌ في شَعِيرٍ لِقُوْتِ أَهْلِهِ . أَصْواعٍ لَيْسَتْ بالكَثِيْرَةِ ولَمْ يَبِتْ قَطُّ في مُلْكِهِ دِيْنَارٌ ولا دِرْهَمٌ وكان يَأْكُلُ عَلَى الأَرْضِ مَا وَجَدَ وَيَخْصِفُ نَعْلَهُ بيَدِهِ ويَرْقَعُ ثَوْبَهُ ويُؤْثِرُ عَلَى نَفْسِهِ وقُتِلَ رَجُلٌ من أَفَاضِلِ أَصْحَابِهِ مِثْلُ فَقْدِهِ يَهُدُّ عَسْكَراً قُتِلَ بَيْنَ أَظْهرِ أَعْدَائِهِ مِن اليَهُوْدِ فَلَمْ يَتَسَبَّبْ إلى أَذَى أَعْدَائِهِ بذلكَ إذْ لَمْ يُوْجِبِ اللهُ تعالى لَهُ ذلكَ ولا تَوَصَّلَ بِذَلِكَ إلى دِمَائِهِمْ ولا إلى دَمٍ واحِدٍ مِنْهُمْ ولا إلى أَمْوَالِهِم بَلْ فَدَاهُ مِن عِنْدِ نَفْسِهِ بِمَائَةِ نَاقَةٍ .

وهُوَ فِي تِلْكَ الحَالِ مُحْتَاجٌ إلى بَعِيرٍ وَاحِدٍ يَتَقَوَّي بِهِ وَهَذَا أَمْرٌ لا تَسْمَحُ بِهِ نَفْسُ مَلِكٍ مِنْ مُلُوكِ الأَرْضِ وأَهْلِ الدُّنْيَا مِن أَصْحَابِ بُيوتِ الأَمْوَالِ بِوَجْهٍ مِن الوُجُوْهِ ولا يَقْتَضِيْ هَذَا أَيْضَا ظَاهِرَ السِيْرَةِ والسِّيَاسَةِ فَصَحَّ يَقِيْناً بلاَ شَكٍّ أَنَّهُ إنما كان مُتَّبِعاً مَا أَمَرَ بِهِ رَبُّهُ عَزَّ وَجَلَّ سَواءٌ كانَ ذَلِكَ مُضِرّاً بِهِ في دُنْيَاهُ غَايَةَ الإِضْرَارِ أَوْ كَانَ غَيْرَ مُضِرٍّ بِهِ وَهَذَا عَجِيْبٌ لِمَنْ تَدَبَّرَهُ .

ثُمَّ حَضَرَتْهُ صلى اللهُ عليه وسلم المَنِيَّةُ وأَيْقَنَ بِالمَوْتِ ولَه عَمٌّ أَخُوْ أَبِيْهِ هُوَ أَحَبُّ النَّاسِ إليْهِ وابْنُ عَمٍّ هُوَ مِن أَخَصِ النَّاسِ بِهِ وَهُوَ أَيْضا زَوْجُ ابْنَتِهِ وكَلاَهُمَا عِنْدَهُ مِن الفَضْلِ والدِّيْنِ والسِّيَاسَةِ في الدُّنْيَا والبَأْسِ

والحِلْمِ وخِلالِ الخَيْرِ مَا كَان كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا حَقِيْقاً بِسِيَاسَةِ العَالَمِ كُلِّهِ فَلَمْ يُحَابِهِمَا وَهُمَا مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ مَحَبَّةً فِيْهِ وَهُوَ مِن أَحَبِّ الناسِ فِيْهِمَا. إذْ كَانَ غَيْرُهُمَا مُتَقَدِّماً لَهُمَا فِي الفَضْلِ قَاصِداً اتِّبَاعَ ما أَمَرَ بِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

ولَمْ يُوَرِّثْ وَرَثَتَهُ ابْنَتَهُ ونِسَاءَهُ وَعَمَّهُ فِلْساً فَمَا فَوْقَهُ وَهُمْ كُلُّهُمْ أَحَبُّ النَّاسِ إليْهِ وَأَطْوَعُهُمْ لَهُ ، وَهَذِهِ أُمُورٌ لِمنْ تَأَمَّلَهَا كَافِيَةٌ مُغْنِيَةٌ فِي أَنَّهُ إنَّمَا تَصَرَّفَ بِأَمْرِ اللهِ تَعَالَى لَهُ لا بِسِيَاسَةٍ ولا بِهَوى فوَضَحَ بِمَا ذَكَرْنَا وَللهِ الحَمْدُ كَثِيْراً أَنَّ نَبُوَّةَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ حَقٌّ وأَنَّ شَرِيْعَتَهُ التِي أَتَى بِهَا هِيَ التي وَضَحَتْ بَرَاهِيْنُهَا واضطَرَّتْ دَلَائِلُهَا إلى تَصْدِيْقِهَا والقَطْعِ عَلَى أَنَّهَا الحَقُّ الذِي لا حَقَّ سِوَاهُ وأَنَّها دِيْنُ اللهِ تعالى الذِي لا دِيْنَ لَهُ فِي العَالَمِ غَيْرُهُ انْتَهَى كلامُه .

وقال بعضهم يخاطب نفسه ويوبخها على تفريطها واهمالها :

يانَفْسِ هَذَا الَّذِيْ تَأْتِيْنَهُ عَجَبٌ ... عِلْمٌ وعَقْلٌ ولا نُسْكٌ ولاَ أَدَبُ
وَصْفُ النِّفَاقِ كَمَا فِي النَّصِّ نَسْمَعُهُ ... عِلْمُ اللِّسَانِ وجَهْلُ القَلْبِ والسَّبَبُ
حُبُّ المتَاعِ وحُبُّ الجَاهِ فانْتَبِهِي ... مِن قَبْلُ تُطوَى عَلَيْكِ الصُّحْفُ والكُتُبُ
وتُصْبِحِيْنَ بِقَبْرٍ لاَ أَنِيْسَ بِهِ إلاَّ ... الأَهْلُ والصَّحْبُ لَمَّا أَلْحَدُوْا ذَهَبُوْا
وخَلَّفُوكِ وَمَا أَسْلَفْتِ مِن عَمَلٍ ... الْمَالُ مُسْتَأْخِرٌ وَالكَسْبُ مُصْطَحَبُ
واسْتَيْقِنِي أَنَّ بَعْدَ المَوْتِ مُجْتَمَعاً ... لِلْعَالَمِيْنَ فَتَأْتِيْ العُجْمُ والعَرَبُ
والخَلْقُ طُرّاً وَيَجْزِيْهِمْ بِمَا عَمِلُوْا ... فِي يَوْمٍ لا يَنْفَعُ الأَمْوَالُ والحَسَبُ
واخْشَيْ رُجُوْعاً إلى عَدْلٍ تَوَعَّدَمَنْ ... لاَ يَتَّقِيْهِ بِنَارٍ حَشْوُهَا الغَضَبُ
وَقُوْدُهَا النَّاسُ والأَحْجَارُ حَامِيَةٌ ... لا تَنْطَفِيْ أَبَدَ الآبَادِ تَلْتَهِبُ

والبُعْدِ عَن جَنَّةِ الخُلْدِالتِي حُشِيَتْ ... بالطَّيِّبَاتِ ولاَ مَـوْتٌ ولا نَصَبُ
فِيهَا الفَوَاكِهُ والأَنْهَـارُ جَارِيَةٌ ... والنُّورُ والحُورُ والوِلْدَانُ والقُبَبُ
وهَذِهِ الدَّارُ دَارٌ لا بَقَاءَ لَهَـا ... لا يَفْتِنَنَّكَ مِنْهَا الوَرْقُ والذَّهَبُ
والأَهْلُ والْمَالُ والمَرْكُوبُتَرْكَبُهُ ... والثَّوبُ تَلْبَسُهُ فالـكُلُّ يَنْقَلِبُ
لا بَارَكَ اللهُ في الدُّنْيَا سِوَى عَوَضٍ ... مِنْهَا يُعَدُّ إِذَا مَا عُـدَّتِ القُرَبُ
يُرِيدُ صَاحِبُهُ وَجْـهَ الإِلَـهِ بِهِ ... دُوْنَ الرِّيَا إِنَّهُ التَّلْبِيْسُ والكَذِبُ
لا يَقْبَلُ اللهُ أَعْمَالاً يُرِيْدُ بِهَـا ... عُمَّالُهَا غَيْرَ وَجْهِ اللهِ فاجْتَنِبُوْا
تَمَّتْ وَصَلُّوا عَلَى المُخْتَارِ سَيِّدِنَا ... والآلِ والصَّحْبِ قَوْمٌ حُبُّهُمْ يَجِبُ

وممّا أشير فيه إلى بعض المعجزات التي وردت في القرآن ما يلي :

هُوَ اللهُ مَنْ أَعْطَى هُدَاهُ وَصَحَّ من ... هَـوَاهُ أَرَاهُ الخـارقات بحكمةِ
بِذَاكَ عَلَى الطُّوفَانِ نُوحٌ وقَدْ نَجَا ... بِهِ مَن نَجَا في قَوْمِهِ في السَّفِيْنَةِ
وغَاضَ لَهُ مَا فَاضَ عَنْهُ اسْتِجَابَةً ... وَجَدًّا إِلَى الجُوْدِيِّ بِهَا واسْتَقَرَّتِ
وسَارُواْ مَتْنُ الرِّيحِ تَحْتَ بِسَاطِهِ ... سُلَيْمَانُ بالجَيْشَيْنِ فَوْقَ البَسِيْطَةِ
وقَبْلَ ارْتِدَادِ الطَّرْفِ أُحْضِرَلِمِنْسَبَا ... لَـهُ عَرْشُ بِلْقِيْسٍ بِغَـيْرِ مَشَقَّةِ
وأَخْمَدْ لِإِبْرَاهِيْمَ نارَ عَـدُوِّهِ ... وفي لُطْفِهِ عَادَتْ لَـهُ رَوْضَ جَنَّةِ
ولَـمَّا دَعَا الأَطْيَارَ في رَأْسِ شَاهِقٍ ... وقَدْ قُطِّعَتْ جَـاءَتْهُ غَيْرَ عَصِيَّةِ
وفي يَدِهِ مُوْسَى عَصَاهُ تَلَقَّفَتْ ... مِنَ السِّحْرِ أَهْوَالاً عَلَى النَّفْسِ شَقَّةِ
ومِنْ حَجَرٍ أَجْرَى عُيُوناً بِضَرْبَةٍ ... بِهَا دَائِمـاً سَقَت ولِلْبَحْرِ شَقَّتِ
ويُوْسُفُ إذ أَلْقَى البَشِيْرُ قَمِيْصَهُ ... عَلَى وَجْـهِ يَعْقُوبَ عَلَيْهِ بِأَوْبَةِ
رَآهُ بَعينٍ قَبْلَ مَقْدَمِهِ بَكَى ... عَلَيْهِ بِهَـا شَوْقـاً إليه فَكَفَّتِ
وفي آلِ إِسْرَائِيلَ مَائِدَةُ السَّمَا ... لِعِيْسَى بنِ مَرْيَمَ أُنْزِلَتْ ثُمَّ مُدَّتِ
ومِنْ أَلَمٍ أَبْرَى ومِنْ وَضَحٍ غَدَا ... شَفَى وَأَعَادَ الطِّيْرَ طَيْراً بِنَفْخَةِ

وصَحَّ بأَخْبَارِ التَّواتُرِ أَنَّــهُ   أَمَاتَ وأَحْيَـا بالدُّعَـا رُبَّ مَيِّتِ
وأَبْعَدُ مِن هَـذَا عن السِّحْرِ أَنَّهُ   رَضِيعٌ يُنَادِي باللِّسَانِ الفَصِيْحَةِ
يُنَزِّهُ عَنْ رَيْبِ الظُّنُونِ عَفِيْفَةً   مُبرَّأَةً مِن كُلِّ سُـوْءٍ وَرِيْبَـةِ
وقال لأَهْلِ السَّبْتِ كُونُوا إِلَهُنَا   قُـرُوْداً فَـكانُوا عِبْرَةً أَيَّ عِبْرَةِ
وصَرَّعَ أَهْلَ الفِيْلِ مِن دُوْنِ بَيْتِهِ   بِطَيْرٍ أَبَابِيْـلٍ صِغَـارٍ ضَعِيْفَـةِ
وأَحْـرَقَ رَوْضَ الجَنَّتَيْنَ عُقُوبَةً   بِكَـافٍ ونُونٍ عِبْرَةً لِلْبَرِيَّـةِ

وقال يُوْسُفُ بنُ مُحَمَّدِ الصَّرْصَرِي رحمه اللهُ :

مُحَمَّدُ الْمَبْعُوْثُ لِلْخَلْقِ رَحْمَـةً   يُشَيِّدُ مَا أَوْهَى الضَّلالُ وَيُصْلِحُ
لَئِنْ سَبَّحَتْ صُمُّ الجِبَال مُجِيْبَةً   لِدَاوُدَ أَوْ لاَنَ الْحَدِيْدُ الْمُصَفَّحُ
فإِنَّ الصُّخُورَ الصُّمَّ لاَنَتْ بكَفِّهِ   وإِنَّ الحَصى في كَفِّـهِ لَيُسَبِّحُ
وإِنْ كَانَ مُوسَى أَنبعَ الْمَا مِن الحَصَى   فمِنْ كَفِّهِ قَدْ أَصْبَحَ الْمَاءُ يَطْفَحُ
وإِنْ كانَتِ الرِّيحُ الرُّخَاءُ مُطِيْعَةً   سُلَيْمَانَ لا تَأْلُـوْ تَرُوْحُ وتَسْرَحُ
فإِنَّ الصَّبَا كَانَتْ لِنَصْرِ نَبِيِّنَـا   بِرُعْبٍ على شَهْرٍ بِهِ الخَصْمُ يَكْلَحُ
وإِنْ أُوْتِيَ المُلْكَ العَظِيْمَ وسُخِّرَتْ   لَهُ الجِنُّ تَشْفِي مَا رِضِيْهِ وتَلْدَحُ
فإِنَّ مَفَاتِيْحَ الـكُنوزِ بِأَسْرِهَـا   أَتَتْهُ فَـرَدَّ الزَّاهِـدُ المُتَرَجِّـحُ
وإِنْ كانَ إِبراهيمُ أُعْطِيَ خُلَّـةً   ومُوْسىَ بِتَكْلِيْمٍ عَلَى الطُورِ يُمْنَحُ
فَهذَا حَبِيْبٌ بَلْ خَلِيْلٌ مُكَلَّمٌ   وخُصِّصَ بالرُّؤْيَا وبالحَقِ أَشْرَحُ
وخُصِّصَ بالحَوْضِ العَظِيْمِ وباللِّوَا   وَيَشْفَعُ لِلْعَاصِيْنَ والنَّـارُ تَلْفَحُ
وبالمَقْعَدِ الأَعْلَى المُقَرَّبِ عِنْدَهُ   عَطَـاءٌ بِبُشْرَاهُ أَقِـرُّ وأَفْـرَحُ
وبالرُّتْبَةِ العُلْيَا الوَسِيْلةِ دُوْنَهَـا   مَرَاتِبُ أَرْبَابِ المَوَاهِبُ تَلْمَـحُ
وفي جَنَّةِ الفِـرْدَوْسِ أَوَّلُ دَاخِلٍ   لَهُ سَائِرُ الأَبْوَابِ بالخَـيْرِ تُفْتَحُ

اللهم احفظنا بالاسلام قَائِمِين ، واحفظنا بالاسلام قاعِدِين ، واحفظنا بالاسلام راقِدين ، ولا تشمت بنا الأعداء ولا الحاسدين ، اللهم قَوِّ إيمانَنَا بِفَهْمِ آيَاتِكَ ، وارزقنا العَمَلَ بِها ، وزِدْنا عِلْما يَنْفَعُنا ، وأَصْلح نِيَّاتِنَا ، وَوَفِّقْنَا لِذِكْرِكَ وشُكْرِكَ ، وارْزُقْنَا حُبَّكَ ، وحُبَّ مَنْ يُحِبُّكَ ، وَحُبَّ العَمَلِ الذَي يُقَرِّبُنَا إلى حُبِّكَ ، واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين الأحياء منهم والميتين برحمتك يا أرحم الراحمين وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

وبَعْدُ فقد رأيتُ أنه مِن المناسب أن أختمَ هذا الكتاب المحتوي على كثيرٍ مِن الأحكامِ والآدابِ بمَنْظُومَةِ الآدابِ لابن عبدِ القَوِي لاشْتِمَالِهَا عَلَىَ كَثِيرٍ مِن الآدابِ الشرعيَّةِ وأسألُ اللهَ الحَيَّ القَيُّوْمَ العَلِيَّ العَظِيْمَ القَوِيَّ العَزِيزَ الحكيمَ ذَا الجَلالِ والاكرامِ الواحدَ الأحدَ الفردَ الصمَدَ الذي لَمْ يَلِدْ ولَمْ يُوْلَدْ ولم يكنْ له كفواً أحدٌ أن يَنْفعَ بِهَا نَفْعاً عَاماً مَن قَرَأَهَا ومَنِ سَمِعَهَا ومَنْ حَضَرهَا وأنْ يَفْتَحَ لنَا ولإخْوَانِنَا المُسْلِمين بابَ القبُولِ والإجَابَةِ اللهم صلى على محمد وآله وسلم آمين يارب العالمين

من منظومة الآداب لابن عبد القوي رحمه الله :

بحَمْدِكَ ذِيالاكْرَامِ مارُمْتُأبْتَدِي   كَثِيْراً كَمَا تَرْضَى بغَيْر تَحَدُّدِ
وصَلِّ على خَيرِ الأَنَـامِ وآلِهِ   وأصْحابِهِ مِن كُلِّ هَادِ ومُهْتَدِي
وبَعدُ فإنِّي سَوْفَ أنْظِمُ جُمْلَـةً   مِن الأَدَبِ المأْثُوْرِ عَن خَيْرِ مُرْشِدِ
مِن السُّنَّةِ الغَراءِ أوْ مِن كِتَابِ مَنْ   تَقَدَّسَ عَنْ قَوْلِ الغُواةِ وجُحَّـدِ
ومِن قَوْلِ أهلِ العِلْمِ مِن عُلَمَائِنا   أئمة أهل السِّلْمِ مِن كُلِّ أمْجَـدِ
لَعَلَّ إلهَ العَرْشِ يَنْفَعُنَـــا بهِ   ويُنْزِلُنَا في الحَشْرِ في خَيْـرِ مَقْعَدِ

أَلا مَن لَه في العِلْمِ والدِّيْن رَغْبَةٌ ... لِيُصْغِ بقَلْبٍ حَاضِرٍ مُتَرَصِّــــدِ

ويَقْبَلَ نُصْحاًمن شَفِيْقٍ على الوَرَي ... حَرِيصٍ على زَجْرِ الأَنَامِ عَنِ الرَّدِي

فَعِنْديَ مِن عِلْمِ الحَدِيْثِ أَمَانَةٌ ... سَأَبْذِلُها جُهْدِي فأَهْدِي وأَهْتَدِي

أَلا كُلُّ مَن رَامَ السَّلامَةَ فليَصُنْ ... جَوَارِحَه عن مَا نَهَى اللهُ يَهْتَدِي

يَكُبُّ الفَتَى في النَّار حَصْدُ لِسَانِهِ ... وارْسَالُ طَرْفِ المرءِ أَنْكَى فَقَيِّدِ

وطَرْفُ الفَتَى يَا صَاحِ رائدُفَرْجِهِ ... ومُتْعِبُهُ فَاغْضُضْهُ مااسْطَعْتَ تَهْتَدِي

ويَحْرُمُ بُهْتٌ واغْتِيَــابُ نَمِيْمَةٌ ... وإِفْشَاءُ سِرٍ ثُمَّ لَعْنُ مُقَيَّـــــدِ

وفُحْشٌ ومَكْرٌ والبَــذَا وَخَدِيْعَــةٌ ... وسُخْرِيَّةٌ والهُزْؤُ وَالكِذْبِ قَيِّــدِ

بِغَيْرِ خِــدَاعِ الكافِرِيْنَ بِحَرْبِهِمِ ... ولَلْعرْسِ أَوْ إِصْلاَحِ أَهْلِ التَّنَكُّدِ

ويَحْرُمُ مِزْمَــارٌ وشَبَّابَةٌ ومَــــا ... يُضَاهِيْهِمَا مِنْ آلَةِ اللَّهْــوِ والرَّدِي

ولَوْ لَمْ يُقَارِنْهَــا غِنَاءٌ جَمِيْعُهَــا ... فَمِنْهَا ذَوُوْ الأَوْتَارِ دُوْنَ تَقَيُّــدِ

ولا بأْسَ بالشِّعْرِ المُبَــاحِ وحِفْظِهِ ... وصَنْعَتِهِ مَن رَدَّ ذَلِكَ يَعْتَــــدِي

فقد سَمِعَ المُخْتَارُ شِــعْرَ صَحَابَةٍ ... وتَشْبِيْبَهُم مِن غَــيْرِ تَعْيِيْنِ خُرَّدِ

وحَظْرَ الهجَا والمَدْح بِالزورِ والخنَا ... وتَشْبِيْبِهِ بالأَجْنَبِيَّــــاتِ أَكِّدِ

وَوَصْفِ الزِّنَا والخَمْرِ والمُرْدِ والنِسَا الْ ... فَتِيَّاتِ أَوَ نَوْحِ التَّسَخُّطِ مُوْرَدِ

وَأَوْجِبْ عَنِ المَحْظُورِ كَفَّ جَوَارِحٍ ... ونَدْبٌ عن المَكروهِ غَيْرَ مُشَدَّدِ

وأَمْرُكَ بالمَعْروفِ والنَّهْيِ يا فَتَى ... عن المُنْكَرِ اجْعَلْ فَرْضَ عَيْنٍ تُسَدَّدِ

على عَالِمٍ بالحَظْرِ والفِعْلِ لَمْ يَقُمْ ... سِوَاهُ بهِ مَعْ أَمْنِ عُدْوَانِ مُعْتَدِي

ولو كَانَ ذَا فِسْقٍ وَجَهْلٍ وفي سِوَى الْـ ... ـذِي قِيْلَ فَرْضٌ بالكِفَايَةِ فاحْدُدِ

وبالعُلَمَا يَخْتَصُّ مَا اخْتَصَّ عِلْمُهُ ... بِهِم وبِمَنْ يَسْتَنْصِرُوْنَ بِهِ قَــدِ

وأَضْعَفُه بالقَــلْبِ ثُم لِسَانِــهِ ... وأَقْوَاهُ إِنْكَارُ الفَتَى الجَلْدِ باليَدِ

وأَنْكِرْ عَلى الصِبْيَانِ كُلَّ مُحَرَّمٍ ... لِتَأْدِيبِهِم والعِلْمِ فِي الشَّرْعِ بالرَّدِي

وبالأَسْهَلِ ابْدَأْ ثُمَّ زِدْ قَدْرَ حَاجَةٍ ... فإِنْ لَمْ يَزُلْ بالنَّافِذِ الأَمْرَ فاصْدُدِ

إذَا لَمْ يَخَفْ فِي ذَلِكَ الأَمْرِ حَيْفَةٌ ... إذَا كانَ ذَا الانْكَارِ حَتْمَ التَّأَكُّدِ

ولا غُرْمَ فِي دَفِّ الصُّنُوجِ كَسَرْتَه ... ولا صُوَرٍ أَيْضًا ولاَ آلةِ الـدَّدِ

وآلةِ تَنْجِيْمٍ وسِحْرٍ ونَحْـوِهِ ... وكُتْبٍ حَوَتْ هَذَا وأَشْبَاهَهُ اقْدُدِ

« وقُلْتُ كَذَاكَ السِّيْنَمَاءُ ومِثْلُهُ ... بَلا رَيْبَ مِذْيَاعٌ وَتِلْفَازُ مُعْتَدِي »

«وأَوْرَاقُ أَلْعابٍ بِها ضَاعَ عُمْرُهُم ... وكُورَاتِهِم مَزِّقْ هُدِيتَ وقَدِّدِ »

« كَذَا بَكَمَاتٌ والصَّلِيْبُ ومِزْمَرٌ ... وآلةُ تَصْوِيْرٍ بِهَـا الشَّرُّ مُرْتَدِي »

« كَذَلِكَ دُخَّانٌ وشِيْشَةُ شُرْبِهِ ... وآلةُ تَطْفَاةٍ لَهُ اكْسِرْ وَبَدِّدِ »

« ومِن بَعْدِ ذا فاسْمَعْ كَلاماً لِنَاظِمٍ ... يَسُوقُ لَكَ الآدَابَ عن خَيْرِ مُرْشِدِ»

وبَيْضٍ وجَوْزٍ لِلْقِمَارِ بقَـدْرِ مَا ... يُزِيْلُ عن المَنْكُورِ مَقْصَدَ مُفْسِدِ

ولا شَقِّ زِقِّ الخَمْرِ أَوْ كَسْرِ دِنِّهِ ... إذا عَجِزَ الإِنْكَارُ دُوْنَ التَّقَـدُّدِ

وَإِنْ يَتَأَتَّى دُوْنَهُ دَفْـعُ مُنْكَرٍ ... ضَمِنْتَ الذي يُنْقَى بَتغْسِيْلِهِ قَـدِ

وهِجْرانُ مَن أَبْدَى المَعَاصِيَ سُنَّةٌ ... وقدْ قِيْلَ إنْ يَرْدَعْهُ أَوْجِبْ وَأَكِّدِ

وقِيْلَ عَلَى الاطْلاَقِ ما دَامَ مُعْلِناً ... ولاقِـهْ بَوجْهٍ مُكْفَهِرٍ مُعَـرْبَـدِ

ويَحْرُمُ تَجْسِيْسٌ عَـلَى مُتَسَتِّرٍ ... بِفِسْقٍ وماضِي الفِسْقِ إنْ لَم يُجَدِّدِ

وهِجْرَانُ مَنْ يَدْعُو لأَمْرٍ مُضَلٍّ أَوْ ... مُفَسِّقٍ احْتِمْـهُ بِغَـيْرِ تَـرَدُّدِ

على غَيْرِ مَن يَقْوَى علَى دَحْضِ قَوْلِهِ ... ويَدْفَعُ اضْرارَ المُضِـلِّ بمِـذْوَدِ

ويَقْضِي أُمُـورَ الناسِ في إتْيَانِه ... ولا هَجْرَ مَعْ تَسْلِيْمِهِ المُتَعَوِّدِ

وَحَظْرُ انْتِفَا التَّسْلِيْمِ فَوقَ ثَلاثَة ... على غَيْرِ مَن قُلْنَا بهَجْـرٍ فَأَكِّدِ

وكُنْ عَالِمـاً إنَّ السلامَ لَسُنَّةٌ ... وَرَدُّكَ فَرْضٌ لَيْسَ نَـدْبٌ بأَوْطَدِ

ويُجْزِيءُ تَسْلِيْمُ امْرِيءٍ مِن جَمَاعَةٍ ... ورَدُّ فَتىً مِنهُم على الكُلِّ يا عَدِي

وتَسْلِيمُ نَزْرٍ والصَّغِيرِ وعَابِرِ السَّـ … بِيْلِ وَرُكْبَانٍ عَلَى الضِدِّ أَيِّدِ

وإنْ سَلَّمَ المَـأْمُوْرُ بالـرَّدِ مِنْهُمُ … فَقَدْ حَصَلَ المَسْنُونُ إذْ هُوَ مُبْتَدِي

وسَلِّمْ إذَامَا قُمْتَ عَن حَضْرَةِ امْرِيءٍ … وسَلِّمْ إذا مَا جِئْتَ بَيْتَكَ تَهْتَدِي

وإفْشَاؤُكَ التَّسْلِيْمَ يُوْجِبُ مَحَبَّةً … مِنَ الناسِ مَجْهُولاً ومَعْرُوْفاً أَقْصِدِ

وتَعْرِيْفُهُ لَفْظَ السلامِ مُجَوَّزٌ … وتَنْكِيْرُهُ أَيْضَـاً على نَصِّ أَحْمَدِ

وقَد قِيْلَ نَكِّرْهُ وقِيْـلَ تَحِيَّةً … كَلِلْمَيْتِ والتَّوْدِيْـعِ عَرِّفْ كَرَدَّدِ

وسُنَّةٌ اسْتِئْذَانُـه لِدُخُـوْلِـهِ … على غَـيرِهِ مِن أَقْرَبِيْنَ وَبُعَّـدِ

ثَلاثاً ومَكْرُوْهٌ دُخُـولٌ لِهَـاجِمٍ … ولا سِيْمَا مِن سَفْـرَةٍ وَتَبَعُّـدِ

وَوَقْفَتُهُ تِلْقَـاءَ بَابٍ وكُوَّةٍ … فإنْ لم يُجَبْ يَمْضِي وإنْ يَخْفَ يَزْدَدِ

وَتَحْرِيْكُ نَعْلَيْهِ واظْهَارُ حِسِّـهِ … لِدَخْلَتِـهِ حَتَّى لمِنْزِلِهِ اشْهَـدِ

وَكُلُّ قِيَـامٍ لاَ لِوَالٍ وعَالِمٍ … وَوَالِدِهِ أَو سَيِّدٍ كُرْهَـهُ امْهَـدِ

وصَافِحْ لِمَنْ تَلْقَاهُ مِن كُلِّ مُسْلِمٍ … تَنَاثَرْ خَطَايَاكُمْ كَمَا في المُسْنَدِ

ولَيْسَ لِغَـيْرِ اللهِ حَـلٌّ سُجُوْدُنَا … ويُكْرَهُ تَقْبِيْـلُ الثَّـرَى بتَشَدُّدِ

ويُكْرَهُ مِنْكَ الانْحِنَاءُ مُسَلِّمـاً … وتَقْبِيْلُ رَأْسِ المَرْءِ حَلٌّ وفي اليَدِ

وحَلٌّ عِنَـاقٌ لِلْمُلاَقِي تَدَيُّنَـاً … ويُكْرَهُ تَقْبِيْـلُ الفَمِ افْهَمْ وقَيِّدِ

ونَزْعُ يَدٍ مِمَّنْ يُصَافِحُ عَاجِـلاً … وأَنْ يَتَنَاجَى الجَمْعُ مِن دُوْنِ مُفْرَدِ

وأَنْ يَجْلِسَ الإِنْسَانُ عِنْدَ مُحَدِّثٍ … بِسِرٍ وقِيْلَ احْضِرْ وإنْ يَأْذَنِ اقْعُدِ

ومَرْأَى عَجُوزٍ لَم تُرَدْ وَصِفَاحُهَا … وخَلْوَتُهَا اكْرَهْ لاتَحِيَّتَهَا اشْهَـدِ

وتَشْمِيْتُهَا واكْرَهْ كِلاَ الخِصْلَتَيْنِ … لِلشَّبابِ مِن الصِّنفَيْنِ بُعْدَى وأَبْعِدِي

ويَحْرُمُ رَأْيُ المُرْدِ مَعْ شَهْوَةٍ فَقَطْ … وقِيْلَ ومَعْ خَوْفٍ ولِلْكُرْهِ جَوِّدِ

وَكُنْ واصِلَ الأَرْحَامِ حَتَّى لِكَاشِحٍ … تُوَفَّرَ في عُمْرٍ ورِزْقٍ وتَسْعَـدِ

وَيَحْسُنُ تَحْسِينٌ لِخُلْقٍ وَصُحْبَةٍ … ولا سِيَّمَا لِلْوَالِـدِ المُتَأَكِّدِ

وَلَوْ كَانَ ذَا كُفْـرٍ وَأَوْجَبَ طَوْعَهُ … سِوَى فِي حَـرامٍ أَوْ لأَمْـرٍ مُؤَكَّدِ

كَتَطْلاَبِ عِـلْمٍ لاَيَضُرُّهُمَا بِهِ … وتَطْلِيقِ زَوْجَـاتٍ بِرَأْيِ مُجَرَّدِ

وأَحْسِنْ إلى أَصْحَابِهِ بَعْـدَ مَوْتِهِ … فَهَـذَا بَقَايَا بِـرِّهِ المُتَعَـوَّدِ

ويُكْرَهُ فِي الحَمَّـامِ كُلُّ قِـرَاءَةٍ … وذِكْرٍ لِسَـانٍ والسَّلامُ لِمُبْتَـدِي

وغَيِّرْ بِغَيْرِ الأَسْوَدِ الشَّيْبَ وأَبْقِهِ … ولِلْقَزَعِ اكْرَهْ ثُمَّ تَدْلِيسَ نُهَّـدِ

ويُشْرَعُ إِيكَاءُ السِقَا وغِطَـا الإِنَا … وإِيجَافُ أَبْوَابٍ وَطَفْءُ لِمُوْقَـدِ

وتَقْلِيمُ أَظْفَـارٍ ونَتْفُ لإِبْطِـهِ … وحَلْقاً ولِلتَّنْوِيرِ لِلْعَانَـةِ أَقْصِدِ

ويَحْسُنُ خَفْضُ الصَّوتِ مِن عَاطِسٍ … وإِنْ يُغَطِّيَ وَجْهاً لاسْتِتَارٍ مِن الرَّدِي

ويَحْمَدُ جَهْراً ولْيُشَمِّتْهُ سَامِعٌ … لِتَحْمِيدِهِ والْيُبْدِ رَدَّ المُعَـوَّدِ

وقُـلْ لِلْفَتَى عُوْفِيتَ بَعْدَ ثَلاثَةٍ … ولِلطِّفْلِ بُورِكْ فِيْـكَ وامُرْهُ يَحْمَدِ

وغَطِّ فَماً واكْظُمْ تُصِبْ فِي تَثَاؤُبٍ … فَذَلِكَ مَسْنُونٌ لأَمْـرِ المُرْشِدِ

ولا بَأْسَ شَرْعاً أَنْ يَطِبَّكَ مُسْلِمٌ … وشَكْوَى الذي تَلْقَى وبِالحَمْدِ فابْتَدِي

وتَرْكُ الدَّوا أَوْلَى وفِعْـلُكَ جَائِزٌ … ولم تَتَيَقَّنْ فيه حُرْمَـةَ مُفْـرَدِ

ورَجِّحْ عَلَى الخَوْفِ الرَّجَا عِنْدَ يَأْسِهِ … ولاقِ بِحُسْنِ الظَّنِّ رَبَّكَ تَسْعَـدِ

ويُشْرَعُ لِلْمَرْضَى العِيَادَةُ فَأْتِهِمْ … تَخُضْ رَحْمَةً تَغْمُرْ مَجَالِسَ عُوَّدِ

فَسَبْعُونَ أَلفاً مِن مَلاَئِكَةِ الرِّضَا … تُصَلِّي على مَن عَادَ مُمْسِيً إلى الغَدِ

وانْ عَادَهُ فِي أَوَّلِ اليَوْمِ وَاصَلَتْ … عليهِ إلى اللَّيْلِ الصَّـلاةَ فَأَسْنِدِ

فَمِنْهُمْ مُغِبّاً عُدْهُ خَفِّفْ ومِنهُمْ الْ … لَذِي يُورِثُ التَّطْـوِيلَ مِن مُتَوَدِّدِ

وفَكِّرْ وَرَاعِ فِي العِيَادَةِ حَالَ مَن … تَعُودُ وَلاَ تُكْثِرْ سُؤَالاً تُنَـكِّدِ

ومَكْرُوهٌ اسْتِأْمَانُنَا أَهْـلَ ذِمَّةٍ … لإِحْرَازِ مَالٍ أَوْ لِقِسْمَتِهِ اشْهَدِ

ومَكْرُوْهٌ اسْتِطْبَابُهُم لاَ ضَرُوْرَةً ... وما رَكَّبُوْهُ مِن دَوَاءٍ مُوَصَّـــدِ

وانْ مَرِضَتْ أُنثَى ولَمْ يَجِدُوْا لَهَا ... طَبِيْباً سِوَى فَحْلٍ أَجزْهُ وَمَهِّـــدِ

ويُكْرَهَ حَقْنُ المَـرْءِ إلاَّ ضَرُوْرَةً ... ويَنْظَـرُ مَا يَحْتَاجُهُ حَاقِنٌ قَـدِ

كَقَابِلةٍ حِــلٌّ لَها نَظَرٌ إلَى ... مَكَانٍ ولأَدَاتِ النِسَـا في التَّوَلُّدِ

ويُكْرَهُ إنْ لَمْ يَسْرِ قَطْـعُ بَوَاسِرٍ ... وبَطٌّ الأَذَى حِـلٌّ كَقَطْعٍ مُجَوَّدِ

لآكِلَةٍ تَسْري بِعُضْوٍ أَبِنْـهُ إنْ ... تَخَـافَنَّ عُقْبَــاهُ وَلاَ تَتَرَدَّدِ

وقَبْلَ الأَذَى لاَبَعْدَهُ الكَيَّ فاكْرَهَنْ ... وعَنْهُ عَلَى الاَطْلاقِ غَـيْرِ مُقَيَّدِ

وفِيْمَا عَدَاالأَغْنَامِ قَدْكَرِهُوْاالخِصَا ... لِتَعْذِيْبِهِ المَنْهِيِ عَنُه بِمُسْنَدِ

وقَطْـعُ قُرُوْنٍ وَالآذَنِ وشَقُّهَـــا ... بلا ضَرَرٍ تَغْيِيْرُ خَـلْقٍ مُعَـوَّدِ

ويَحْسُنُ في الإحْرَامِ والحِلِّ قَتْلُمَا ... يَضُرُ بــلا نَفْعٍ كَنِمْرٍ ومَـرْثَدِ

وغِرْبَانِ غَيرِ الزَّرْعِ أَيْضَاً وشِبْهُهَا ... كَذَا حَشَرَاتُ الأَرْضِ دُوْنَ تَقَيُّدِ

كَبَقٍّ وبُرْغُـوثٍ وفَأْرٍ وَعَقْـرَبٍ ... ودَبْرٍ وَحَيَّـاتٍ وشِبْـهِ المُعَـدَّدِ

ويُكْرَهُ قَتْــلُ النَّمْلِ إلاَّ مَعَ الأَذَى ... بهِ واكْرَهَنْ بالنَّارِ احْراقَ مُفْسِدِ

ولو قِيْلَ بالتَّحْـرِيْمِ ثُمَّ أُجِيْزَمَعْ ... أَذَيٍ لم يَـزُلْ إلاَّ بِهِ لَمْ أُبَعِّـدِ

وقَدْجَوَّزَ الأَصْحَابُ تَشْمِيْسَ قَزِّهِمْ ... وتَدْخِيْنَ زُنْبُورٍ وشَيَاً بِمُوْقَـــدِ

ويُكْرَهْ لِنَهْيِ الشَّرْعِ عنقَتْلِ ضِفْدِعٍ ... وصِرْدَانِ طَيْرٍ قَتْــلُ ذَيْنٍ وَهُدْهُدِ

ويُكْرَه قَتْلُ الهِـرِّ إلاَّ مَعَ الأَذَى ... وَإنْ مُلِكَتْ فاحْظِرْ إذاً غَيْرَمُفْسِدِ

وقَتْلُكَ حَيَّــاتِ البُيَوتِ ولَمْتَقُلْ ... ثَلاثَا لَهُ اذْهَبْ سَالِمــاً غَيْرَ مُعْتَدِ

وذَا الطُّفْيَتَيْنِ أَقْتُلْ وابْتَرَ حَيَّـةً ... وما بَعْدَ إيْذَانٍ تُــرَى أَوْ بِفَدْفَدِ

وما فِيهِ إضْرَارٌ ونَفْعٌ كَبَاشَقٍ ... وكَلْبٍ وفَهْدٍ لاقْتَصَــادِ التَّصَيُّدَ

إذَا لَمْ يَكُنْ مُلْكاً فَأَنْتَ مُخَيَّرٌ ... وانْ مُلِكَتْ فاحْظِرْ وانْ تُؤْذِ فاقْدُدِ

ويُكْرَهُ نَفْـخُ فِي الغَـدَا وتَنَفُّسٌ ... وجَوْلاَنُ أَيْـدٍ في طَعَـامٍ مُوَحَّـدِ

فإنْ كَانَ أَنْوَاعاً فَـلاَ بَأْسَ فالذِي ... نُهِيْ في اتِّحَـادٍ قَدْ عُفِي في التَّعَدُّدِ

وأَخْـذٌ وإعْطَـاءٌ وأَكْلٌ وشُرْبُهُ ... بِيُسْرَاهُ فاكْرَهْـهُ ومُتَّكِئـاً ذُدِ

وأَكْلُكَ بالثِّنْتَيْنِ والأَصْبُعِ اكْرَهَنْ ... ومَعْ أَكْلِ شَيْنِ العُرْفِ إتْيَانَ مَسْجِدِ

ويُكْرَهُ باليُمْنَى مُبَـاشَرَةُ الأَذَى ... وأَوْساخِهِ مَـعْ نَثْرِ مَا أَنْفِهِ الرَّدِي

كذا خَلْعُ نَعْلَيْـهِ بِهَـا واتِّكَاؤُهُ ... على يَدِهِ اليُسْرَى ورَا ظَهْرِهِ اشْهَدِ

ويُكْرَهُ في التَّمْرِ القِـرَانُ وَنَحْوُهُ ... وقِيْلَ مَـعَ التَّشْرِيْكِ لاَفِي التَّفَرُّدِ

وكُنْ جَالِساً فَوْقَ اليَسَارِ ونَاصِبَ ... اليَمِيْنِ وبَسْمِلْ ثُمَّ في الانْتِهَا احْمَدِ

ويُكْرَهُ سَبْقُ القَوْمِ لِلأَكْلِ نَهْمَةً ... ولَكِنَّ رَبُّ البَيْتِ إنْ شَاءَ يَبْتَدِي

ولا بَأْسَ عِنْدَ الأَكْلِ مِن شِبَعِ الفتَى ... ومَكْرُوهٌ الإِسْرَافُ والثُّلْثَ أَكِّدِ

ويَحْسُنُ تَصْغِيْرُ الفتَى لُقْمَةَ الغَدَا ... وبَعْدَ ابْتِـلاَعٍ ثَنِّ والمَضْغَ جَوِّدِ

ويَحْسُنُ قَبْلَ المَسْحِ لَعْقُ أَصَابِعٍ ... وأَكْلُ فُتَـاتٍ سَاقِـطٍ بِتَثَرُّدِ

وتَخْلِيْلُ مَا بَيْنَ المَوَاضِعِ بَعْدَهُ ... وأَلْقِ وجَانِبْ مَا نَهَى اللهُ تَهْتَدِي

وغَسْلُ يَدٍ قَبْلَ الطَّعَامِ وَبَعْـدَهُ ... ويُكْرَهُ بالمَطْعُـوْمِ غَيْرَ مُقَيَّـدِ

وكُلْ طَيِّباً أَوْضِـدَّهُ والبَس الذِي ... تُلاقِيْـهِ مِن حِلٍ ولا تَتَقَيَّـدِ

وما عِفْتَـهُ فاتْرُكْهُ غَيْرَ مُعَنِّفٍ ... ولا عَائِبٍ رِزْقاً وبالشَّارِعِ اقْتَدِي

ولا تَشْرَبَنْ مِن فِي السِّقَاءِ وثُلْمَةِ الْـ ... إِنَاءِ وانْظُرَنْ فِيـهِ ومَصّاً تَزَرَّدِ

ونَحِّ الانا عَن فِيْكَ واشْرَبْ ثَلاَثَةً ... هُوْ أَهْنَا وأَمْرَا ثم أَرْوَي لِمَنْ صُدِي

ولا تَكْرَهَنَّ الشُّرْبَ مِن قَائِمٍ ولاَانْـ ... تِعَـالُ الفَتَى في الأَظْهَـرِ المُتَأَكِّدِ

ويُكْرَهُ لُبْسَ فيـه شُهْرَةُ لاَبِسٍ ... وَوَاصِفُ جِلْدٍ لاَلِزَوْجٍ وسَيِّـدِ

وإنْ كانَ يُبْدِي عَـوْرَةً لِسِوَاهُمَا ... فذَلِكَ مَحْظُـورٌ بِغَـيْرِ تَرَدُّدِ

وخَيْرُ خِلاَلِ المَرْءِ جَمْعاً تَوَسُّطُ الْـ ... أُمُورِ وحَالٌ بَيْنَ أَرْدَى وأَجْـوَدِ

ولُبْس مِثَالِ الحَيِّ فاحْظِرْ بأَجْوَدِ   وما لَمْ يُدَسْ مِنْهَا لِوَهْنٍ فَشَــدِّدِ

وأَحْسنُ مَلْبُــوسٍ بَيَــاضٌ لميِّتٍ   وحَيٍّ فَبَيِّضْ مُطْلَقــاً لاتُسَـــوِّدِ

ولا بَأْسَ بالمَصْبُوغِ مِن قَبْلِ غَسْلِهِ   مَعَ الجَهْلِ في أَصْبَاغِ أَهْلِ التَّهَوُّدِ

وقِيْلَ اكْرَهَنْهُ مِثْلَ مُسْتَعْمَلِ الانَا   وانْ تَعْلَم التَّنْجِيْسَ فاغْسِلْهُ تَهْتَدِي

وأَحْمَرَ قَانٍ والمُعَصْفَرَ فاكْــرَهَنْ   لِلُبْسِ رِجَالٍ حَسْبُ في نَصِّ أَحْمَدِ

ولا تَكْرَهَنْ في نَصِّ ما قدَ صَبَغْتَهُ   مِنَ الزَّعْفَرانِ البَحْتِ لَوْنَ المُوَرَّدِ

ولَيْسَ بِلُبْسِ الصُوْفِ بَأْسٌ ولاالقَبَا   ولا لِلنِّسَا والبُرْنُسِ افْهَمْهُ واقْتَدِي

ولُبْسُ الحَرِيْرِ احْظِرْ عَلى كُلِ بَالِغٍ   سِوَى لِضنًى أَوْ قَتْلٍ أَوْ حَرْبِ جُحَّدِ

ويَحْرُمَ بَيْعٌ لِلرِّجَــالِ لِلِبْسِهِمْ   وتَخِيِيْطُهُ والنَّسْجُ في نَصِّ أَحْمَدِ

ويَحْرُمُ لُبْسٌ مِن لُجَــيْنٍ وعَسْجَدٍ   سِوى ما قَدِ اسْتَثْنَيْتَهُ في الذيِ ابْتُدِي

ويَحْرُمُ سَتْرٌ أَوْ لِبَاسُ الفَتَى الذي   حَوَى صُوْرَةً لِلْحَيِّ في نَصِّ أَحْمَدِ

وفي السَّتْرِ أَوْ مَاهُوْ مَظِنَّةٌ بِــذِلَّةٍ   لِيَكْرَهْ كَكَتْبٍ لِلْقُــرانِ المُمَجَّدِ

ولَيْسَ بمَكْرُوْهٍ كِتَــابَةُ غَــيْرِهِ   مِنَ الذكرِ فِيْمَا لَم يُدَسْ ويُمَهَّــدِ

وحَلٌّ لمِنْ يَسْتَأْجِرُ البَيْتَ حَكُّه التـ   تَصَاوِيْرَ كَالحَمَّامِ لِلدَّاخِــلِ اشْهَدِ

وفي نَصِّهِ اكْرَهْ لِلرِّجَالِ ولِلنِّسَاالرَّ   رَقِيْقَ سِوَى لِلزَّوْجِ يَخْلُو وَسَيِّدِ

ويُكْرَهُ تَقْصِــيْرُ اللِّبَاسِ وطُوْلُهُ   بلا حَاجَــةٍ كِبْراً وتَرْكُ المُعَوَّدِ

وأَطْوَلُ ذَيْلِ المَرْءِ لِلْكَعْبِ والنِّسَا   بِلاَ الأَزْرِ شِبْراً أَوْ ذِرَاعاً لِتَزْدَدِ

وأَشْرَفُ مَلْبُوسٍ إلى نِصْفِ سَاقِهِ   وما تَحْتَ كَعْبٍ فاكْرَهَنْهُ وصَعِّدِ

ولِلرُّصْغِ كُمُّ المُصْطَفَى فانْ ارْتَخَى   تَنَاهَى إلى أَقْصَى أَصَابِعِــهِ قَــدِ

ولا بَأْسَ في لُبْسِ السَّراوِيْلِ سِتْرَةً   أَتَمَّ مِن التَّأْزِيْرِ فالْبَسْهُ واقْتَـــدِ

بسُنَّةِ ابْراهِيْمَ فِيْــه وأَحْمَــدٍ   وأَصْحَابِهِ والأُزْرُ أَشْهَــرُ أَكِّــدِ

ويَحسُنُ تَنْظِيفُ الثِّيَابِ وَطِيُّهَا ... ويُكْرَهُ مَعْ طَوْلِ الغِنَا لُبْسُكَ الرَّدِي

ولا بأْسَ في لُبْسِ الفِرَاءِ واشْتِرَائِهَا ... جُلُودَ حَلاَلٍ مَوتُه لَمْ يُوَطَّدِ

وكاللَّحْمِ الأَوْلَى احْظِرَن جِلْدَ ثَعْلَبِ ... وعنه لِيُلْبَسْ والصلاةَ بِهِ اصْدُدِ

ومَن يَرتَضِي أَدْنَى اللِّبَاسِ تَوَاضُعاً ... سَيُكْسَى الثِّيَابَ العَبْقَرِيَّاتِ في غَدِ

ويَحْسُنُ حَمْدُ اللهِ في كُلِّ حَالَةٍ ... ولا سِيَّمَا في لُبْسِ ثَوبٍ مُجَدَّدِ

وكُنْ شَاكِراً للهِ وارْضَ بقَسْمِهِ ... تُثَبْ وتُزَدْ رِزْقاً وارْغَامَ حُسَّدِ

وقُلْ لأَخٍ ابْلِ وأَخْلِقِ وَيُخْلِفُ الْ ... إِلهُ كَذَا قُلْ عِشْ حَمِيْداً تُسَدَّدِ

ولابَأْسَ في الخَاتَامِ مِن فِضَّةٍ ومِنْ ... عَقِيْقٍ وبَلُّوْرٍ وشِبْهِ المُعَدَّدِ

ويُكْرَهُ مِن صُفْرٍ رَصَاصٍ حَدَيْدِهِمْ ... ويَحْرُمُ لِلذُّكْرَانِ خَاتَمُ عَسْجَدِ

ويَحْسُنُ في اليُسْرَي كَأَحْمَدَوَصَحْبِهِ ... ويُكْرَهُ في الوُسْطَى وسَبَابَةِ اليَدِ

ومَن لَمْ يَضَعْهُ في الدُّخُولِ إلى الخَلاَ ... فَعَنْ كُتْبِ قُرآنٍ وذِكْرٍ بِهِ أَصْدُدِ

ويَحْسُنُ في اليُمْنَى ابْتِدَاءُ انْتِعَالِهِ ... وفي الخَلْعِ عَكْسٌ وأَكْرَهِ العَكْسَ تَرْشُدِ

ويُكْرَهُ مَشْيُ المَرْءِ في فَرْدِ نَعْلِهِ ... اخْتِيَاراً أَصِخْ حَتَّى لإِصْلاحِ مُفْسِدِ

ولا بأْسَ في نَعْلٍ يُصَلِّي بِهِ بِلاَ ... أَذَى وافْتَقِدْهَا عندَ أَبْوابِ مَسْجِدِ

ويَحْسُنُ الاسْتِرْجَاعُ في قَطْعِ نَعْلِهِ ... وتَخْصِيْصُ حَافٍ بالطَّرِيْقِ المُمَهَّدِ

وقَدْ لَبِسَ السِّبْتِيَّ وَهُوَ الذي خَلاَ ... مِن الشَّعْرِ مَعْ أَصْحَابِهِ بِهِمُ اقْتَدِي

ويُكْرَهُ سِنْدِيُّ النِّعَالِ لِعُجْبِهِ ... بِصَرَّارِهَا زِيِّ اليَهُوْدِ فَأَبْعِدِ

وسِرْ حَافياً أَوْ حَاذِياً وامْشِ وارْكَبَنْ ... تَمَعْدَدْ و اخْشَوْشِنْ ولا تَتَعَوَّدِ

ويُكْرَهُ في المَشْيِ المُطَيْطَا ونَحْوُهَا ... مَظِنَّةَ كِبْرٍ غَيْرَ في حَرْبِ جُحَّدِ

ويُكْرَهُ لُبْسُ الخُفِّ والأُزْرِ قائِماً ... كذَاكَ التَّصَاقُ اثْنَيْنَ عُرْياً بمَرْقَدِ

وبِنْتَيْنِ وافْرُقْ في المَضَاجِعِ بَيْنَهُمْ ... ولَوْ اخوةً مِن بَعْدِ عَشْرٍ تُسَدَّدِ

ويُكْرَهُ نَوْمُ المَـرْءِ مِن قَبْلِ غَسْلِهِ ... مِن الدُهْنِ والأَلْبَـانِ لِلْفَمِ واليَدِ

ونَومُكَ بَعْدَ الفَجْرِ والعَصْرِ أَوْ عَلى ... قَفَاكَ ورَفْعُ الرِجْلِ فَوقَ اختِها امْدُدِ

ويُكْرَهُ نَومٌ فَوقَ سَطحٍ ولَمْ يُحَطْ ... عليه بِتَحْجِيْرٍ لِخَوفٍ مِن الرَّدِي

ويُكْرَهُ بَيْنَ الظِلِّ والشَمْسِ جِلْسَةٌ ... ونَوْمٌ على وَجْـهِ الفَتَى المُتَمَدِّدِ

وقُلْ في انْتِبَاهٍ والصَّبَاحِ وفي المَسَا ... ونَومٍ مِن المَرْوِيِّ مَا شِئْتَ تَرْشُدِ

ويَحْسُنُ عندَ النَّومِ نَفْضُ فِرَاشِهِ ... ونَوْمٌ على اليُمْنَي وكُحْـلٌ بـأَثْمَدِ

وخُذْ لَكَ مِن نُصْحِي أُخَيَّ نَصِيْحَةً ... وكُنْ حَازِمـاً واحْضِرْ بِقَلْبٍ مُؤَيَّدِ

ولا تَنْكِحَنْ إنْ كُنْتَ شَيْخاً فُتَيَّةً ... تَعِشْ في ضِرَارِ العَيْشِ أَوتَرْضَ بالرَّدِي

ولا تَنْحِكنْ مَن تَسْمُ فَوقَكَ رُتبَةً ... تَكُنْ أبداً في حُكْمِهَـا في تَنَكُّدِ

ولا تَرْغَبَنْ في مَالِهَـا وأَثَاثِهَـا ... إذا كُنْتَ ذَا فَقْرٍ تُذَلَّ وتُضْهَـدِ

ولا تَسْكُنَنْ في دارِهَا عند أَهْلِهَا ... تَسَمَّعْ إذَا أَنْوَاعَ مِن مُتَعَـدِّدِ

فلا خَيرَ فِيْمَنْ كَانَ في فَضْلِ عِرْسِهِ ... يَرُوْحُ على هُوْنٍ إلَيْهَـا ويَغْتَـدِي

ولا تُنْكِرَنْ بَذْلَ اليَسِيْرِ تَنَكُّداً ... وسَامِحْ تَنَلْ أَجْراً وحُسْنَ التَّوَدُّدِ

ولاتَسْأَلَنْ عن مَا عَهِدْتَ وغُضَّ عن ... عَوارٍ إذا لَمْ يَذْمُمِ الشَّرْعُ تَرْشُدِ

وكُنْ حَافِظاً إنَّ النِسَاءَ ودَائِعٌ ... عَوانٍ لَدَينا احْفَظْ وصِيَّةَ مُرْشِدِ

ولا تُكْثِرْ الانـكارَ تُرْمَى بتُهْمَةٍ ... ولا تَرْفَعَنَّ السَّوْطَ عن كُلِّ مُعْتَدِ

ولا تَطْمَعَنْ في أَنْ تُقِيْمَ اعْوِجَاجَهَا ... فَمَا هِيَ إلاَّ مِثْلُ ضِلْعٍ مُـرَدَّدِ

وسُكْنَى الفَتَى في غُرْفَةٍ فَوْقَ سِكَةٍ ... تؤُولُ إلَى تُهْمَى البَرِيءِ المُشَـدَّدِ

وإيَّاكَ يَا هَذَا ورَوْضَةَ دِمْنَـــةٍ ... سَتَرجعُ عَن قُرْبٍ إلى أَصْلِهَا الرَّدِي

ولا تَنْكِحَنْ في الفَقْرِ إلاَّ ضَرُوْرَةً ... ولُذْ بِوِجَاءِ الصَّومِ تُهْدَى وتَهْتَدِي

وكُنْ عَالماً إنَّ النِّسَا لُعَبٌ لَنَـا ... فحَسِّنْ إذَنْ مَهْمَا اسْتَطَعْتَ وَجَوِّدِ

وخَيْرُ النِسَا مَن سَرَّتِ الزَّوْجَ مَنْظَراً ... ومَنْ حَفِظَتْهُ في مَغِيْبٍ ومَشْهَـدِ
قَصِيْرَةُ أَلْفَاظٍ قَصِـيْرَةُ بَيْتِهـَا ... قَصِيْرَةُ طَرْفِ العَيْنِ مَن كُلِّ أَبْعَدِ
عَلَيْكَ بِذَاتِ الدِّيْنِ تَظْفَرُ بالمُنِي الْ ... وَدُوْدِ الوَلُودِ الأَصْلِ ذَاتِ التَّعَبُّدِ
حَسِيْبَةُ أَصْلٍ مِن كرامٍ تَفُزْ إذَنْ ... بِوِلْد كِرَامٍ والبَكَارَةَ فاقْصِـدِ
وَوَاحِدةُ أَدْنَى إلى العَـدْلِ فاقْتَنِعْ ... وانْ شِئتَ فَابْلُغْ أَرَبعـاً لاتَزَيَّدِ
ومَن عَفَّ تَقْوى عن مَحَارِمِ غَيْرِهِ ... يَعفُ أَهْلُه حقاً وانْ يَزْنِ يَفْسُدِ
فَكَابِدْ إلى أَنْ تَبْلُغَ النفسُ عُذْرَهَا ... وكنْ في اقْتِبَاسِ العلمِ طَلاَّعَ أَنْجُدِ
ولا يَذْهَبَنَّ العُمْرُ مِنْكَ سَبَهْللاَ ... ولا تُغْبَنَنْ بالنَّعْمَتَينِ بَلْ اجْهَـدِ
فَمَنْ هَجَرَ اللَّذاتِ نَالَ المُنَى ومَنْ ... أَكَبَّ على اللَّذَاتِ عَضَّ عَلى اليَـدِ
وفي قَمْعِ أَهْوَاءِ النُفُوسِ اعْتِزَازُهَا ... وفي نَيْلِهَـا مَا تَشْتَهِيْ ذِلٌّ سَرْمَدِ
فلا تَشْتَغِلْ إلا بِمَا يُكْسِبُ العُلاَ ... ولا تَرْضَ لِلنَّفْسِ النَّفِيْسَةِ بالرَّدِي
وفي خَلْوةِ الإنْسَانِ بالعِلْمِ أُنْسُهُ ... وَيَسْلَمُ دِيْنُ المَرْءِ عندَ التَوَحُـدِ
ويَسْلَمُ مِن قِيْـلٍ وقَالٍ ومِن أَذَى ... جَلِيْسٍ ومِن وَاشٍ بَغِيضٍ وَحُسَّدِ
وكُنْ حِلْسَ بَيْتٍ فَهْوَ سَتْرٌ لَعَوْرَةٍ ... وحِرْزُ الفَتَى عن كُلِّ غَاوٍ ومُفْسِدِ
وخَيرُ جَلِيْسِ المَرْءِ كُتْبُ تُفِيْدُهُ ... عُـلُوماً وآداباً كَعَقْـلٍ مُؤَيَّدِ
وخَالِطْ إذَا خَالَطتَ كُلَّ مُوَفَّـقٍ ... مِن العلما أَهْـلِ التُّقَى والتَّعَبُـدِ
يُفِيْدُكَ مِن عِلْمٍ ويَنْهَاكَ عَنْهَوَى ... فَصَاحِبْه تُهْدَى مِن هُدَاهُ وتَرْشُدِ
وإيَّاكَ والهَمَّازَ إنْ قُمْتَ عَنه والْـ ... بَذِيَّ فانَّ المَرْءَ بالمَرْءِ يَقْتَـدِي
ولاتَصْحَبِ الحَمْقَى فَذُوْالجَهْلِ انْ ... يَرُمْ صلاحاً لأَمْرٍ يَاأَخَاالحَزْمِ يُفْسِدِ
وخَيْرُ مَقَامٍ قُمْتَ فِيْـهِ وخَصْلَةٍ ... تَحَلَّيْتَهَا ذِكْرُ الإلـهِ بِمَسْجِـدِ
وكُفَّ عن العَوَرا لِسَانَكَ واليَكُنْ ... دَواماً بذِكْرِ اللهِ يَا صَـاحِبِيْ نَدِي

وحَصِّنْ عن الفَحْشَا الجَوارِحَ كُلَّها — تَكُنْ لكَ في يومِ الجَزَا خَيْرَ شُهَّدِ

وحافِظْ على فِعْلِ الفُرُوْضِ بوَقْتِهَا — وخُذْ بنَصِيْبٍ في الدُّجَا مِن تَهَجُّدِ

ونَادِ إذَا مَا قُمْتَ بالليلِ سَامِعاً — قَرِيْباً مُجِيْباً بالفَواضِلِ يَبْتَـدِي

ومُدَّ إليهِ كَفَّ فَقْرِكَ ضَـارِعـاً — بقَلْبٍ مُنِيْبٍ وادْعُ تُعْطَ وتَسْعَدِ

ولا تَسْأَمَنَّ العِلْمَ واسْهَرْ لِنَيْلِهِ — بلا ضَجَرٍ تَحْمِدْ سُرَى اللَّيلِ في غَدِ

ولا تَطْلُبَنَّ العِلمَ لِلْمَـالِ والرِّيَا — فانَّ ملاكَ الأَمْرِ في حُسْنِ مَقْصَدِ

وكُنْ عَامِلاً بالعِلمِ فِيْمَا اسْتَطَعْتَهُ — لِيُهْدَى بكَ المَرْءُ الذي بكَ يَقْتَدِي

حَرِيْصاً على نَفْعِ الوَرَى وهُدَاهُم — تَنَلْ كُلَّ خَيرٍ في نَعِيْمٍ مُـوَبَّدِ

وكُنْ صَابِراً بالفَقْرِ وادَّرِعِ الرِّضَا — بِمَا قَدَّرَ الرحمنُ واشْكُرْهُ تُحْمَدِ

فَمَا العِزُّ إلا في القَنَاعَةِ والرضَا — وبأَدْنَى كَفَافٍ حَاصِـلٍ والتَّزَهُّدِ

فَمَنْ لم يُقَنِّعْهُ الكَفَافُ فما إلى — رِضَاهُ سَبِيْلٌ فاقْتَنِـعْ وتَقَصَّـدِ

فَمَنْ يَتَغَنَّى يُغْنِـهِ اللهُ والغِنَى — غنى النَّفْسِ لا عَنْ كَثْرَةِ المُتَعَدِّدِ

وإيَّاكَ والاعْجَابَ والكِبْرَ تَحْظَ بالسَّـ — ـعَادَةِ في الدَّارَيْنِ فارْشُدْ وأَرْشِدِ

وهَا قَدْ بَذَلْتُ النُّصْحَ جُهْدِي وإنَّنِي — مُقِرٌّ بتقصِيْرِي وباللهِ أَهْتَـدِي

تَقَضَّتْ بحَمْـدِ اللهِ لَيْستْ ذَمِيمَةً — ولَكِنَّها كالدُّرِّ في عِقْـدِ خُرَّدِ

يَحَارُ لَهَـا قَلْبُ اللَّبِيْبِ وعَارِفٌ — كَرِيْمَانِ إنْ جَالا بِفِكْرٍ مُنَضَّـدِ

فَمَا رَوْضَةٌ حُفَّتْ بِنَوْرِ رَبِيْعِهَـا — بِسَلْسَالِهَا العَـذْبِ الزُّلَالِ المُبَرَّدِ

بأَحْسَنَ مِن أَبْيَاتِهَا ومَسائِـلٍ — أَحَاطَتْ بِهَـا يوماً بغَيْرِ تَرَدُّدِ

فَخُذْهَا بِدَرْسٍ لَيْسَ بالنَّومِ تُدْرِكَنْ — لأَهْلِ النُّهَى والفَضْلِ في كُلِّ مَشْهَدِ

وقَـدْ كَمُلَتْ والحَمدُ للهِ وحْدَهُ — على كُلِّ حَالٍ دَائماً لم يُصَـدَّدِ

اللهم يا حي ياقيوم ياذا الجلال والاكرام ثبت محبتك في قلوبنا

وقوها والهمنا يا مولانا ذكرك وشكرك وأمنا من عذابك يوم تبعث عبادك. اللهم اليك بدعائنا توجهنا وبفنائك أنخنا واياك أملنا ولما عندك من الكرم والجود والاحسان طلبنا ومن عذابك أشفقنا ولغفرانك تعرضنا فاغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين برحمتك يا أرحم الراحمين وصلى الله على محمد وآله وسلم.

نظم الكبائر لابن عبد القوي »

وَكُنْ عَالِماً إِنَّ الذُّنُوبَ جَمِيْعَهَا ... بِكُبْرَى وَصُغْرَى قُسِّمَتْ فِي الْمُجَوَّدِ

فَمَا فِيْهِ حَدٌّ فِي الدُّنَا أَوْ تَوَعُّدٌ ... بِأُخْرَى فَسِمْ كُبْرَى عَلَى نَصِّ أَحْمَدِ

وَزَادَ حَفِيْدُ الْمَجْدِ أَوْجَا وَعِيْدُهُ ... بِنَفْيٍ لإِيْمَانٍ وَلَعْنٍ لِمُبْعَدِ

كَشِرْكٍ وَقَتْلِ النَّفْسِ إِلاَّ بِحَقِّهَا ... وَأَكْلِ الرِّبَا وَالسِّحْرِ مَعْ قَذْفِ نُهَّدِ

وَأَكْلُكَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى بِبَاطِلٍ ... تَوَلِّيْكَ يَوْمَ الزَّحْفِ فِي حَرْبِ جُحَّدِ

كَذَاكَ الزِّنَا ثُمَّ اللِّوَاطُ وَشُرْبُهُم ... خُمُوراً وَقَطْعٌ لِلطَّرِيْقِ الْمُمَهَّدِ

وَسَرْقَةُ مَالِ الْغَيْرِ أَوْ أَكْلُ مَالِهِ ... بِبَاطِلِ صُنْعِ الْقَوْلِ وَالْفِعْلِ وَالْيَدِ

شَهَادَةُ زُوْرٍ ثُمَّ عَقٌّ لِوَالِدِ ... وَغِيْبَةُ مُغْتَابٍ نَمِيْمَةُ مُفْسِدِ

يَمِيْنٌ غَمُوسٌ تَارِكٌ لِصَلاَتِهِ ... مُصَلٍّ بِلاَ طُهْرٍ لَهُ بِتَعَمُّدِ

مُصَلٍّ بِغَيْرِ الْوَقْتِ أَوْ غَيْرِ قِبْلَةٍ ... مُصَلٍّ بِلاَ قُرْآنِهِ الْمُتَأَكِّدِ

قُنُوطُ الْفَتَى مِن رَحْمَةِ اللهِ ثُمَّ قُلْ ... إِسَاءَةُ ظَنٍّ بِالإِلَهِ الْمُوَحَّدِ

وَأَمْنٌ لِمَكْرِ اللهِ ثُمَّ قَطِيْعَةٌ ... لِذِيْ رَحِمٍ وَالْكِبْرَ وَالْخُيَلاَ اعْدُدِ

كَذَا كَذِبٌ إِنْ كَانَ يَرْمِيْ بِفِتْنَةٍ ... أَوْ الْمُفْتَرَى يَوْماً عَلَى الْمُصْطَفَى أَحْمَدِ

قِيَادَةُ دَيُّوثٍ نِكَاحُ مُحَلِّلٍ ... وَهَجْرُكَ عَدْلٍ مُسْلِمٍ وَمُوَحِّدِ

وَتَرْكٌ لِحَجٍّ مُسْتَطِيْعاً وَمَنْعُهُ ... زَكَاةً وَحُكْمُ الْحَاكِمِ الْمُتَقَلِّدِ

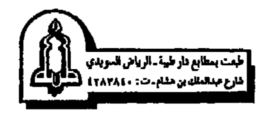
بِحَقٍّ لِخَلْقٍ وارتِشَاهُ وفِطْرُهُ   بلا عُذْرِهِ في صَـوْمِ شَهْرِ التَّعَبُّدِ
وقَوْلٌ بِلاَ عِلْمٍ عَلَىَ اللهِ رَبِّنَـا   وَسبٌّ لأَصْحَابِ النَّبِيِّ مُحَمَّـدِ
مُصِرٌّ على العِصْيَانِ تَرْكُ تَنَـزُّهِ   مِن البَوْلِ في نَصِّ الحَدِيْثِ المُسَدَّدِ
واتْيَانُ مَنْ حَاضَتْ بِفَرْجٍ ونَشْزُهَا   عَلَىَ زَوْجِهَا مِن غَيْرِ عُذْرٍ مُمَهَّـدِ
وإلحَاقُهَا بالزَّوْجِ مَنْ حَمَلَتْهُ مِنْ   سِوَاهُ وكِتْمانُ العُلُـومِ لِمُجْتَدِ
وتَصْوِيْرُ ذِيْ رُوْحٍ واتْيَانُ كَاهِنٍ   واتْيَانُ عَرَّافٍ وتَصْـدِيْقُهُمْ زِدِ
سُجُودٌ لِغَيْرِ اللهِ دَعْوَةُ مَنْ دَعَـا   إلى بِدْعَةٍ أَوْ لِلضَّلاَلَةِ مَـا هُـدِي
غُـلُولٌ ونَوْحٌ والتَّطَيُّرُ بَعْـدَهُ   وأَكْلٌ وشُرْبٌ في لُجَيْنٍ وَعَسْجَـدِ
وَجَوْرٌ لِمُوْصٍ في الوَصَايَا وَمَنْعُهُ   لِمِيْرَاثِ وُرَّاثٍ إبَـاق لأَعْبُـدِ
وإتْيَانُهَا في الدُّبْرِ بَيْعٌ لِحُـرَّةٍ   ومَنْ يَسْتَحِلُّ البَيْتَ قِبْلَةَ مَسْجِدِ
ومِنْهَا اكْتِسَابٌ لِلرِّبَا وَشَهَـادَةٌ   عَلَيْهِ وذُوْ الوَجْهَيْنِ قُلْ لِلتَّوَعُّدِ
ومَنْ يَدَّعِي أَصْلاً ولَيْسَ بأَصْلِهِ   يَقُولُ أَنَا ابْنُ الفَاضِلِ المُتَمَجِّدِ
فَيَرْغَبُ عن آبَائِـهِ وَجُدُوْدِهِ   ولا سِيَّمَـا أَنْ يَنْتَسِبْ لِمُحَمَّدِ
وغِشُّ إمَامٍ لِلرَّعِيَّـةِ بَعْـدَهُ   وَقُوْعٌ عَلَىَ العَجْمَا البَهِيْمَةِ يُفْسِدِ
وتَرْكٌ لِتَجْمِيْعٍ إسَاءَةُ مَـالِكٍ   إلى القِنِّ ذَا طَبْـعٍ لَهُ فِي المُعَبَّدِ

تمّ هذا الكِتَابُ بعَونِ اللهِ وتَوْفِيْقِهِ ونَسْأَلُ اللهَ الحَيَّ القيومَ العَلِيَّ العَظِيْمَ ذَا الجَلالِ والإِكْرَامِ الوَاحِدَ الأَحَدَ الفَرْدَ الصَّمَدَ الذي لَمْ يَلِدْ ولَمْ يُولَدْ ولم يَكُنْ لَهُ كفواً أَحَدٌ أَنْ يُعِزَّ الإِسْلامَ والمُسْلِمِينَ وأَن يَخْذُلَ الكَفَرَةَ والمُشْرِكِيْنَ وأَعْوَانَهُمْ وأَنْ يُصْلِحَ من في صلاحه صَلاحٌ لِلاسْلامِ والمسلمين ويُهْلِكَ مَنْ في هَلاَكِهِ عز وصلاح للإسلامِ والمسلمين وأَنْ يَلُمَّ شَعَثَ المُسْلِمِيْنَ وَيَجْمَعَ شَمْلَهُمْ ويُوَحِّدَ كَلِمَتَهُمْ وأَنْ يَحْفَظَ بِلادَهُمْ ويُصْلِحَ أَولاَدَهُمْ ويَشْفِيَ مَرْضَاهُمْ ويُعَافِيَ مُبْتَلاهُمْ ويَرْحَمَ مَوْتَاهُمْ ويَأْخُذَ بأَيْدِيْنَا إلى كُلِّ خَيْرٍ وَيعْصِمَنَا مِنْ كُلِّ شَرٍّ وَيَحْفَظَنا مِن كُلِّ ضُرٍّ وأَنْ يَغْفِرَ لنا ولوالدينا وجميع المسلمين بِرَحْمَتِهِ إنه أَرْحَم الراحمين وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

المؤلف عبد العزيز بن محمد السلمان






طبعت بمطابع دار طيبة ـ الرياض السويدي
شارع عبدالملك بن هشام ـ ت : ٤٢٨٣٨٤٠




Bibliotheca Alexandrina
0255065

